

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٩ - رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م

ALFAISAL MAGAZINE - NO.349 - Aug. 2005

وفاة خادمِ الحَرَمَينِ الشّريفَين

المَلِك فهد بن عبد العزيز

تتقدم

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

بخالص التعازي

في وفاة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز

وإلى ولي العهد صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

إنا لله وإنا إليه راجعون

تتقدم

دار الفيصل الثقافية

بخالص التعازي

في وفاة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز

وإلى ولي العهد صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

إنا لله وإنا إليه راجعون

ملامح الحياة الثقافية في عهد الملك فهد - رحمه الله

رحل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - طيب الله ثراه - إلى رحاب الله في يوم الإثنين ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ (الموافق ١ أغسطس /آب ٢٠٠٥م) بعد سنوات طويلة قضاها بذلاً وعطاءً في خدمة دينه ووطنه وأمته حقق خلالها نجاحات كثيرة. فقد شهدت المملكة في عهده - يرحمه الله - تنمية واسعة شملت كل جوانب الحياة. ومن بينها النهضة الثقافية. ولعل بعض الإشارات تكفي لتوضيح بعض ملامح هذه النهضة.

ولعلنا نبدأ بالإشارة إلى التعليم الذي يعدّ مرتكزًا أساسيًا للحياة الثقافية. فقد كان للملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - إسهاماته الكبيرة في هذا الميدان منذ أن كان أول وزير لوزارة المعارف التي أنشئت في سنة ١٣٧٣هـ. وقفز بالتعليم في عهده كمًا ونوعًا. فأصبح في المملكة اليوم أكثر من عشرين ألف مؤسسة تعليمية يتلقى العلم فيها نحو أربعة ملايين طالب وطالبة. ويعمل فيها ما يزيد على مئتين وخمسين ألف معلم ومعلمة. وأصبح عدد الجامعات ثماني جامعات، إلى جانب البدء في إنشاء جامعات وإكاديميات أهلية.

وخطا الإعلام خطوات واسعة في عهده، إذ يصل البث الإذاعي والتلفازي إلى قارات العالم المختلفة بعدد كبير من اللغات الأجنبية، بينما تصدر في المملكة مجموعة كبيرة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية.

وصدرت في عهد خادم الحرمين الشريفين السياسة الإعلامية للمملكة، كما تم صدور نظام حقوق المؤلف الذي يعنى بحماية الحقوق الفكرية؛ إلى جانب صدور نظام الإيداع الذي تشترك وزارة الإعلام ومكتبة الملك فهد الوطنية في تنفيذ بنوده.

وقامت في عهده مؤسسات ثقافية لها دورها البارز في دفع العمل الثقافي والفكري. كما تطورت المؤسسات التي كانت القائمة من قبل بشكل واسع، فبلغ عدد الأندية الأدبية السعودية الآن نحو ١٢ ناديًا تتوزع في كبرى مدن المملكة، وتشرف عليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وهي ترمي إلى نشر الأدب والثقافة ونشر الوعي بين المواطنين. بالإضافة إلى الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون التي تطلع بدور فعّال في ميادين الثقافة والفكر والأدب والفن.

ومن هذه المؤسسات الثقافية، تلك الصروح التي تمثل نقلة نوعية في العمل الثقافي، فمركز الملك عبدالعزيز التاريخي يعدّ اليوم من أهم المعالم الثقافية الحديثة في مدينة الرياض، وهو يجسد مراحل مهمة من تاريخ الجزيرة العربية. وقد افتتح هذا المشروع الحضاري برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود في شوال سنة ١٤١٩هـ متزامنًا مع الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة.

وتؤدي مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، دورًا كبيرًا في إغناء البحث العلمي وتشجيع الابتكار في ميادين العلوم المختلفة.

وهناك أيضًا مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أحد فروع مؤسسة الملك فيصل الخيرية، الذي أنشىء في سنة ١٤٠٣هـ. ويرمي إلى دعم حركة البحث العلمي، وتنشيطها، وتشجيعها، ولا سيما في المجالات ذات العلاقة بالتاريخ والحضارة الإسلاميين، وهو يضم مكتبة ضخمة. أما مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف فيقوم بإصدار موسوعات وكتب ودراسات وبحوث متخصصة ودوريات، كما يعدّ برامج إعلامية وندوات ومؤتمرات وملتقيات علمية.

وقد افتتح في عهده مركز الملك فهد الثقافي في ٢٥ شعبان سنة ١٤٢١هـ، وهو مركز إشعاع حضاري يقصد إلى تنمية الثقافة والفنون من خلال إقامة عروض مسرحية فنية وترويحية وتراثية وندوات ومحاضرات تناقش الظواهر الثقافية الحضارية

والاجتماعية والعلمية، وتتبنى المواهب الثقافية والفنية. ويضم المركز متحف التراث الوطني الذي يبرز تراث المملكة، ومكتبة عامة تتسع لثلاثين ألف كتاب.

وتنتشر في ربوع المملكة مجموعة كبيرة من المكتبات التي ترمي إلى نشر الثقافة، وتوفير أوعية المعلومات للباحث، ومن أبرزها:

مكتبة الملك فهد الوطنية التي انشئت سنة ١٤٠٣هـ، وتبلورت فكرتها إلى أن أصبحت واقعًا في غضون سبع سنوات. وهناك مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، بالإضافة إلى الدعم الذي تتلقاه المكتبات العريقة مثل مكتبة الحرم المكي، ومكتبة الحرم النبوي الشريف التي تقع داخل مبنى الحرم النبوي، ومكتبة معهد الإدارة، والمكتبات الجامعية، والمكتبات العامة، ومكتبات الأطفال، ومكتبات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، وغيرها من المكتبات التي تضم أوعية مختلفة للمعلومات والمخطوطات النادرة.

وشهد عهده كذلك بداية انطلاقة المهرجان الوطني للتراث (الجنادرية) الذي قام بافتتاحه سنة ١٤٠٥هـ. ويرمي المهرجان، الذي ينظمه الحرس الوطني السعودي، إلى تأكيد اهمية التراث والعمل على إحيائه، وقد بلغ هذه السنة عامه العشرين. وهو يعدّ من أبرز المهرجانات العربية التي يحرص على حضورها المثقفون من كل أنحاء العالم.

وقد أصبحت المسابقات الثقافية والعلمية ملمحًا من ملامح الحياة الثقافية في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله -، وتكفي الإشارة إلى أن كل الاندية الأدبية المنتشرة في مناطق المملكة لها أكثر من مسابقة في ميادين متنوعة كمجالات الادب المختلفة، وحفظ القرآن الكريم، والبحوث التاريخية وغيرها، كما أن هناك جوائز للتفوق العلمي في كل المناطق.

وتعدّ جائزة الملك فيصل العالمية التي تمنح في خمسة مجالات هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، والطب، والعلوم من الجوائز التي بلغت شأنًا عالميًا في سمعتها. ومن الجوائز أيضًا جائزة الملك فهد بن عبدالعزيز للإبداع التي أقرّها وزراء الثقافة في دول مجلس التعاون الخليجي في اجتماعهم العاشر الذي عقد في البحرين في ٢٠٠١/٥/٢٣م.

وقد احتفلت المملكة العربية السعودية، بالرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، وتم خلال الاحتفال إبراز المعطيات الثقافية للمملكة، وافتتح مركز الملك فهد الثقافي.

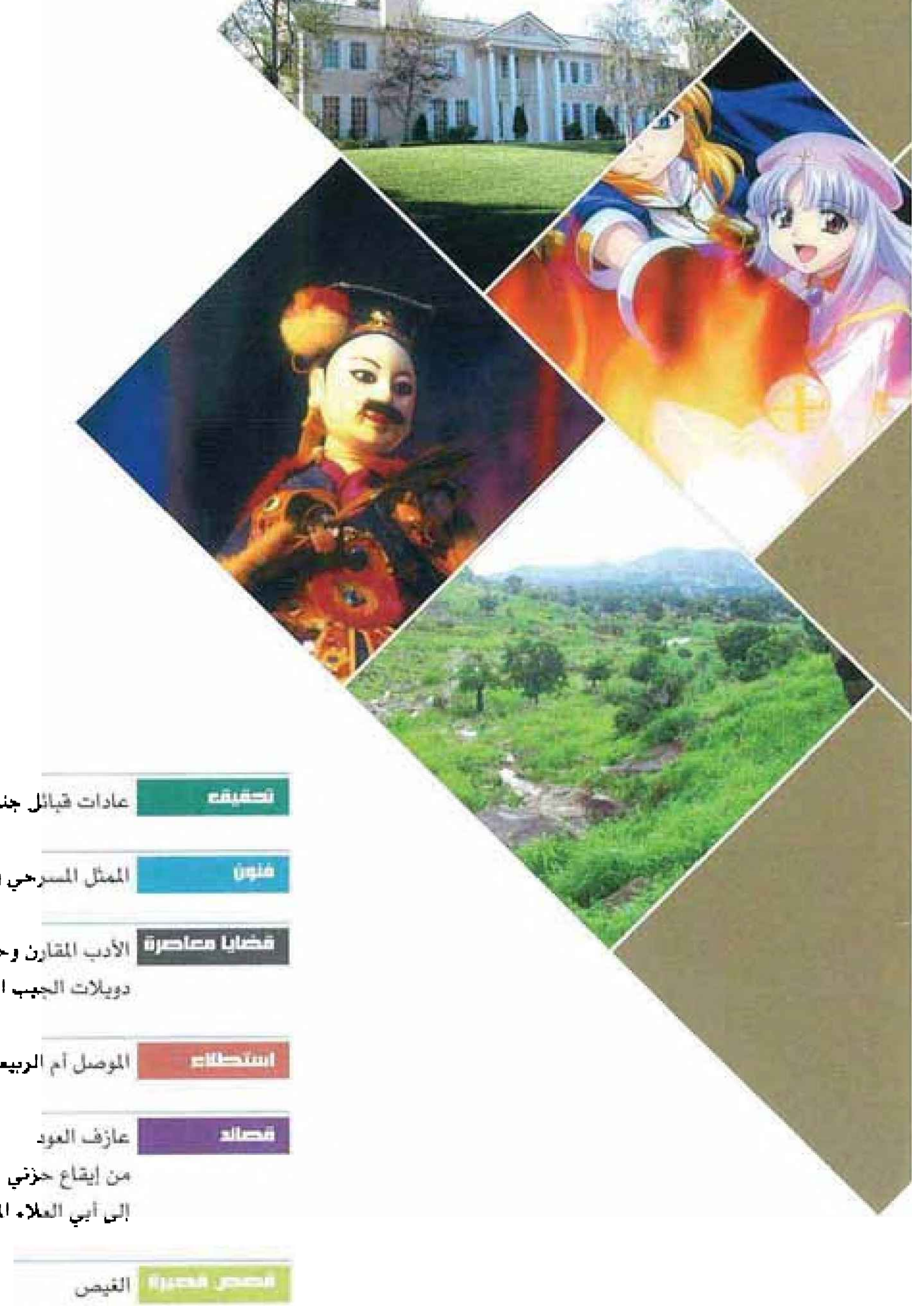
ورعى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - مهرجان الشباب العربي السادس الذي احتضنته الرياض سنة ١٤٠٤هـ بمشاركة وفود شبابية من ٢٠ دولة عربية. كما احتضنت الرياض منتدى الشباب العربي الثاني الذي اقيم تحت شعار «العمل التطوعي: عطاء وتنمية».

وامتد التأثير الثقافي للمملكة في عهده إلى العالم، إذ أقامت المملكة في هذا العهدعددًا كبيرا من المساجد والمراكز الإسلامية التي سعت إلى ربط الجاليات والأقليات الإسلامية بأصولها، وتقديم الثقافة الإسلامية لها، وإتاحة الفرصة للآخرين لتعرّف حقيقة الدين الإسلامي وقد بلغ عدد هذه المراكز أكثر من ٢١١ مركزًا إسلاميًا، و١٥٠٠ مسجد منتشرة في أسيا وإفريقية واوربا واستراليا، والأمريكتين، وذلك إضافة إلى أن الحرمين الشريفين شهدا في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - أكبر توسعة في تاريخهما، كما أنشىء مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الذي افتتحه في ٦ صفر سنة ١٤٠٥هـ، وهو يمثل علامة بارزة في مسيرة خدمة المملكة لكتاب الله طباعة ونشرًا.

وهناك كثير من مساحات العطاء الثقافي السعودي التي ظلت تمتد طوال عهده حتى شملت كل مناحي العمل الثقافي، وبلغ اثرها أبعد مدى.







مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٤٩- رجب ١٤٢٦هـ . أغسطس ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.349 - Aug 2005

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

  يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

  يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

  التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

  تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

  ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ . ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢ ... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص ب ١٠٢٥ هاتف ٢١٢٨٤٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٠٠٩٦٣ . تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤ . الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦، ٠٠٩٦٢ . البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣ . الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص ب ٢٠٠٧ هاتف ٣٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٣٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١ . الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥ . المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ . ٢٢٤، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٣ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





صورة الغلاف

بريشة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد. ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الايداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



عادات قبائل جنوب السودان وتقاليدها

حاتم إبراهيم دينار
الخرطوم ـ السودان

جنوب السودان تلك البقعة الساحرة المخضرة طوال العام، بطبيعتها الخلابة وأنهارها وأوديتها التي ترسم ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وإنسانها الإفريقي الملامح، الأبنوسي الشكل واللون. تعيش فيه قبائل مختلفة، لها تاريخها وعاداتها وتقاليدها، ولهجاتها، ومعتقداتها التي تتكيف مع طبيعة المنطقة، ومهما كان للشاعر من كلمات، والقيثارة من ألحان، والفنان من ألوان لا يستطيع أن يرسم مشاهد الروعة والجمال هناك في الجنوب الحبيب، ونحن من جانبنا نكتفي في هذه المساحة بتعريف القارئ ببعض لمحات إلى أكبر القبائل التي تعيش في المنطقة، لتشكل جانبًا من عادات وتقاليد قبائل جنوب السودان، ولاسيما قد بدأت في الأفق بوادر السلام في أرض المليون ميل مربع.

تميز الموقع

الجنوب هو ذلك الجزء الذي يقع من حوض النيل جنوب خط عرض ١٢ درجة شمالاً ويلامس جنوب دارفور وكردفان والنيل الأزرق، ويمتد إلى أن يقرب من منابع النيل الأبيض من بحيرة فكتوريا وألبرت نيانزا، وهنالك يتاخم شمالاً كينيا ويوغندا والكونغو منتهيًا عند خط عرض ٤ درجات شمالاً مع بعض التعرجات جنوب هذا الخط اقتضتها ضرورة إدارات القبائل، وشرقًا الحبشة، وغربًا الكونغو وإفريقية الوسطى.

ويجري وسط هذه المساحة نهر النيل الرئيس في سهل يبلغ ارتفاعه ١٢٦٨ قدمًا عند ملتقاه بحر الغزال عند بحيرة (نو)، وبعدها يتكون الإقليم المتسع من السدود المستديمة، والحشائش العالية، والمستنقعات الواسعة، ولكن يجف الإقليم كلما اتجهت شرقًا او غربًا شمال خط عرض ١٠ درجات. أما الفضاء الذي يجري فيه النيل من جبال الحبشة شرقًا إلى وداي غربًا، فيكون هضبة عالية تزدان بالمرعى الخصيب في جهة الغرب أيام فصل الأمطار. غير ان هذه الهضبة تظل مجدبة

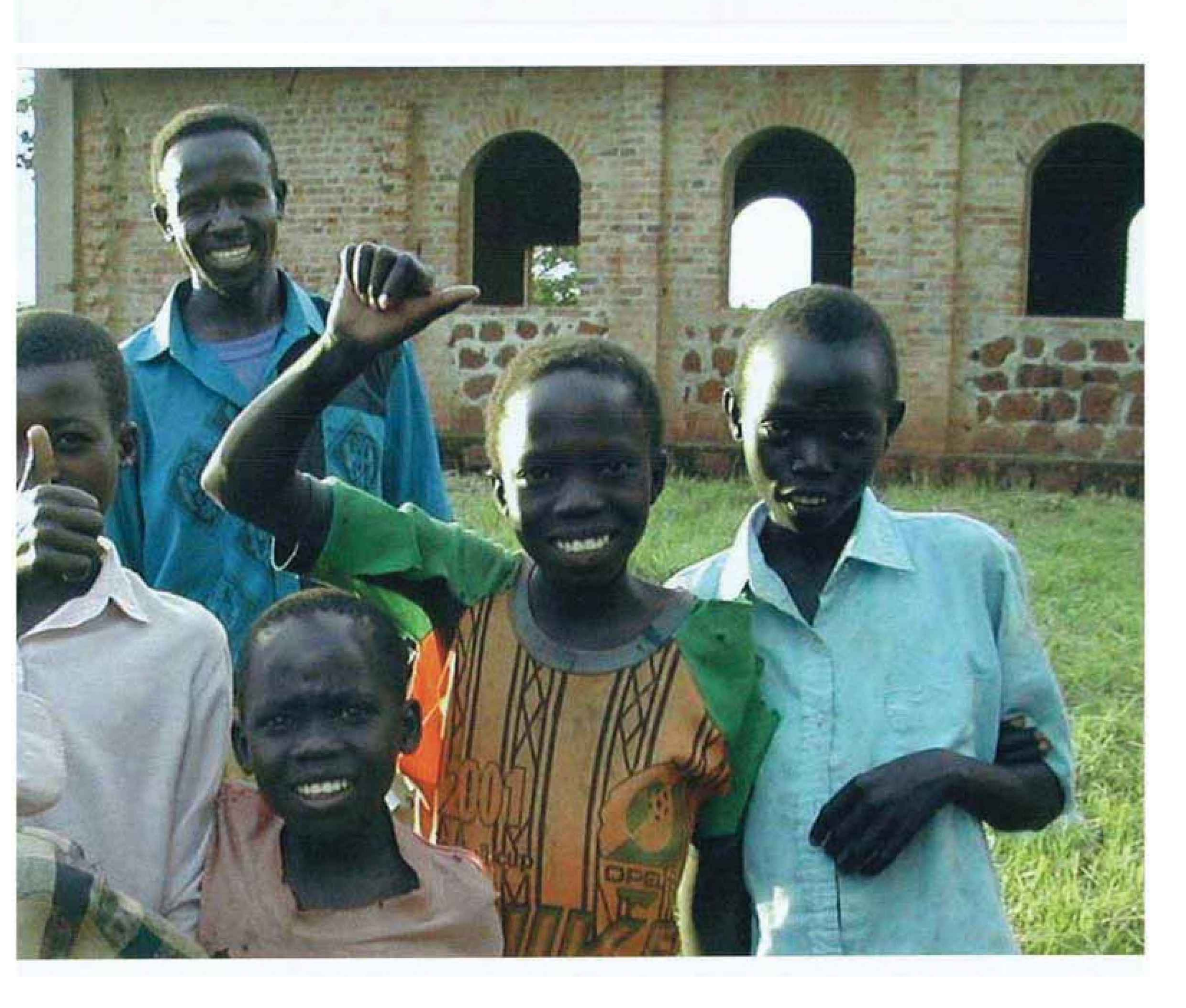


أيام الصيف، ومساحة هذا الجزء حسب التقسيم الإداري تبلغ ١٠٠، ٢٥٠ ميلاً مربعًا من مجموعة مساحة السودان البالغة مليونًا من الأميال المربعة. فتكون مساحة الجنوب ربع مساحة السودان الكلية.

مناخ جنوب السودان حار رطب غزير الأمطار خصوصًا الجزء الجنوبي الأقصى منه. وهو مملوء بالحشرات الناقلة للأمراض، المستوطنة فيه، وإذا ما نظفت مستنقعات ذلك الإقليم، وقطعت حشائشه، فإنه يكون ملائمًا وصالحًا لإقامة جميع من يرتاده من أهل القطر على اختلاف بيئاتهم، وبإصلاح تلك المجاري والمستنقعات، وجعلها تتصل بمجارى النيل الأصلى يكتسب وادى النيل مياهًا كثيرة تفيد القطر من أعلاه إلى أسفله. كما دلّت على ذلك أبحاث مهندسي الري حيث تعود الأرض صالحة للزراعة والسكن.

١٠ ولايات

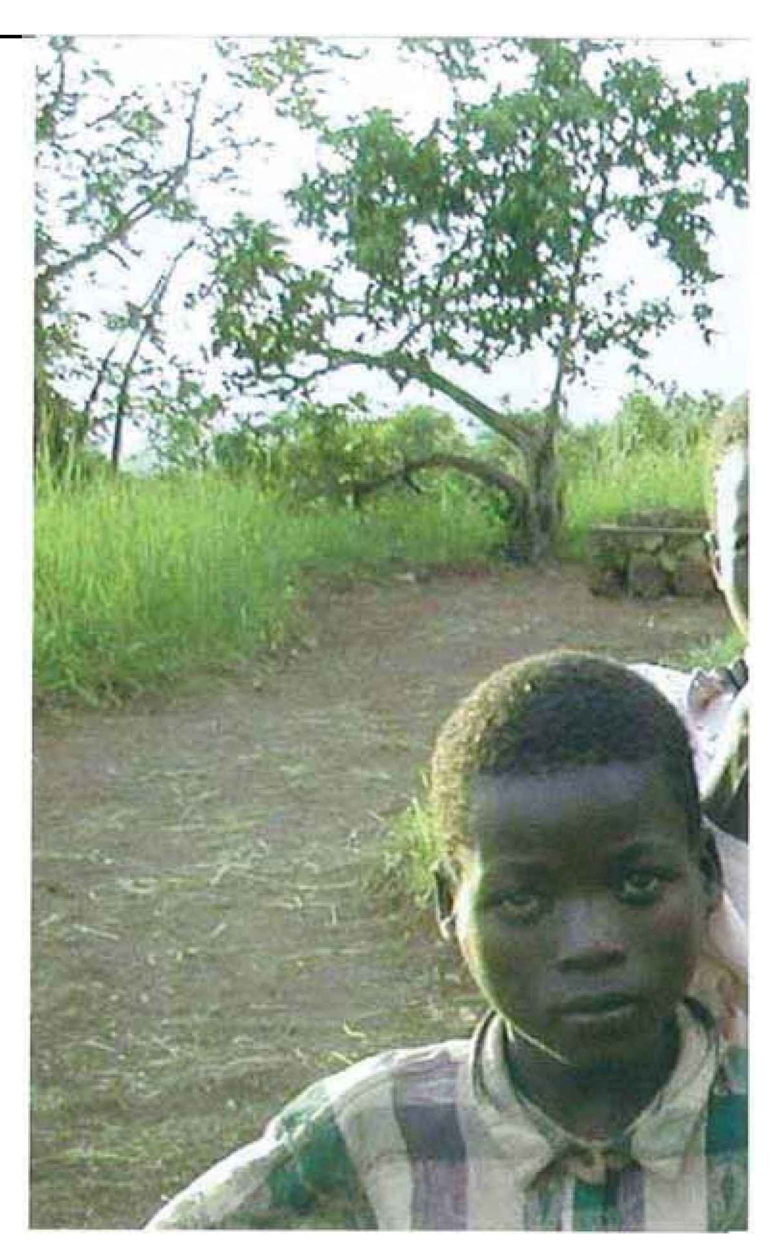
وعلى حسب التقسيم الإداري والسياسي الحالي يشكل الجنوب السوداني عشر ولايات من العدد الكلي لولايات السودان الست والعشرين. كل ولاية لها مساحة تختلف عن



الأخرى، وطبيعة وقبائل تقطنها، ومصادر للعيش. وعادات وتقاليد ايضًا مختلفة، والولايات العشر هي:

- ولاية اعالي النيل، وعاصمتها مدينة ملكال، وبها ٨ محافظات. وست وثلاثون محلية. منها ١٠ محليات مدن و٢٦ محلية ريف، ويقدر عدد سكان الولاية بنحو ٤٥٨٠١٣ نسمة. حسب أخر إحصاء لعام ١٩٩٣م، وتأتي الولاية في المرتبة العشرين في عدد السكان لولايات السودان، وتبلغ مساحتها نحو ٧٧٧٧٣ كلم٢، وتتكون التركيبة القبلية للولاية من أربع قبائل رئيسة. هي: النوير، والدينكا، والشلك واليون، إلى جانب القبائل السودانية المختلفة.

- ولاية بحر الجبل، وعاصمتها مدينة جوبا، أكبر



مدن جنوب السودان. وفيها أربع محافظات تضم في مجملها ٥٣ محلية، منها ١١ محلية مدن، و١٢ محلية ريف. ويقدر عدد سكانها بنحو ٤٨٧٢٢٩ نسمة، وتبلغ مساحتها نحو ٢٢٩٥٦ كلم ٢، وتقطن الولاية نحو ثلاث عشرة قبيلة، إضافة إلى مجموعة من مواطني القبائل المجاورة الذين نزحوا إلى مدن الولاية، ومن أهم قبائلها الباريا، والمنداري، والفاجوك، والكاكوا، والبانق روا، واللوكويا، واللوتو.

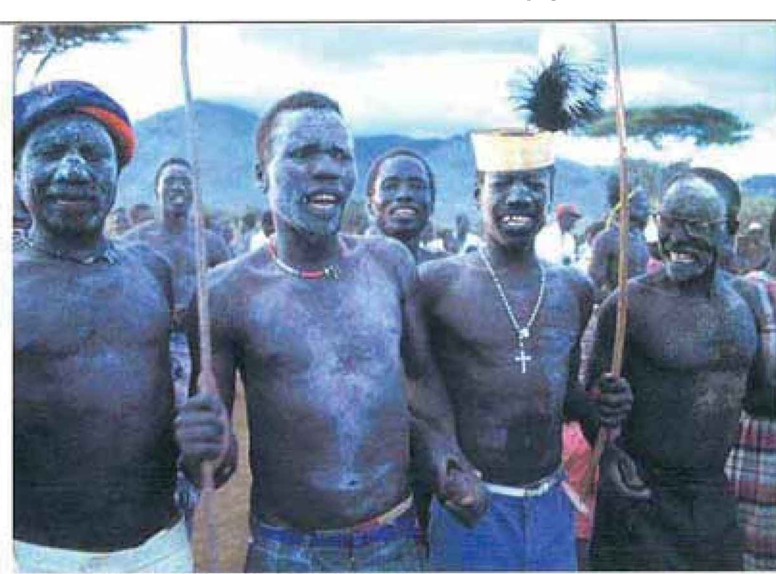
- ولاية البحيرات، وعاصمتها مدينة رمبيك، وبالولاية ثلاث محافظات، مقسمة إلى ٢٢ محلية، ويقدر عدد سكانها بنحو ٤٠٠٨٢ نسمة، وهذه الولاية تأتي في مؤخرة الولايات من حيث عدد السكان في السودان، وتقدر مساحتها بنحو ٤٠٢٣٥ كلم٢. وتتكون الولاية من قبيلة واحدة، هي: الدينكا، ومقسمة إلى عدة بطون، وهي دينكا أتار، وأقول، والشيش، ودينكا الياب.

- ولاية جونقلي، وعاصمتها مدينة بور، وفيها خمس محافظات، تضم ٢٠ محلية، ويبلغ عدد سكانها نحو ٥٢٧٢٤٠ نسمة، فتأتي الولاية في المرتبة ١٨ من حيث ترتيب السكان، وتبلغ مساحتها نحو ١٢٢٤٧٩ كلم٢، وأهم قبائلها: الشلك، والنوير والأنواك، والدينكا (بورابيليانق)، وتستخدم كل قبيلة اللهجة الخاصة بها.

- ولاية شرق الاستوائية، وعاصمتها مدينة كبويتا، وتنقسم الولاية إلى ثلاث محافظات، تضم ٢٩ محلية، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٧٦٧٢١ ، وتأتي في المرتبة ٢٢ من حيث عدد السكان في السودان، وتبلغ مساحتها نحو ٨٢٥٤٢ كلم٢، وتضم الولاية نحو عشر قبائل رئيسة، أهمها: التبوسا، واللاتوكا، والبويا، واللوكورو، ولويت، والليمو، والكنت.

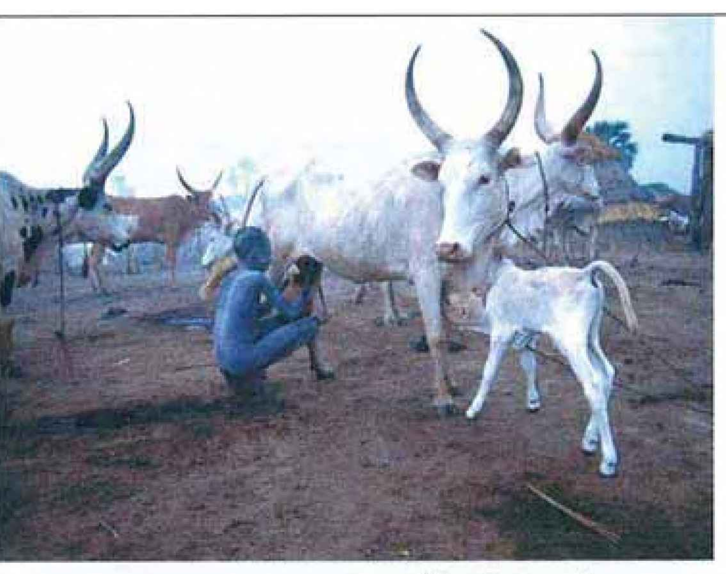
- ولاية شمال بحر الغزال، وعاصمتها مدينة أويل، وبالولاية أربع محافظات مقسمة إلى ٤٠ محلية، ويبلغ عدد سكانها نحو ٥٩٨١٦١ نسمة، وتأتي في المرتبة ١٦ من حيث عدد السكان لولايات السودان، وتبلغ مساحتها نحو ٣٣٥٥٨ كلم٢، وتقطنها قبيلة الدينكا (دينكا ملوال)، وبعض القبائل الأخرى، منها الجور، والمسيرية وعرب شبشة، والفلاتة (إربو).

- ولاية غرب الاستوائية، وعاصمتها مدينة يامبيو، وتتكون من أربع محافظات، وتضم ١٦ محلية، ويقدر



لكل قبيلة فنونها وتقاليدها في المناسبات المختلفة





يطغى عند الدينكا حب الأبقار وتربيتها

عدد سكانها بنحو ٢٧٤٤٦٧ نسمة، وتبلغ مساحتها نحو ٧٩٣١٩ كلم٢. ويقطنها عدد من المجموعات القبلية، أهمها: مجموعة بونقو بانقريمي، ومجموعة مورومادي، ومجموعة الزاندى، بالإضافة إلى أقليات من القبائل الأخرى.

- ولاية غرب بحر الغزال، وعاصمتها مدينة واو، وهي ثاني أكبر مدن الجنوب بعد جوبا وتضم الولاية ثلاث محافظات، وفيها ١٥ محلية، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٢٣٩١ نسمة، لتأتي الولاية في المرتبة ٢٤ من حيث ترتيب عدد الولايات في السودان، وتبلغ مساحتها نحو ٩٣٩٠٠ كلم٢، وتتكون الولاية من مجموعة من القبائل المختلفة، أهمها: الفراتيت، والجور، والدينكا والفلاتة.

- ولاية واراب، وعاصمتها مدينة واراب، وتضم أربع محافظات، تشمل ٢٤ محلية، ويقدر عدد سكان الولاية بنحو ٢٩٢٦٠٨ نسمة، وتقطنها مجموعة من القبائل، أهمها: الدينكا، والبنقو، والجور، والفلاتة، وتأتي الولاية في المرتبة ١٤ من حيث تعداد السكان، وتبلغ مساحتها نحو ٣١٠٢٧ كلم٢.

- ولاية الوحدة، وعاصمتها مدينة بانتيو، وتنقسم إلى أربع محليات، وتضم ٥٥ محلية، ويقدر عدد سكانها على حسب آخر تعداد سكاني أجري في عام ١٩٩٣م بنحو ٢٢٠٠٠٩ نسمة، وتبلغ مساحتها نحو ٤٢ ألف كلم٢، وتقطنها ثلاث قبائل، هي: النوير، ودينكا، ورودينق، ودينكا فارينق.

قبائل الجنوب

وينقسم سكان جنوب السودان إلى خمسة أقسام رئيسة من القبائل في الوقت الحاضر وهي الدينكا،

الثابت عند معمري الشلك أن منطقة توتي عند مقرن النيلين شمال الخرطوم كانت موطنًا لهم، وأن اسمها مستمد من زعيم شلكاوي اسمه (توت)، وقالوا: إنهم تراجعوا جنوبًا على أثر الفتوحات الإسلامية في أول القرن الهجري

والنوير. والشلك، والزاندي، والباري يضاف إلى هؤلاء بعض القبائل المتناثرة على أطرافه. وهي قلة. وهذه القبائل وما تفرع منها تسكن جنوب خط عرض ١٢ درجة، وتنتشر إلى حدود يوغندا جنوبًا، وإلى الغرب تمتد إلى الجزء الذي يشمل أنهار بحر الغزال. وإلى شرق حوض نهر النيل مشتملة على نهر البيبور. وسوباط في أعالي النيل. وأبناء هذه القبائل طويلو الأجسام، مستطيلو الرؤوس، سود البشرة. باستثناء تلك القبائل التي تسكن منطقة بحر الغزال، وعند مجرى نهر الكنغو، فأبناؤها أميل إلى القصر مع استدارة في الرؤوس، ويتميزون باللون النحاسي.

وقبائل الدينكا والشلك والنوير هي أكبر قبائل الجنوب، وأصلها واحد. وأما العنصر الآخر فقد نزح من الجنوب الغربي للبحيرات من جهة نهر الكونغو. ويقول البروفيسور سلجمان: إنهم حاميون، وهم مجموعة زنجية مستديرة

تركيبة قبيلة الدينكا تعدّ مزيجًا من أقوام وقبائل وعشائر تداخلت من مختلف المناطق والجهات إلى أن انتهوا إلى تكوين أكبر القبائل في السودان بذلك السمو الأخلاقي الفطري واليوم الدينكا هي أكثر القبائل الجنوبية اعتناقًا للإسلام

الرأس لونهم أخف من لون النيليين، وقامتهم أقصر. وكانوا يقطنون حول بحيرة تشاد، ثم هاجروا جنوبًا إلى إفريقية الاستوائية الفرنسية، ثم شمالاً إلى خط تقسيم المياه بين الكونغو والنيل. وأهم هذه المجموعات الزاندي، ويسكنون أعالي بحر الغزال، ويظن بعض العلماء أن لونهم الفاتح يرجع إلى اختلاطهم في فترة من فترات نزوح القبائل التاريخية بجماعة البربر أو بعض الحاميين.

وقد تفرعت المجموعة التي نزحت من جنوب شرق البحيرات إلى قسمين كبيرين، هما: الدينكا، والشلك. ومن الدينكا تفرع النوير، ومن الشلك تفرع الأنواك. والبير أو عجيبا، وجميع من تكلم الشلكاوية من شعب (ليو).

أما الدينكا فمن بعد ما تفرع منهم النوير انقسموا إلى قسمين: قسم ذهب إلى شمال البحيرات. والآخر إلى شمالها الغربي. وكذلك النوير. فإنهم انتشروا حتى الشمال الشرقي من البحيرات الكبيرة، والشمال الغربي منها. وفي أثناء تنقل هذه القبائل من الشمال إلى الجنوب اصطدمت بموجات من البشر نزحت من الشمال إلى الجنوب من الوادي باحثة عن المرعى والكلأ في سهول السودان وأوديتها الخصيبة، فامتزج، منها من امتزج وبقي منها من بقي محافظًا على سحنته الأصلية، ونتج لون يشبه لون (الشيكولاتة)، أو اللون البني نتيجة


أدوات الزينة من عناصر التمييز بين القبائل





اختلاط نازحي الشمال بمهاجري الجنوب، والدم الذى يجري في عروق كل السودانيين ما عدا القليل من سكان الأطراف فهو من هذا المزيج.

فإذا فرضنا أن هؤلاء المواطنين الذين هاجروا من الجنوب الأقصى قد نزحوا من يوغندا أو كينيا أو الكنغو، وأن الذين هاجروا من الشمال نزحوا من مصر والحجاز

ذكر المؤرخون أن الزاندي، مجموعة قبائل قد تجمعت، وتعايشت، وتصاهرت، وكونت مجتمع الزاندي الحديث، و أنهم لم يأتوا دفعة واحدة أو في زمن واحد أو من جهة واحدة، إنما دخلوا السودان على دفعات، وفي تواريخ مختلفة

الدينكا النيليون هم أكبر قبيلة في السودان، وقال بعضهم إنهم ثاني أكبر قبيلة في إفريقية بعد الماساي بكينيا، والدينكا يمثلون ١١٪ من مجموع سكان السودان كما يمثلون ٥٠٪ من سكان جنوب السودان

والشام والحبشة وشمال إفريقية. فقد طال زمن هذه الهجرة، وبلغت آلافًا من السنين.

وقد يجوز أن الامتزاج قد عاصر عهد الفراعنة؛ لأن مقارنة قرن ثور الدينكا والنوير ذي القرن المعكوف بقرن العجل أبيس الفراعنة تدل على أن هؤلاء القوم؛ أي: النيليين قد عاصروا الفراعنة، وهم في أرض هذا الوطن، وأخذوا بعض تقاليدهم وعاداتهم. وهنالك رأي للأستاذ المرحوم محمد ثابت الرحالة المصري يرى أن المصريين اتوا من شرق إفريقية بالطريق الذي أتى منه الدينكا، والنوير، والشلك. كما يرى الكثيرون أن المصريين جميعًا هاجروا من أواسط إفريقية في عصور ما قبل التاريخ، وحلّوا بمصر. ويؤيد ذلك قرب الشبه بين سحن المصريين الأصليين وبعض قبائل كينيا اليوم، نخص منهم المساي، والتوركانا، وقد يكون لآثار زمبابوي في روديسيا علاقة بالمصريين، ولا شك في أن لنهر النيل العظيم أثرًا كبيرًا في توزيع الإنسان قديمًا؛ لأن سير الإنسان كان قيد الأنهار الكبيرة، وقد سجل الإغريق علاقتهم بشرق إفريقية إلى زنجبار منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ولعل أتباع الفينيقيين، والعرب من قبلهم، وأعقبهم الروم الذين وأغرموا بالذهب والأحجار الكريمة لا يبعد أن يكونوا قد فتحوا طرقًا تجارية إلى هناك

الدينكا

تعدّ المجموعة النيلية التي ينتمي إليها الدينكا من أكبر المجموعات القبلية في السودان، بالإضافة إلى الشلك والنوير والأنواك وبعض قبائل الاستوائية، وبحر الغزال، وجنوب النيل الأزرق، وغيرهم. والدينكا - وهم أكبر هذه المجموعة والنيليين عمومًا، كما ذهب الكثير من المصادر - جاؤوا في غابر الأزمان إلى السودان من سفوح الهضبة الإثيوبية، واستقروا أولا في الجزء الجنوبي من منطقة البيبور، الحالية وتحلقوا حول الأنهار والمستنقعات، وعاشوا هناك فترات طويلة من الزمن، وخاضوا معارك مع من هدد وجودهم من قبائل عاشت قبلهم، وقد قسم الدينكا إلى قسمين: إنيليين، ونيليين حاميين.

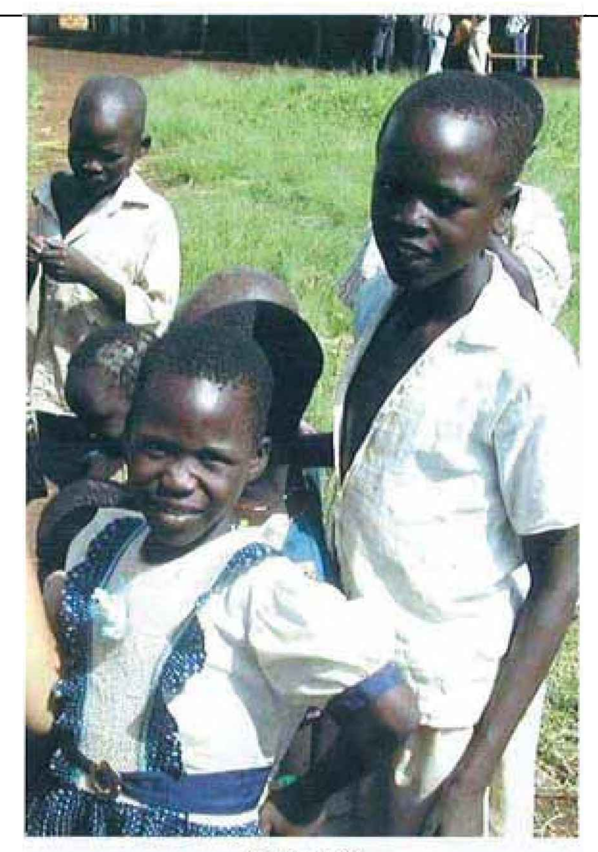
والدينكا النيليون هم أكبر قبيلة في السودان، وقال بعضهم: إنهم ثاني أكبر قبيلة في إفريقية بعد الماساي بكينيا، والدينكا يمثلون ١١٪ من مجموع سكان السودان كما يمثلون ٥٠٪ من سكان جنوب السودان، وينقسمون إلى قسمين كبيرين، هما: دينكا كوي، ودينكا ليط: دينكا كوي يحلف أحدهم قائلاً (أوك كوي)، ويعني أنه حلف بجده الأكبر، هو اسم عندهم غليظ وعزيز يقتصر البر والايفاء، وقد سمي الجد الأكبر (كوي) تيمنًا بالصقر القوي الأبيض ذي الرقبة المائلة إلى السواد، ويسميه أعراب البقارة (بولي)، وهو صقر كاسر وسريع الانقضاض على فريسته، إذ ما إن تظهر صغار الاسماك على سطح الماء، وتختفي يكون قد أخذ نصيبه منها في قوة وسرعة فائقتين وإصابة لا تخطئ الهدف بأية حال، هذا وينقسم دينكا كوي إلى دينكا ريك، ومركزهم التونج، ودينكا قوقريال، وهم خليط من دينكا ريك، ودينكا توج، والقسم الثالث والأهم، دينكا ملوال، وهم أكبر مجموعات الدينكا قاطبة، وأهم مراكزهم أويل، ويطلقون على أنفسهم الصين الشعبية لكثرتهم ولخصوبة أرضهم، وصالح مراعيهم، وصار لهم ثراء في المال. ومن فروعهم الكثيرة الجور(وهي قبيلة كبيرة تزاوجت مع الدينكا)،

كويلي، وكواوين، وقديموك، ودومــاي، اقورة، وقكير، وقيوم، وغيرها. ويقولون: إن حروبًا في الماضي مع غيرهم من القبائل: (أي: الحروب الكبيرة) لايكتب لها النجاح والنصر إلا إذا شهدها دينكا ملوال. وبنظرة فاحصة إلى تركيبة دينكا ملوال العرقية الذين يمثلون أكثر من ٦٠٪ من دينكا السودان، نجد أن للقبائل الذائبة فيهم اثر التزاوج والتمازج والانصهار بعد المعايشة الطويلة تجدها تشكل أكثر من ٥٠٪ منهم. وهو مثال صادق للتكوين المختلط للدينكا من قبائل شتى.

إما القسم الثاني من دينكا السودان فهم دينكا ليط، وسمي الجد ليط أيضًا تيمنًا بالصقر الأبيض الذي يخطف في انقضاض مذهل صغار العصافير، ودينكا ليط كدينكا كوي ينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهم دينكا اقار، واهم مراكزهم رمبيك، ودينكا أتوت، وشيش، وأهم مراكزهم يرول، ودينكا بور، وأهم مراكزهم مدينة بور، وأول من ترجم الإنجيل بالجنوب ترجمه بلهجة دينكا بور، وهو اسم القبيلة وليس اسم المكان المعروف بمدينة بور. حيث اكتسبت المدينة اسمها من اسم القبيلة بور.. وينتمي معظم دينكا اعالي النيل إلى الجد ليط، كما أن معظم دينكا بحر الغزال ينتهي نسبهم إلى الجد كوي. وكثير من الدينكا وصلوا جوبا. وتعدّ المناطق الشرقية والجنوبية من أعالي النيل الحالية هي الموطن التاريخي للدينكا. وإن كان هنالك مقولات وجدت عند كثير من معمري الدينكا تقول: إن الدينكا في الزمان السحيق استوطنوا مع أبناء عمومتهم الشلك والنوير، وبقية النيليين حتى منطقة الخرطوم الحالية. وإن كلمة الخرطوم بلغة الدينكا ذات مقطعين خر، وتعني نهر، أو بحر، وطوم، وتعني (لم) اوالتقاء، والكلمة كلها تعني عندهم ملم أو التقاء النهرين، وهكذا ينتهون إلى القول: إن أجدادهم مدفونون في الخرطوم، ربما في زمن وقرون سبقت التاريخ، ولكن تلك دعواهم.

وهنالك خرافة تصل درجة التقديس عند عموم الدينكا في السودان، تقول: إن جد الدينكا جميعًا، ويسمى دينج ديت، وتعني بلغتهم ربنا الكبير. قالوا: إنه في زمن من الأزمان البعيدة السحيقة قد جاء مطر، وسبقه غمام كثيف، وظلام دامس، ثم أعقبه برق مضيء بدد الظلمات، فنزلت بنت ممشوقة القوام فارهة جميلة نازلة مع ذرات المطر اسمها آلوت وآلوت بلغة الدينكا تعني بنت الغمام أو بنت رذاذ المطر، وكانت حبلى منتفخة البطن، ومع نزولها ولدت فورًا ولدًا صغيرًا جميلاً باسنان بيضاء ناصعة فقالت (آلوت) للخلق من حولها: هذا الولد جاء معي من السماء، وإن كنتم عاوزين الولد

المرأة في الجنوب مكانتها


نظرة إلى المستقبل

يتحدث إليكم فاحضروا ثيرانًا بيضًا، واصنعوا ولائم وذبائح وكرامة. وبعد الذبائح والكرامات والأعياد، ووسط جموع الناس سوف يتكلم الولد الصغير. فعملوا بنصائحها، وتجمعوا جميعًا من فجاج الدينكا كلها، وذبحوا الذبائح، وأقيمت الكرامات، فجاء المطر، وانهمر كثيرًا فقالت ألوت: إن اسم هذا الولد هو دينج ديت، وإن هذا الولد سوف يحفظكم جميعًا وهو الصلة بيني وبينكم، والله خالق الخلق أجمعين. ومن خلال المطر والرعد والبرق طارت ألوت إلى السموات العليا، وتركت دينج ديت مع جمهور الدينكا، وتكلم الصبيّ حاثًا الدينكا على أن يخصص كل واحد منهم واحدة من أبقاره باسم دينج ديت، وإن فعل ذلك فليس له الحق ببيعها إنما عليه أن يحسن تربيتها للتكاثر عنده، ويستفيد منها في الزواج، وشرب اللبن وأكل لحمها، وكذلك أصبح الدينكا يحفظون عددًا من الضأن والماعز باسم دينج ديت، وأصبح رجل الدينكا يذبح في كل عام ثورًا كرامة باسم دينج ديت، وفي مواسم الأمطار، وفي أول مواسم نضوج الذرة، ولابد أن تكون كرامات دينج ديت، من أفضل ما عنده، هذه خرافة واعتقاد عند قبائل الدينكا.

وقد طغى عندهم حب الأبقار وتربيتها، والذود عنها وشيء توارثوه من أجدادهم أن الزواج يكون المهر فيه بعدد رؤوس الأبقار، والديات والتعويض وكذلك لجميع الدينكا معتقدات من جدهم الكبير دينج ديت بألا يزنوا، ولايسرقوا، ولا يقربوا إلى زوجات غيرهم، ومنع الغدر، وإن جاءهم غريب أو طريد ديار فإنهم أولى بإيوائه، والبر به، وضمه للقبيلة؛ لذلك صار مجتمع الدينكا كأفضل المجتمعات الجنوبية وأطهرها إذا ما قيسوا بغيرهم من القبائل، وهكذا وجد الدينكا في السودان، وتكاثروا وفق معايير وقيم وأخلاق يندر أن توجد في قبيلة نشأت في البدء بعيدًا من أديان السماء، وكذلك نجد فتى الدينكا أحرص على شرف الفتاة البكر أكثر من حرصها هي على نفسها على الرغم من الاختلاط التلقائي الذي تفرضه البيئة والحرية للمنطقة بينهم، مع ما كان سائدًا من عادة التعري لوقت قريب، ولكن لم تسجل - وعلى طول تاريخهم - حالة اغتصاب واحدة على الرغم من انهم بتلك الكثافة السكانية الأنثة الذكر، كما أن الدينكا لا يقرون بينهم الاسترقاق، فعندما كانوا يحاربون في الماضي القبائل الأخرى، ويأتون برجالها أسرى لديهم يعدُّونهم منذ وصولهم ديار الدينكا احرارًا وإخوة لهم يتساوون معهم في كل شؤون الحياة، ويملكونهم المال، ويزوجونهم من بناتهم، ويعدُّونهم كالإخوان الأشقاء تمامًا.

لكل ما سبق ذكره فإن تركيبة قبيلة الدينكا تعدّ

مزيجًا من أقوام وقبائل وعشائر تداخلت من مختلف المناطق والجهات إلى أن انتهوا إلى تكوين أكبر القبائل في السودان بذلك السمو الأخلاقي الفطري واليوم الدينكا هي أكثر القبائل الجنوبية اعتناقًا للإسلام، ويعدون والشلك اكثر قبائل السودان تأثرًا بأهل السودان في الشمال ومجاورة لهم، والدينكا أكثر القبائل تزاوجًا

الإنجليزي جيمس بروس إلى أن ملوك الفونج أصلهم من الشلك الذين تصاهروا وتزاوجوا مع أولئك الوافدين من المسلمين حتى تسنى لهم قيادة شتات القبائل العربية وغيرها، فأقاموا تلك الدولة». وقد أيّده في استنباطاته تلك كثير ممن جاؤوا من بعده من الرحالين الأوربيين، فقد قال بورس الذي زار سنار عام (١٧٧٢م): إن شكل



الخضرة سمة للجنوب السوداني



الطرق الوعرة من مخلفات الحرب الضروس

مع القبائل العربية، خاصة مع قبائل البقارة، حتى إن بعض الجنوبيين يقولون: إن الدينكا هم عرب سود.

الشلك

جاء في كتاب «سواكن والبحر الأحمر» لمحمد صالح ضرار قوله: «اختلفنا نحن أبناء السودان والإفرنج في أصل ملوك دولة الفونج الإسلامية الذين أسسوها واستطاعوا السير بها قرونًا. فقد ذهب الرحالة

السلطان ولون بشرته يدلان على أنه من الشلك. ويقول مستر ريد مدير النيل وقتها: إن الجعافرة، ومعهم أعراب كثيرون وجدوا الشلك يبسطون نفوذهم في مناطق شاسعة، ويسكنون حول الدويم، حيث تراجع الشلك من تلك المنطقة، بعد حروب شديدة. وجاء في كتاب «النيل الأبيض حديثًا وقديمًا» للمؤرخ الراحل التيجاني عامر «أن قبيلة الشلك تمددت في الماضي إلى أن وصلت

مشارف الخرطوم الحالية. ثم تقلص نفوذهم شيئًا فشيئًا إلى أن وصلوا حدود مدينتهم فشودة في أيام الحكم الثنائي. وهي مديرية أعالي النيل الحالية نفسها. ثم قال في كتابه: «ولكن الشلك في معظم حالات نزوحهم جنوبًا كانوا مختارين. وبمحض إرادتهم».

ومهما يكن الحديث عن الفونج وعلاقتهم بالشلك، فإن الالتحام والتداخل بين العرب ومن وجدوهم من قبائل بجبال الفونج أو الهمج. قد جعلا كل تلك الدماء الإفريقية والعربيه بهذه المنطقة تتبنى عن نواة بشرية اتت في اثر هذا المزيج المتجانس والذي استطاع بقوة وحدته أن يقضي على الدولة المسيحية بسوبا، ويقيم على انقاضها أول دولة إسلامية بمناطق وسط السودان، وأن الشلك قد أدّوا دورا مقدرًا في أمر التصاهر والتزاوج والتعايش منذ قرون، فقد ثبت أن بادي أبو دقن - ملك الفونج - قد دخل مع الشلك في حروب طويلة. ثم حدثت هدنات بينهم، وأن الشلك كانوا يشكلون قوة عسكرية كبيرة، وبعد أن هزمهم بادي في آخر المطاف بقوة الدولة كلها ذابت أعداد منهم في دولة الفونج، وتراجع آخرون إلى مواطنهم الحالية.

والشلك كانت، ولا تزال، من أكبر قبائل الجنوب، وتعدّ هي وقبيلة الدينكا أكثر قبائل الجنوب تزاوجًا وتداخلا مع

على حسب التقسيم الإداري والسياسي الحالي يشكل الجنوب السوداني عشر ولايات من العدد الكلي لولايات السودان الست والعشرين. كل ولاية لها مساحة تختلف عن الأخرى. وطبيعة وقبائل تقطنها. ومصادر للعيش، وعادات وتقاليد أيضًا مختلفة

احتل الأتراك بلاد الشلك عام ١٨٦٧م. وكان يحكم الشلك وقتها الرث (كوانير)، وهو الرث الذي عزله مدير فشودة. واستبدل به الرث أجانق نيدهوق فلم يذعن الكثير من الشلك لهذا القرار، لأنه جاء خارقًا لعاداتهم وتقاليدهم في اختيار الرث

القبائل العربية، التي تقاسمهم المرعى والحياة في الشمال وقيل: إن الشلك، وهم محاربون شجعان، قد أدّت الحروب على مر العصور إلى هلاك الكثير من رجالهم، وإلى إضعافهم، وقلة عدد القبيلة قياسًا بما كانت عليه ساعة تمددها وانتشارها. فهم قد جاؤوا من جنوب شرق البحيرات، ويقول بعض معمري الشلك: إنهم كانوا قد هاجروا شمالاً عن طريق بحر الغزال، ثم إلى موطنهم الحالي تحت قيادة بطلهم التاريخي والأسطوري (نياكانج) رأس العائلة المالكة. ثم امتزجوا بمن وجدوهم من سكان واستوطنوا الجزء الغربي من شاطئ النيل الأبيض، ويشارك الشلك في عاداتهم ولهجتهم قبائل الآشولي واللانجو، والور، وجابادول.

وينقسم الشلك إلى قسمين رئيسين هما (قر)، و(لواك) حيث يسكن قر المنطقة من قرية قاديت غرب ملكال حتى تونجة على ضفتي النهر. أما لواك فيسكنون من قرية قاديت جنوبًا حتى كاكا شمالاً. على الضفة الغربية للنيل الأبيض، ولكن عمومًا مساحة أرض الشلك تبلغ نحو (٢٠٠) ميل طولاً و(٣٥) ميلاً عرضًا على ضفتي النيل الأبيض من كدوك إلى بحر الزراف. وقد جاء في التعداد الذي أجرته الحكومة التركية عام ١٨٧١م أن الشلك كانوا من كبريات قبائل السودان. وأنهم

كانوا يسكنون ثلاثمئة قرية، وأن تعدادهم في ذلك الزمان قد فاق المليون نسمه، ولكن عددهم اليوم أقل من ذلك بكثير لأسباب أرجعها بعضهم إلى حروبهم الكثيرة المستمرة وعلى جبهات متعددة، فهم شجعان لا يغادرون أرض المعركة إلا بعد الانتصار أو تقديم أعداد كبيرة من القتلى، كما قيل: إنهم يغلون من المهورمع ضعف مواردهم، هذا الامر يقلل من الإقبال على الزواج.

والشلك تجاورهم الدينكا من الشمال، والنوير، والدينكا في الجنوب والشرق، والنوبة والتعايشة في الغرب عند بلدة الجبلين. وفي الصيف يعبر الشلك بأعداد كبيرة إلى الشاطئ الشرقي طلبًا للمرعى. وأرض الشلك خصبة ومسطحة، وتكثر فيها الحشائش، وهي من المناطق الزراعية المهمة، وفي الخريف تكثر فيها المستنقعات.

والثابت عند معمري الشلك أن منطقة توتي عند مقرن النيلين شمال الخرطوم كانت موطنًا لهم، وان اسمها مستمد من زعيم شلكاوي، اسمه (توت)، وقالوا: إنهم تراجعوا جنوبًا على اثر الفتوحات الإسلامية في أول القرن الهجري، ويذكر المثقفون إن - مصداقًا لزعمهم ولروايتهم هذه - ما جاء في كتاب «طبقات» ود ضيف الله؛ من أن هنالك سبع عشرة مدرسة كانت منتشرة من الخرطوم إلى (اليس) خرّبها الشلك بغاراتهم المتكررة، وخاصة في سنة (ام لحم) وهي سنة مشهورة صادفت العام الهجري ١٠٩٥هـ، وهناك رواية تدل على سكن الشلك في منطقة الكوة الحالية.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن أمهات الفونج من الشلك؛ لأن كلمة (فونج) محرفة من كلمة (بونج) التي تعني في لغة الشلك معنى أجنبي، وبهذا التزاوج نتج من أسمومهم (فونج)

يمتاز الشلك من غيرهم من القبائل بأنهم يتمتعون بنظام حكم قبلي مستقر، حيث يخضع جميع أفراد القبيلة لرئاسة (رث) واحد، وبيده السلطات الروحية والإدارية والاجتماعية، وطريقة اختيار الرث عند الشلك (عندما يخلو المنصب) يترشح كل أبناء الرث السابقين، ولا يحق الترشيح لغيرهم، ويتم اختيار الرث الجديد وفقًا لأعراف وتقسيمات (لياكانج) الأب الروحي لجميع الشلك، وكانت هنالك عادة سائدة بين أبناء الطبقة الحاكمة، وهي أن يتربص ابناء الرثين السابقين بالرث المعين ليقتلوه، ويحلّ محله القاتل، ولكن حرمت هذه العادة اليوم تمامًا، وإن قام اى فرد بفعل ذلك تردعه القبيلة، وتحاسبه بقوانينها، ولكن إذا طال المرض بالرث، وكان مرضًا عضالاً يصعب شفاؤه منه، يقوم اقرباؤه بخنقه، فيريحون منه القبيلة، ويريحونه هو من معاناة الآلام، فبعذابه تتعذب القبيلة، وهو يواجه ذلك المصير بشجاعة وقناعة ورضا.

وقد احتل الأتراك بلاد الشلك عام ١٨٦٧م، وكان يحكم الشلك وقتها الرث (كوانير)، وهو الرث الذي عزله مدير فشودة، واستبدله به الرث أجانق نيدهوق فلم يذعن الكثير من الشلك لهذا القرار، لأنه جاء خارقًا لعاداتهم وتقاليدهم في اختيار الرث، وكان ذلك سببًا في ثورة الشلك على الأتراك، فحينها قاموا بحصار فشودة وأرغموا الحكومة التركية في صيف عام ١٨٧٥م على إعادة الرث كوظيفة اجتماعية وسياسية ودينية، وتمّ تعيين(كويكون) حينها، وهو ابن الرث الشرعي التي أتت بها طقوسهم، ولم تستطع الحكومة بجبروتها وقوتها على إرغامهم على قبول نظام حكم غير ما تفرضه عاداتهم وتقاليدهم

ومن عادات الشلك انهم لا يجيزون زواج الأقارب، ولا يختنون الجنسين، ولا يقتلون الثعبان أبدًا، ويغالون في منع قتل الثعبان الأصفر، وهم لا يتكلمون في اثناء نزول المطر، ويعدّ السمك والذرة الغذاء الرئيس عندهم، وعندما يراد الفصل في اي خلاف شجر بين

أفراد من الشلك، فإن رئيس المحكمة يحضر الخصوم، ويدعو الذي عليه (الجرم) لأداء اليمين أن يجهز نفسه، ويضع يده على تراب بيت جيكانج المقدس عندهم. بفشودة، وهنا لا يحلف الشلكاوي إلا صادقًا، مهما كلفه من أمر، وهو أيضًا لا يحلف إلا في أقصى حالات الاضطرار، وهو أمر يدل على قوة الاعتقاد في جيكانج.

من الحصير عقب الدخول مباشرة. ويبلغ قطر المسكن نحو أربعة أمتار، ويراوح ارتفاع الجزء الطيني بين ١٥٠ و١٥٥ سم، وأما ارتفاع السقف المخروطي ابتداء من الطين إلى الطرف المخروطي العلوي فيبلغ نحو ثلاثة أمتار، وتتشابه المساكن من الداخل في محتوياتها التي تقتصر على الحاجات الضرورية فتشتمل على قطعة من




في الطبيعة البكر في الجنوب السوداني تتعدد أنواع النباتات والأشجار

ويسكن الشلك في مساكن تتشابه في شكلها العام، فالجزء السفلي دائري مبني من طين، بداخله قوائم من فروع الأشجار، والجزء العلوي سقف مخروطي الشكل، مكون من فروع الأشجار المغطاة بالعشب المجدول. وليس للمسكن نوافذ، ومدخله بيضوي صغير نسبيًا، يجبر الرجل والمرأة على الانحناء، ولذا كان المسكن مظلمًا من داخله، وخاصة أن من عادة الشلك تغطية المدخل بقطعة

الجلد أو قطعتين، تفرش على الأرض للنوم عليها، ووسادة من الخشب ذات شكل خاص وقدر أو أكثر من الفخار، وأنصاف قرع جاف تستخدم كأوعية أو صحون، وقطع صغيرة من الحصير تستخدم لتغطية قدور الطعام، ورمحين او ثلاثة، وعصا أو اثنين، وقد يكون هنالك درع او اثنان من الجلد السميك.

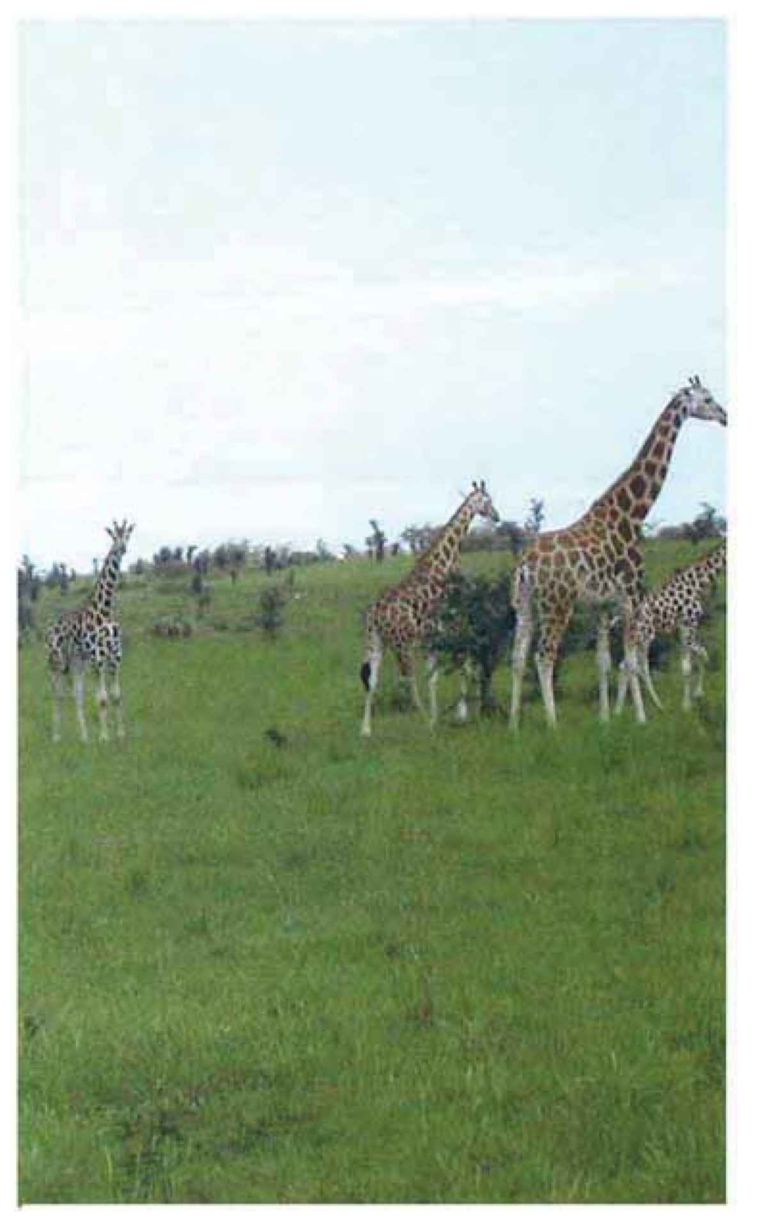
والملابس عند الشلك بسيطة جدًا، وهي من النسيج

القطني المسمى في مصر باسم (الدمور) فيغطي الجسم بقطعة من هذا النسيج يربط الرجل طرفيها على كتفه اليسرى. أما المرأة فتربط طرفي قطعة النسيج على كتفها اليمنى. ويسمى هذا اللباس في حالتي الذكر والأنثى باسم (لاو) واللاوالطويل الخاص بالرجل يصبغ بروث البقر المحروق (حتى يصبح احمر اللون) ويوضع عليه بعض الزيت ليصبح طريًا. أما (لاو) المرأة فلا يصبغ. ولكن يوضع عليه بعض الزيت. ونجد مثل هذه العادات فيما يخص المسكن ومحتوياته والملبس. يكاد يكون هنالك تشابه كبير بين معظم القبائل في جنوب السودان.

الزاندي

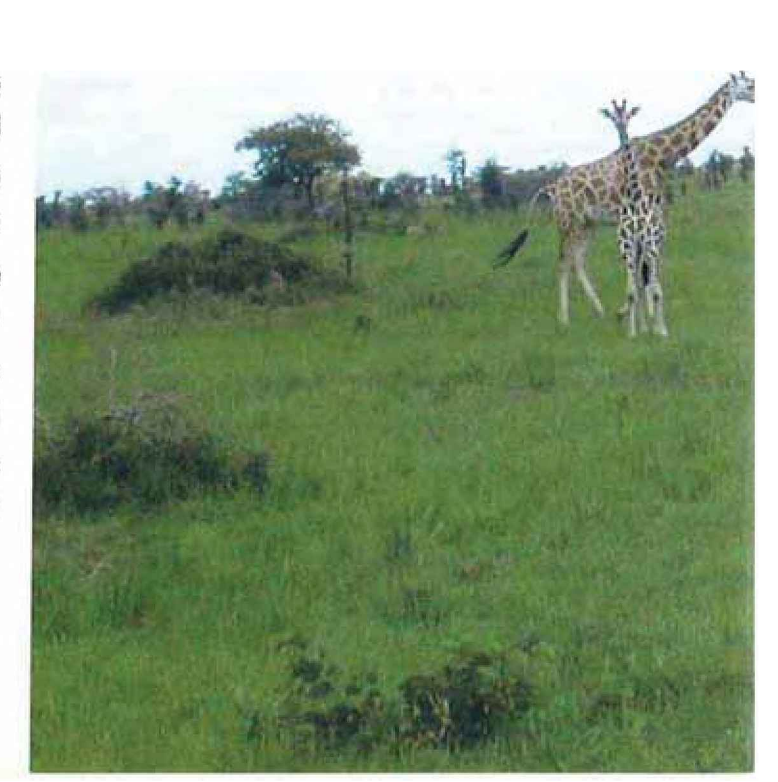
تعدّ الزاندي من أكبر المجموعات القبلية في جنوب السودان. وهم يحتلون منطقة واسعة تغطي جنوب غرب المديرية الاستوائية. وجنوب غرب مديرية بحر الغزال (ولايات بحر الغزال. والاستوائية الحالية) وهي المنطقة الواقعة بين خطي طول٣٢ درجة شرقًا. وخطي عرض ٩.٥ شمالاً. ويحدها من الشرق والجنوب الشرقي ولاية نهر الجبل. ومن الشمال ولايات واراب والبحيرات وغرب بحر الغزال. أما من ناحية الغرب فتحدها جمهورية إفريقية الوسطى. ومن الجنوب تحدها جمهورية زائير.

ذكر المؤرخون أن الزاندي، وهم مجموعة قبائل قد تجمعت، وتعايشت، وتصاهرت. وكونت مجتمع الزاندي الحديث. أنهم لم يأتوا دفعة واحدة أو في زمن واحد أو من جهة واحدة. إنما دخلوا السودان على دفعات. وفي تواريخ مختلفة. فمنهم من جاء أصلاً من إفريقية الوسطى. ومنهم من وفد من الكونغو. ولهم هنالك جذور وأصول وقبائل تأخذ العادات والأسماء نفسها. وتتحدث اللهجة نفسها. وإن فروعًا منهم هناك تتداخل مع الكاكوا في زائير. ويقال: إن مجموعات الموندو. والباكا. والبلاندا. وهي من المجموعات المكونة لقبيلة الزاندي. قد جاءت أصلاً من كينيا. ثم عبرت إلى يوغندا. حيث استقرت هناك ردحًا من الزمن. ثم استمرت في التقدم إلى أن أستقر بها المقام في أرض الزاندي. وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادى حيث التقت مع المجموعات التي تكونت منها قبائل الزاندي. فتمازجت. وتعايشت معها. فكوّنوا مجتمع الزاندي. وهم اليوم يغطون ثلاث محافظات. هي محافظة يامبيو. وعاصمتها يامبيو. ومحافظة مريدي. ومحافظة مندري وعاصمتها مندري.



وقبيلة الزاندي الكبرى تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسة، هي: مجموعة (مورو)، و(بنفو)، و(زاندي)، ويقدر تعداد الزاندي على حسب آخر تعداد رسمي بنحو ١٩٣٩٧٠٦ نسمة، والزاندي قبيلة فقيرة، ونشاطها الاقتصادي يقتصر على الزراعة وجني الثمار، والصيد، والصناعات اليدوية، وقطع الأخشاب، والعمل كعمال وفنيين بمصنع (إنذارا)، أما نظام الزاندي الاجتماعي فهنالك كبير السلاطين يكون هو رأس الإدارة الأهلية لديهم، ومرجع السلطات تؤول إليه فيما إذا شجر خلاف، ولم يستطع سلطان القبيلة المعنية الفصل في ذلك الأمر، وهو الذي يجد طاعة وتقديرًا من كل قبائل الزاندي، ثم يوجد بعد ذلك سلطان لكل قبيلة، وكبير السلاطين هو الأب الروحي لكل فروع الزاندي، وهو مطاع في كل الذي يأمر به، وله مجالس شورى يعقدها بشكل دوري مع السلاطين، وأعيان القبائل، وتكون قرارات مجالس كبير السلاطين ملزمة للجميع، ومجالس الزاندي اليوم هي مجلس مندري، ومجلس مريدي، ومجلس أبا، ومجلس يامبيو، ومجلس إنذارا، ومجلس باري، ومجلس طمبرة، ومجلس ياري، والمساحة الكلية لأرض الزاندى تبلغ ٨٤ ألف كيلو متر مربع وتعدّ الأمطار بمناطق الزاندي من أعلى نسب الأمطار في السودان.

إن من عادة الزاندي أن الرجل والمرأة كليهما يهتمان بالزينة، فيبردا أسنانهما في أعلى الفك وأسفله بطريقة تجعل رؤوس الأسنان سنينة وحادة، وهذا الامر يضفي على أحدهم مسحًا من الزينة والجمال . أو هكذا يعتقدون . كما يشلخون أنفسهم ثلاث شلخات أفقية على جانبي الخدين، وتقوم المرأة الزاندوية بثقب أذنيها بمناطق متعددة لتعلق بها الحلي، ولتظهر في زينة تعطي المرأة الوقار عند الرجل، والزاندي هم أكثر أهل السودان ولعًا بالرقص والطرب والغناء، وخاصة في الليالي المقمرة، ومواسم الحصاد والأفراح، ولهم عدة آلات موسيقية متنوعة يمارسون عليها العزف، وهي تعطي انغامًا مختلفة، ومن أشهر تلك الآلات الرانقو والربابة، وهم يرقصون عادة في جماعات يختلط فيها الرجال مع النساء، وهم متصفون بحدة السمع، وتحمل المشاق والسفر لمسافات طويلة، وهم مثقلون بحمل أمتعتهم، وتعدّ منطقة الزاندي ذات الطبيعة الجميلة الساحرة من أجمل مناطق السودان.



الشلك من أكبر قبائل الجنوب، وتعدّ هي وقبيلة الدينكا أكثر قبائل الجنوب تزاوجًا وتداخلا مع القبائل العربية، التي تقاسمهم المرعى والحياة في الشمال وقيل إن الشلك، وهم محاربون شجعان، قد أدّت الحروب على مر العصور إلى هلاك الكثير من رجالهم

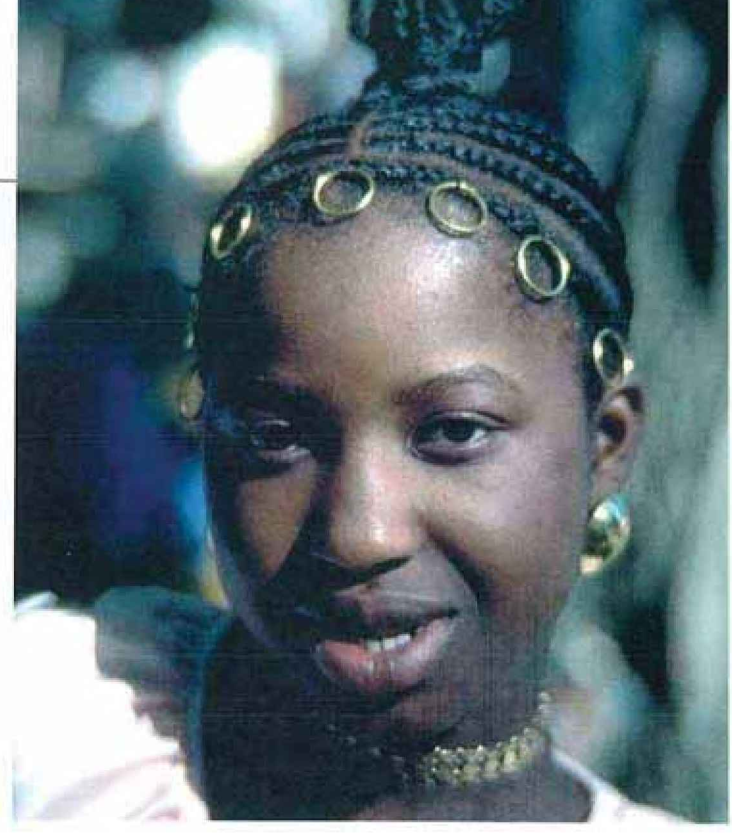
وكان من عادة الزاندي حتى الماضي القريب ـ وخاصة قبائل القولو، والأندقو، والبلندا ـ انهم لا يدفنون الرجال عند موتهم مباشرة، إنما يتركون الجثة يومًا كاملاً، يبكون حولها، ويذكرون مكارم الميت وفروسيته، والجثة تربط بحبل ليهتز راس الميت دلالة فيما يعتقدون أنه يجيب عن أسئلتهم، ويسمع نواحهم عليه. ولكن هذه العادة كادت تنتهي ما عدا مناطق نائية. والزاندي من أكثر قبائل السودان اعتقادًا في السحر والسحرة. وعرفوا بشدة الحزر والاحتراس والارتياب. ومهور الزواج عند الزاندي من أزهد مهور الزواج عند قبائل الجنوب، ويتزوجون في العادة في سن مبكرة، والزنداوية كغيرها من النساء تفاخر بكثرة زوجات زوجها، وهم زراع ومهرة في تصنيع الأخشاب والأثاثيك، وإنتاج عسل النحل، وهو متوافر في مناطقهم أكثر من غيرها من مناطق السودان، وذلك لكثرة الغابات وكثافتها. وكثرة الحيوانات المفترسة جعلت الاتصال بينهم من الصعوبة بمكان، وخصوصًا في فصل الخريف، وهناك أمراض مستوطنة ابتليت بها أرض الزاندي كالجذام والبرص ومرض النوم والحمى السوداء والملاريا والروماتيزم في كثير من الأوقات في الماضي، ولكن الآن تشهد مناطق الزاندي استقرارًا تحسد عليه.

النوير

النوير هم نيليون، وهم والدينكا ينتمون إلى أصل واحد، وهم ثاني أكبر المجموعة النيلية، إذ يحتلون المرتبة الثانية بعد الدينكا، ثم يليهم الشلك؛ وذلك على حسب التعداد السكاني الأخير. وأساطير النوير. وهي شبه مقدسة لديهم. تحكي أن جدهم الأكبر، ويدعى (لانجور)، قد عبر النيل الأبيض عند مدينة فشودة، ثم سار بهم إلى شرق ملكال، حيث استقر بهم المقام هناك، وهم ينحدرون أصلاً من الجد (آبينوينق) شقيق دينج، وهو جد الدينكا.

والنوير يوجدون أصلاً حول أربعة مراكز، هي مركز شرق النوير بمدينة الناصر. ومن قبائل النوير هناك الفاجاك، والفاجوك، والجيكانق. أما مركز وسط النوير بولاية جونقلي فيضم قبائل المور، والقون في منطقة أكوبو، واللاك، والثيانق في نهر الزراف، والمركز الثالث هو مركز منطقة أيونج، ويقطنه نوير اللاونوير، أما مركز غرب النوير بولاية الوحدة حول مدينة بانتيو فتقطنه قبائل اللبيك، والبول والجاق، والدوك، والدور، والرنقيات والنوير في كل أجزاء السودان يتحدثون بلهجة

قبائل القولو، والأندقو، والبلندا لا يدفنون الرجال عند موتهم مباشرة، إنما يتركون الجثة يومًا كاملاً، يبكون حولها، ويذكرون مكارم الميت وفروسيته، والجثة تربط بحبل ليهتز رأس الميت دلالة فيما يعتقدون أنه يجيب عن أسئلتهم



فتاة صغيرة في كامل زينتها

واحدة، وأسلوبهم في الحياة واحد، ويعتقد النوير أن تاريخهم يبدأ من (حكى)، وبالتحديد من منطقة (ليج) المقدسة لديهم، حيث شهدت هذه المنطقة نشأة جميع فصائل النوير، ثم تفرقوا منها إلى جميع مناطقهم الحالية، ولكل قبيلة من قبائل النوير الرئيسة زعيم روحي يقوم عندهم مقام (الكجور)، وهو مقدس عندهم

في بداية هذا القرن تجمع النوير من كل مناطقهم بالسودان في منطقة فنجاك وراجعوا كل أعرافهم وقوانينهم وعاداتهم، واتفقوا على الوحدة والتكاتف وعون بعضهم بعضًا، واتفقوا على أن يجتمع كل زعماء النوير في فنجاك كل خمس سنوات لمراجعة هذه العادات والأعراف، وإدخال مستجدات الحياة في السودان عامة، فتكون تلك المراجعات وفق الزمن، فيضيفون ما يرونه مناسبًا أو متماشيًا مع الحياة العامة، وما زالت كل قبائل النوير تلتزم قوانين فنجاك نفسها، والنوير في كل أنحاء السودان يبلغون نحو المليون ونصف المليون نسمة، ويعيشون في تكاتف. ويساعد بعضهم بعضًا في كل أنحاء السودان.

على رأس كل قبيلة من قبائل النوير الرئيسة ناظر، وهنالك مجلس تفاهم وتعاون يعقده جميع نظار النوير ووكلائهم وعمدهم وشيوخهم، وكل الزعامات دوريا، حيث لكل ناظر وكيلان، ولكل وكيل عدد من العمد، ولكل عمدة عدد من الشيوخ، ويشرف العمدة على القرى والفرقان الكبيرة، بينما يشرف الشيخ على حيّه والمجموعة التي هو على رأسها.

ومن عادات النوير أنهم يحرمون على أنفسهم الزواج من الاقربين او الزواج من الأسر ذات السمعة السيئة، أو ذات العيوب الخلقية، أو الامراض الوراثية، والنوير لا يختنون ذكورهم ولا إناثهم ومن أغرب عادات النوير، والأنواك، والدينكا، وكثير من قبائل الجنوب أن الابن الأكبر عندما يموت أبوه يعدّ كل زوجات أبيه زوجات له إلا أمه، ومن ينجبه من أولاد لقاء تلك الزيجات فهم إخوة له، وليسوا أبناءه، لذلك يعلل الكثيرون من معمري النوير أن من أكبر الأسباب التي منعتهم من الاستجابة الكبيرة للمسيحية رغم عمل الكنيسة المكثف وسطهم أنها. (أي: الكنيسة) تحرم تعدد الزوجات.

المراجع

١. احمد عبد الله احمر، قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش.
٢. عمر عوض علي، الولايات السودانية حقائق وأرقام.
٣. د. فرانسيس دينق، الدينكا في السودان.
٤. سليمان محمد سليمان، الشلك في السودان.
٥. مصطفى فهمي، دراسات اجتماعية.
٦. التجاني عامر، خلفيات تاريخية لجنوب السودان.
7- university of golia ; the role of southern Sudanese people in the building of southern sudan.
8- sir el khitim mohamad ; history of christian missionary activities in the southern sudan
9- josph oduna ; the problem of southern sudan
10- middle east studies ; the development of british policy in the southern sudan.



الممثل المسرحي والجمهور

زياد الحكيم

لندن – بريطانيا

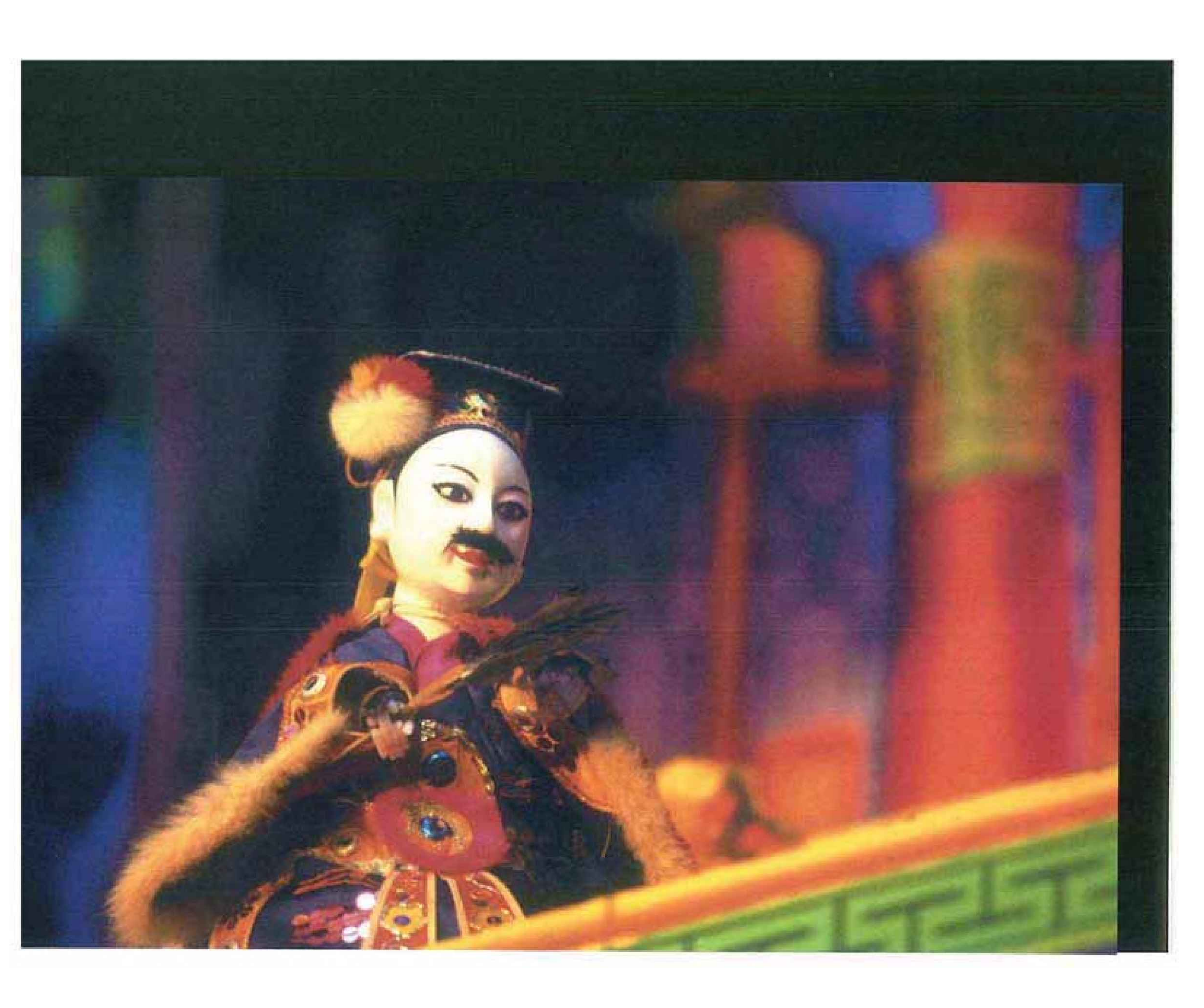
التمثيل هو أقدم الفنون. وهو شكل من أشكال تعبير الإنسان عن نفسه تعبيرًا واضحًا ومؤثرًا. وكان الدافع ور اء رغبة الإنسان في التعبير عن نفسه هو حاجته إلى التواصل مع الآخرين. فقبل أن يرسم، ويكتب، ويغني، لجأ الإنسان إلى السلوك الدرامي الذي نجم عنه فن التمثيل. وأصبح التمثيل مهنة محترمة في المسارح الإغريقية بعد أن خضع للتنظيم والضبط. وعلى هذا فإن التمثيل فن يحظى باحترام يعود إلى أزمنة سحيقة بوصفه جزءًا لا يتجزأ من مؤسسة تشكلت قبل استنباط المفاهيم الفلسفية الأساسية، وقبل إقامة الكنيسة، وقبل وضع أقدم نظام قضائي في العالم.

والتمثيل بخصائصه الشبيهة بالسلوك البشري يعدّ عملاً أقرب من أي فن من الفنون الأخرى إلى الكشف عن الجوانب الحياتية والثقافية والوجدانية للإنسان.

دور الممثل

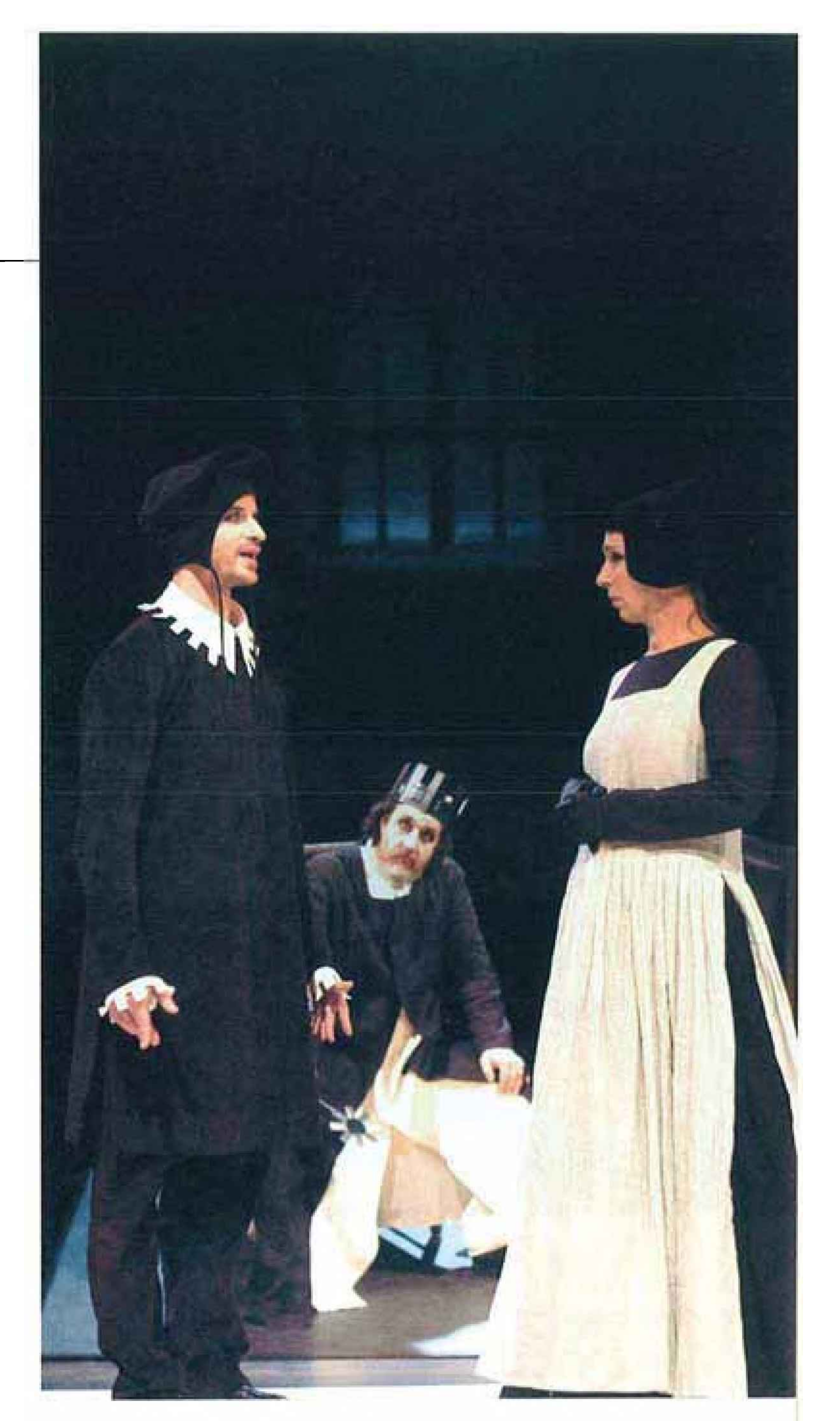
الممثل إنسان فاعل، مكان عمله خشبة المسرح الخالية من أي أثاث في كثير من الأحيان. وينقسم عمله إلى قسمين متتاليين: الأول فترة تحضيرية يدرس فيها الدور ويتدرب عليه، والثاني فترة العرض، وفيها يعرض أمام الجمهور ما استعد له. ونحن نحكم على الممثل إن كان بارعًا أو عاديًا أو ضعيفًا ليس بالاعتماد على ما يستطيع أن يكتبه أو يتحدث به عن التمثيل، ولكن بالاعتماد على قدرته على أداء عمله بنجاح في أثناء مرحلتي الإعداد والعرض.

وعندما يقف الممثل على الخشبة محاطًا بالديكور، وبفيض من الضوء، ويتحرك، ويتكلم في إطار وهم مصطنع هو إنسان غير عادي، بل هو مزيج من المكونات البدنية والنفسية المكثفة، ويتوقف حظه في الحياة على قدرته على تشكيل كلّ فني من عناصر مختلفة كثيرة. وهو يعبر عن هذا



المزيج البدني النفسي المكثف من خلال افعاله على الخشبة. وبعض هذه الأفعال شديد الشبه بمثيلاته في الحياة، في حين أن بعضها الآخر مقيد بضوابط الخشبة. وأصول الحرفة. ويؤدي الممثل عمله في ظروف شديد التوتر، والخطأ الذي يرتكبه في هذه الظروف يبدو أكبر مما هو في الحقيقة. وفي ذهنه كمية كبيرة من الأفكار والخبرات التي يتصل بعضها ببعض في شبكة منظمة، تسيطر عليها آليات فيزيولوجية: ولذلك فهو قد يؤدي كل لحظة في العمل الدرامي بالسهولة والتلقائية والكثافة التي يتطلبها فنه.

ومن أجل أن يحقق التجسيد الكامل للدور الذي يؤديه في إطار الخبرة المكثفة لا بد أن يفهم بيئته ويتفاعل معها تفاعلاً حساسًا وعميقًا. ولا بد أن يكون قادرًا على اصطفاء المفيد، واطِّراح غير المفيد. ولا بد أن يكون قادرًا على تشكيل خبرة درامية. وأخيرًا، لا بد أن يكون قادرًا على أداء دوره بشكل منسجم مع الأدوار الأخرى في العمل المسرحي الذي يعمل فيه. والممثل إنسان بوجوه كثيرة، وهو فرد لا بد أن يظهر وكأنه أفراد كثيرون. فهو يتمتع بجسم لدن ومتيقظ، وبعقل ذكي



سريع الاستجابة، ويجب أن يستفيد بفضل حاسيته التي تزداد رهافة بازدياد التوتر من رسائل تحذيرية وتشجيعية يتلقاها مما يدور حوله: وهذا كله بالغ الصعوبة، ولكن الممثل البارع يجعله يبدو وكأنه سهل.

خصائص الممثل

يمتاز الممثل بعدد من الخصائص العامة التي نذكر منها:

الغريزة الدرامية: وهي خاصة أساسية لكل من يريد احتراف التمثيل، وهي تعني أن على الممثل أن يمتاز بقدرة أو موهبة درامية. وتتفاوت الغريزة الدرامية من حيث عمقها وكثافتها من فرد إلى آخر، فهي قوية وقريبة من السطح عند بعض الممثلين، وضعيفة عند بعض الممثلين الآخرين. وهي أحيانا قوية، ولكنها تقع خلف أستار من الرهبة والتردد وعدم الثقة بالنفس، وتكشف الغريزة الدرامية نفسها في جملة من الأشكال: فهي تظهر أحيانًا من خلال ميل إلى الفكاهة والهزل، وأحيانًا من خلال ميل إلى الجد والصرامة. ويتمتع بعض الممثلين بقدرة على الهزل والجد بنسب متساوية تقريبًا، ولكن لا بد من وجود غريزة درامية عند الممثل، وإلا فإنه يبقى هاويًا طوال حياته.

وتمتاز الغريزة الدرامية بمزايا محددة، فهي تنطلق أساسًا من حاجة إلى أداء أدوار مختلفة مقرونة برغبة في مشاركة آخرين في الأداء. وتنطوي الغريزة الدرامية كذلك على إحساس قوي بالصراع، وعلى إحساس بالحيوية، سواء كانت بدنية أو روحية، وفيها قدر صحي من الأنانية أو حب الذات. فهي تدفع الممثل إلى إثبات جدارته، وإلى السعي إلى أن يكون محترمًا ومحبوبًا، وإلى تجاوز ما هو عادي بحيث

الغريزة الدرامية خاصة أساسية لكل من يريد احتراف التمثيل، وهي تعني أن على الممثل أن يمتاز بقدرة أو موهبة درامية، وتتفاوت الغريزة الدرامية من حيث عمقها وكثافتها من فرد إلى آخر، فهي قوية وقريبة من السطح عند بعض الممثلين، وضعيفة عند بعض الممثلين الآخرين



يكشف عن معنى ما في ما هو سطحي. وما هو عميق من الأفعال والأقوال. وفيها لمسة من الواقعية. ولمسة مما هو خلف الواقعية. أي ما هو ممكن ولكنه غير واقعي. وفيها عناصر لا يمكن وصفها بكلمات.

القدرة على اكتساب مهارات: الخبرة الدرامية فعل استثنائي. والجمهور جماعة استثنائية من البشر. وهذا كله يجعل من المتعذر على الممثل أن يكون شخصا عاديا، ويفرض عليه أن يكون شخصا استثنائيا. وتنبثق فنية أداء الممثل - إلى حد كبير - من أساليب منهجية للتمثيل: فالمنهج يحدد طريقة معالجة الممثل لجسمه أو لصوته أو لشيء من الأشياء، بحيث يحقق بذلك هدفا دراميا. وتنمو هذه المهارات والأساليب من أفعال مسيطر عليها سيطرة كاملة ومكررة ومصححة، وهي تنجم عن خبرات ونقد لهذه الخبرات. والهدف من أي منهج أو مهارة هو تحقيق السيطرة. والسيطرة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق الممارسة والتكرار. وعندما يحقق الممثل السيطرة يستطيع الأداء دون تفكير واع؛ مما يجيز له أن يركز في مزيد من الإبداع في الأداء. وتزداد قيمة المنهج عندما يتمكن الممثل من تطبيقه في اللا شعور.

والمهارات الصوتية هي الوسيلة التي ينظم بها الفنان المبدع قدراته، بحيث يستفيد منها فائدة كبرى. والمهارات هنا تساند الالهام وتوجهه. وهي تمنح الممثل سيطرة على الابداع الدرامي. والمنهج الدرامي المتبع هو الذي يساعد الممثل على القيام بأداء منسجم. وعلى مستوى واحد من الجودة. ويرث كل جيل جديد من الممثلين مناهج تبث قيمتها الفنية والعملية من خلال عدد لا يحصى من العروض. وعلى مدى أجيال متعاقبة من الممثلين.

الفطنة: ما يعرض اليوم من مسرحيات في مختلف أنحاء العالم لا نجد له مثيلاً من حيث التنوع والكثرة في أي حقبة في تاريخ المسرح كله. ويتمتع الممثل اليوم بفرص غنية جدا تفرض التزامات كثيرة وصعبة. ففي كل لحظة يقف فيها الممثل على الخشبة هو يعبر عن شيء ما من خلال الكلمة أو الحركة؛ ولذلك لا بد أن يكون واعيا لكل ما يعبر عنه.

ولا يقع حفظ كلمات الدور على رأس قائمة ما

الممثل إنسان بوجوه كثيرة، وهو فرد لا بد أن يظهر وكأنه أفراد كثيرون. فهو يتمتع بجسم لدن ومتيقظ، وبعقل ذكي سريع الاستجابة، ويجب أن يستفيد بفضل حساسيته التي تزداد رهافة بازدياد التوتر من رسائل غذيرية وتشجيعية ينلقاها عما يدور حوله

يتوجب على الممثل أن يقوم به من عمل في مرحلة إعداد الدور. والحفظ هو تمرين ذهني يتطلب بعض الذكاء، غير أن طفلاً صغيراً يستطيع أن يحفظ نصاً من مسرحية هاملت - مثلاً - دون أن يفهم فهماً حقيقياً فحوى النص أو أهميته. فلا بد للممثل من فهم مضمون النص الفكري والفلسفي، بالإضافة إلى الخلفية التي ينطلق منها النص، ويتطور. وهذا لا يعني - بطبيعة الحال - أن حفظ كلمات الدور أمر غير مهم، أو أن الكلمات يجب ألا تحفظ كما كتبها المؤلف. ولكنه يعني أن حفظ الكلمات يجب أن يكون ناتجاً من فهم متعمق للمسرحيات. وهو الفهم الذي ينجم عن دراسة مستفيضة للعمل المسرحي. ولا يمكن أن يتجاوز تفسير الممثل لدوره حدود فهمه للشخصية التي يصورها وظروفها المعاشية. صحيح أن تفسيره للدور ذو منشأ انفعالي وبدني، غير أن المفاهيم الأساسية التي تكوّن هذا التفسير هي فكرية في جوهرها؛ ولذلك فإن القدرة الذهنية التي يتمتع بها الممثل هي التي تبلور هذه المفاهيم الأساسية لتصوير شخصيات تختلف اختلاف هاملت ولير.

وينسجم عمل الممثل مع عمل المؤلف، ويكمله. فإذا كان الكاتب هو الذي أوجد الفكرة التي يريد التعبير عنها فإن الممثل لا يستطيع أن ينقل الفكرة إلى الجمهور بوضوح تكراره لكلمات الكاتب. يجب أن يفهم هذه الكلمات، وهذه مسؤولية تقع على كاهله. وهي جزء من الجهد الذي يقوم به في أثناء الإعداد للدور. وعلى الممثل أن يرتفع إلى مستوى كتاب مسرحيين من أمثال يوروبيديس وشكسبير وإبسن وشو.

الخيال: والخيال المبدع هو أسمى أنشطة العقل البشري، وبواسطة الخيال يتمكن الإنسان من القفز بين ما هو واقع وما هو ممكن، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. ولتحقيق ذلك يلجأ المرء إلى الخيال للانتقال من سلسلة من الحقائق المعلومة إلى سلسلة من الحقائق أو الأحوال المفترضة. وهذه الحقائق والأحوال المفترضة قد تكون قريبة من نقطة الانطلاق، وقد تكون شديدة البعد عنها.

واللجوء إلى الخيال قد يكون نادر الحدوث أو غير ضروري في مهن كثيرة، ولكنه جزء لا يتجزأ من عمل الممثل اليومي. وإذا كان الآخرون ينتقلون من جملة من الحقائق إلى جملة أخرى من الحقائق فإن الممثل ينتقل من جملة الحقائق إلى جملة من الأوهام أو الحالات المتخيلة. ويبتكر الخيال - من الناحية الدرامية - صورة بصرية للأشياء والأشخاص والأفعال، وهي صورة جديدة للمبتكر. وتوجيهات الخشبة التي يسجلها الكاتب المسرحي في نصه ما هي إلا جملة من الأوضاع التي توحي للممثل بفعل يجب أن يفهمه، ويعمل على أساسه. وبالاعتماد على هذه التوجيهات يتخيل خط الفعل الذي سوف يسير على هديه قبل أن يفعل ذلك في الواقع. والخيال جزء لا يتجزأ من العملية التي يقوم بها لتكوين مفهوم أو فعل قبل الحدث، وهو الذي يرشده ويوجهه. فعن طريق الخيال يصل الممثل إلى طريق مبتكرة لفهم الشخصية التي يؤديها، ولتفسيرها، ولإيجاد أفعال درامية توجد أمامه هدفاً واضحاً يسعى إلى بلوغه، ويقدم الخيال للممثل صورة أولية للشخصية على جانب

الخيال المبدع هو أسمى أنشطة العقل البشري، وبواسطته يتمكن الإنسان من القفز بين ما هو واقع وما هو ممكن، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. ولتحقيق ذلك يلجأ المرء إلى الخيال للانتقال من سلسلة من الحقائق المعلومة إلى سلسلة من الحقائق أو الأحوال المفترضة

كبير من الأهمية: فالفعل المتخيل المبتكر يوجد صورًا أولية للشخصية في بادئ الأمر. ولكن هذه الصورة تنمو، وتتطور بتقدم الدراسة التي يقوم بها الممثل للمسرحية والدور. وعلى سبيل المثال: تتكشف صورة للأمير هاملت في ذهن الممثل بالاعتماد على ما يطلع عليه من طبيعة الشخصية، وما تقوله، وما يقال عنها، وما تفعله؛ وذلك قبل أن يجسد الممثل هاملت بجسمه وصوته.

الحساسية: يتصل الممثل بالعالم الذي حوله، وبوساطة حواسه يتواصل مع ذلك العالم، ويجمع ما تتطلبه عملية التمثيل من مواد. وهو يحتاج إلى إحساس مرهف أكثر مما يحتاج إليه الإنسان العادي، شأنه في ذلك شأن أي فنان. ولا يتعين عليه أن ينظر حوله ليرصد أهمية كل حركة من حركات السلوك البشري فحسب، ولكن يتعين عليه أيضا أن يتمكن من الإيحاء بتلك الأهمية على نحو جلي وواضح، لينقلها إلى الآخرين الذين لا يتمتعون بالضرورة بما يتمتع به هو من قدرة فريدة على الفهم، وقدرة على وضع هذا الفهم في شكل فني جميل.

ولا بد أن يدرك الممثل اننا لا نستوعب العالم الذي حولنا عن طريق الذهن فحسب، ولا عن طريق الذهن فقط نفهم فكرة أي مسرحية. إننا نفهم الجوع بالجوع، واللمس باللمس، ومتعة الإبصار بالأبصار، ونفهم الحب بالحب. إننا نفهم بالذهن أشياء - عن - ذلك كله، ولكن للجسم طرائقه في الفهم التي لا يجاريه فيها الذهن. وتعمل حواسنا بالاستجابة للمؤثرات الخارجية، وتخلف هذه المؤثرات انطباعها على العضو من الجسم الذي وقعت عليه. وبإمكاننا أن نعود فيما بعد لنعاين هذا الانطباع، ونستعيد الإحساس، ونتذكره، سواء كان جوعًا أو ألمًا، أو حتى أثر الرياح الباردة على وجوهنا، ونحس بالفرح أو الألم.

القدرة على العمل المضني: تتطلب مهنة التمثيل ساعات طويلة من العمل والجهد والمثابرة. وقبل أن ترفع الستارة في العرض الأول، يكون الممثل قد أمضى أسابيع من الإعداد والدراسة والمناقشة تحت الضغط الذي يفرضه موعد العرض الأول. ولا بد أن يكون الممثل قادرًا على تحمل العمل لساعات طويلة، وتحمل عبء تكرار العمل في المشهد الواحد مرة بعد مرة، وتحمل الانتظار وما فيه من توتر بين المشاهد للصعود إلى الخشبة. كل ذلك يتطلب مقدرة بدنية وعصبية كبيرة.

المظهر البدني: لا شك أن الطول وتناسق الجسم يعدان ميزة للممثل، ولكن على كل ممثل أن يسعى جاهدا إلى تطوير ما يتمتع به من خصائص بدنية. وعلى الممثل الطويل أو القصير أو البدين إلى حد مفرط أن يعي هذه الخصائص، وأن يعمل على تطوير نفسه في حدود ما تجيزه. وعلى مثل هذا الممثل أن يذكر أنه في تاريخ المسرح الطويل كان هناك ممثلون كثيرون استطاعوا أن يجعلوا المظهر البدني أمرًا قليل الأهمية نسبيا نظرًا إلى ما كانوا يتمتعون به من جد واجتهاد وتميز كفنانين.

عندما يقف الممثل على الخشبة محاطًا بالديكور، وبفيض من الضوء، ويتحرك، ويتكلم في إطار وهم مصطنع هو إنسان غير عادي، بل هو مزيج من المكونات البدنية والنفسية المكثفة، ويتوقف حظه في الحياة على قدرته على تشكيل كلّ فني من عناصر متآلفة كثيرة

الجمهور شريك في العملية الإبداعية

يحضر الناس إلى المسرح لمشاهدة عرض مسرحي: لأنهم يتمتعون بنصيب من الغريزة الدرامية، ولأنهم



المكياج والديكور والملابس عوامل مساعدة على تشكيل الشخصية

يرغبون في الحصول على نصيب من الخبرة الدرامية. والجمهور هو النصف الثاني المهم في العملية الإبداعية. وهو المتلقي المتشوق إلى مشاهدة العرض، الراغب في التخلي عن الاعتقاد ـ لفترة ـ أن الواقع هو وحده الذي يمكن الركون إليه، وفي تبني الاعتقاد ان الإنسان يستطيع ـ عندما يريد ـ ان يستحدث واقعا آخر غير الواقع المتعارف عليه.

واستجابة الجمهور للعرض ذات اتجاهين: خارجي، وداخلي: تتجلى استجابته الخارجية بالضحك أو التصفيق أو البكاء، أما استجابته الداخلية فهي أنشط حركة، وأكثر تنوعا، وأعمق أثرا. وإذا قدر لنا أن نلمح ما يدور في داخل المتفرج في أثناء العرض فاننا سنرى جملة متشابكة من العمليات الذهنية والانفعالية والحسية، تتصاعد، وتزداد تعقيدا قبل ان تهبط، وتتلاشى لتفسح المجال لعمليات اخرى. وبفضل هذه العمليات الداخلية يستطيع الجمهور أن يؤدي بعضها من عمل الممثل وأن يساعد فيه. ونعلم أن

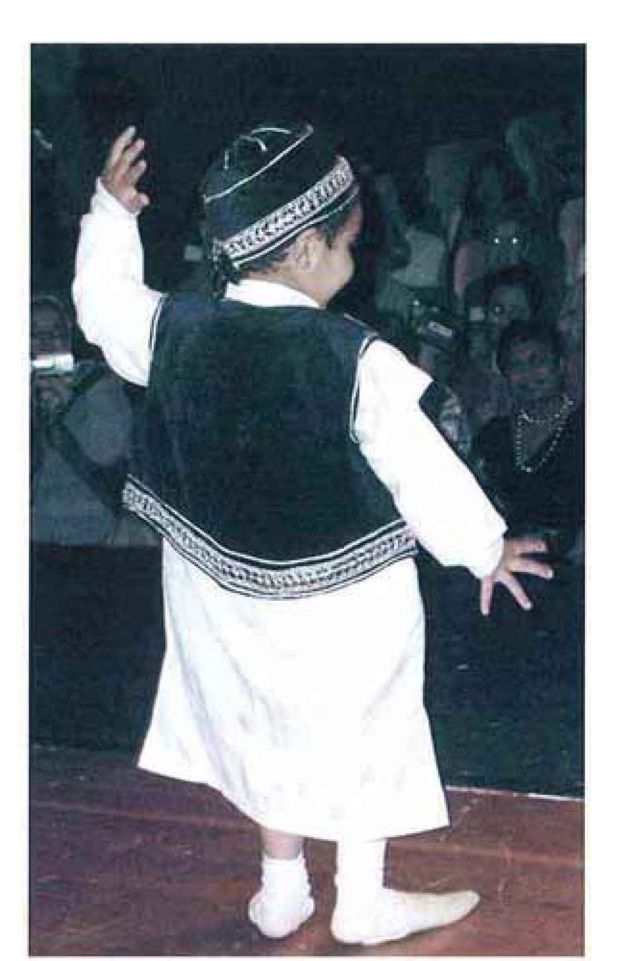
الطول وتناسق الجسم يعدّان ميزة للممثل. ولكن على كل ممثل أن يسعى جاهدًا إلى تطوير ما يتمتع به من خصائص بدنية. وعلى الممثل الطويل أو القصير أو البدين إلى حد مفرط أن يعي هذه الخصائص

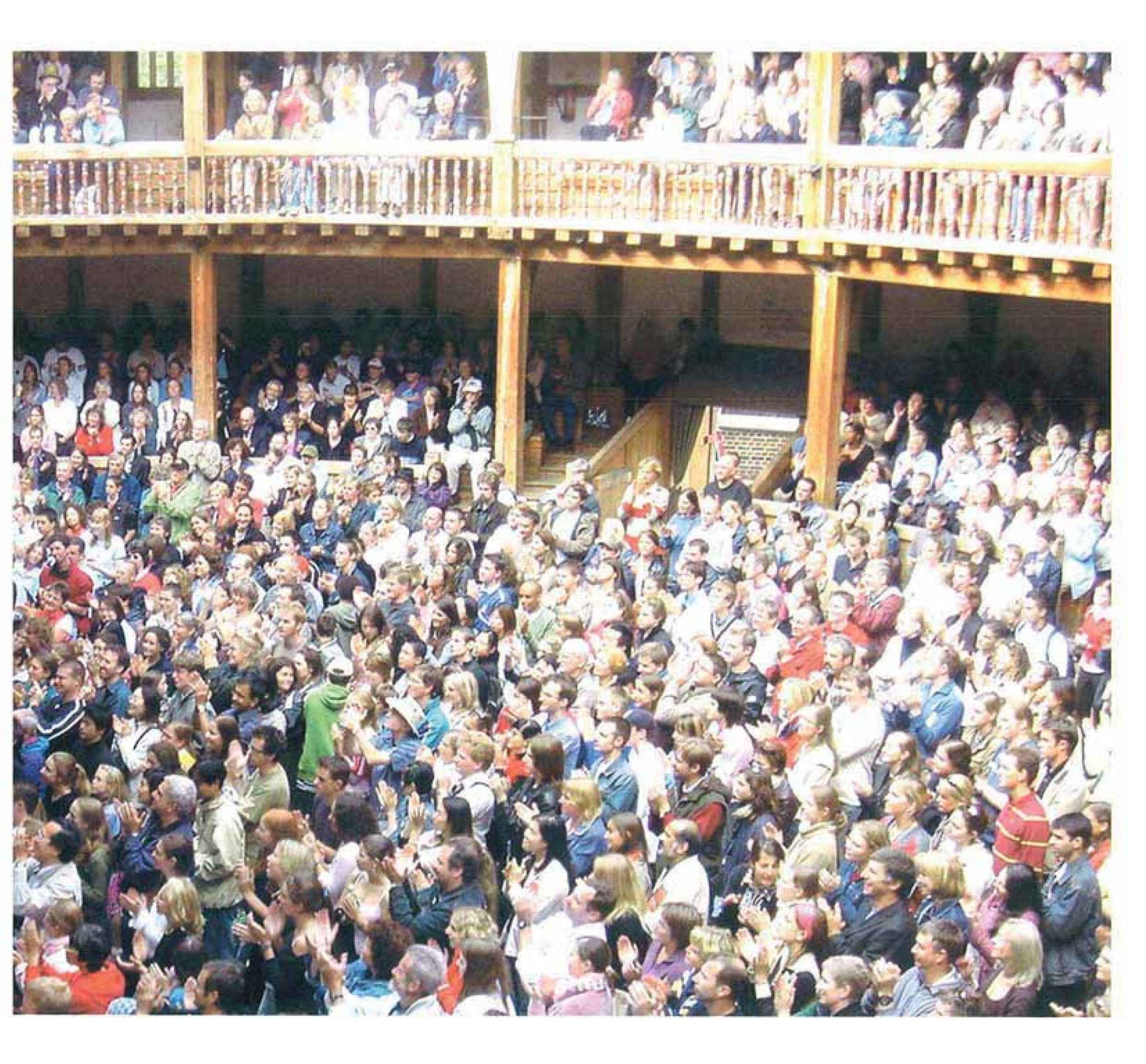
أحد المنشطات القوية للاستجابة عند المتلقي في أي فن هو قوة الإيحاء. فليس ثمة فكرة أو عاطفة يثيرها الممثل تبقى في شكلها الأصلي عندما يتلقفها الجمهور ويتفاعل معها. فما إن تصل الفكرة إلى المتلقي حتى تبدأ عملية نمو في داخله، وتكبر الأفكار والعواطف، وتتوسع بشكل يتناسب مع قوة الإيحاء. ولا فائدة من الذهاب إلى المسرح دون هذه الفرصة للمشاركة.

ومعروف أن المسرح يناقش موضوعات وقضايا ممتعة، ولكن من المعروف أيضًا أنه يثير موضوعات وقضايا تتسم بكثير من السوداوية والعنف. ولا شك أن رواد المسرح يعرفون ذلك، وهم يقبلون به، ويجهزون أنفسهم له. ومع ذلك فإننا في الحياة نحاول تجنب ما هو غير جميل، وما هو حزين ومؤسف ومؤلم، ونحاول تجنب خيبات الأمل واليأس. ولكن المسرح يعني بهذه الموضوعات على نحو متواصل في ما يعرضه من مسرحيات إلى درجة أن أعظم المسرحيات التي عرضت على الخشبة في مختلف العصور مفعمة باليأس والقتل والموت.

لماذا إذن نحرص على مشاهدة العروض المسرحية، على الرغم مما فيها من إحباطات وهزائم وآلام؟ ما الممتع في مسرحية سوفوكليس «الملك أوديب» بكل ما فيها من عدوان وقحط وألم وفقدان للبصر؟ وهل الوحدة القاسية التي يعيشها هاملت جذابة بما فيه الكفاية، لتجذبنا لمشاهدة المسرحية والمشاركة في الإحساس بتلك الوحدة؟ هل من الممتع حقًا أن نشاهد عرضًا لمسرحية تنيسي ويليامز «عربة اسمها الرغبة» التي تقطع فيها البطلة بلانش دوبوا صلتها بالواقع، وتغمس نفسها في عالم من الجنون، أو أن نشاهد عرضًا لمسرحية يوجين أونيل «رحلة يوم طويل إلى الليل» وفيها ما فيها من انحلال وإدمان وانهيار! على الرغم من هذا كله نذهب إلى المسرح، ممثلين ومتفرجين، منذ قرون من الزمان لمشاهدة الأشياء نفسها التي نرتعد لها في الحياة، ونبذل كل ما في وسعنا لتجنبها. لماذا؟!

في المسرح نشبع حاجتنا إلى تجارب إنسانية لا حصر لها دون إحساس بالمجازفة. ومعاناتنا عند مشاهدة الموت والعذاب كما في «هاملت». و«الملك لير» هي معاناة من نوع خاص، تنتهي بمجرد انتهاء العرض المسرحي. إننا نستمتع بكل شيء في الخبرة بما في ذلك القتل والموت، كما في موت روميو وجولييت، ونحن أحياء وأصحاء. وعلى ذلك فإن بإمكاننا أن نشارك في الخبرة الدرامية إلى أقصى حد ممكن، ونحن في أمان وسلام، ونستطيع أن ننغمس في الخبرة بشكل كامل لعلمنا أن الخبرة لا تعدو كونها خيالاً في خيال.

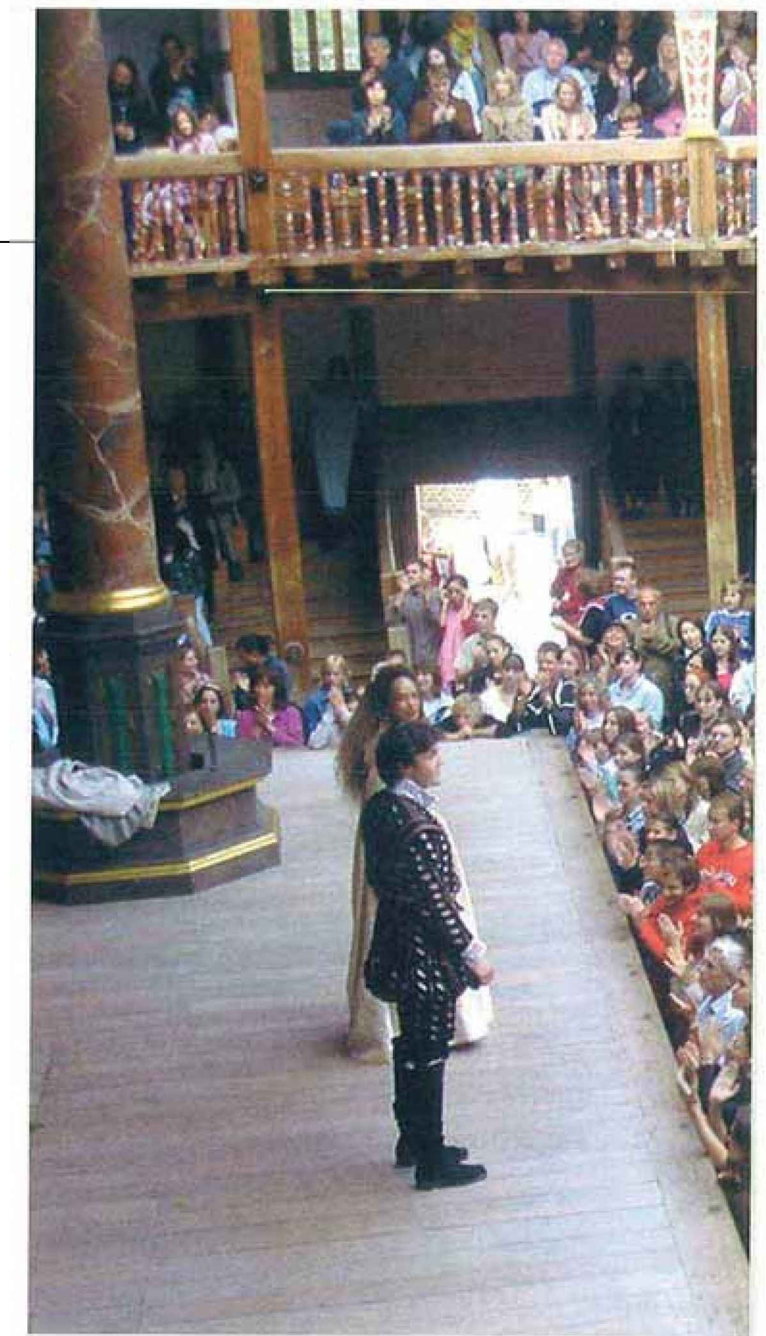




الجمهور والحس المسرحي

يُبقي الحس المسرحي الممثل على صلة مباشرة بجميع عناصر الخبرة الدرامية، بما في ذلك العلاقة بينه وبين الجمهور. فعن طريق الاستجابة الجماعية للجمهور يعرف مدى فاعلية ما يعرضه على الخشبة. وبالرجوع إلى ما توافر لديه من خبرات مسرحية يستفيد مما يبديه الجمهور من استجابة للعرض. ومن ثم فإنه يتعين عليه أن يتعلم قراءة استجابة الجمهور. عندما يكون الممثل على الخشبة يستطيع أن يحس باستجابة الجمهور على اختلاف أنواعها وأحجامها. ومن اليسير أن يفهم استجابات صارخة، كالضحك والبكاء، كما أن التصفيق الحاد عند نهاية مشهد من المشاهد دليل على نجاحه في أداء دوره. والتصفيق المؤدب يختلف عن التصفيق الوِدّي، وكلاهما يختلف عن التصفيق الفاتر.

ويصعب أحيانًا قراءة موقف الجمهور من الخبرة المسرحية دون تعبير واضح، كالضحك والتصفيق. ولكن



الممثل أمام استجابة جماعية، ومن الأسهل قراءة الاستجابة الجماعية من قراءة استجابة فردية. والحقيقة أن الحس المسرحي يمكن أن يطور إلى درجة يمكن بها للممثل أن يتعرف إلى ردود أفعال الجمهور بالاعتماد على ملاحظة أفراد متناثرين هنا وهناك في صالة المسرح. ويستطيع الممثل أن يتعلم الكثير بالوقوف خلف الجمهور في مواجهة الخشبة. فالمراقب الحاذق يستطيع أن يرى من ذلك الموقع العرض على الخشبة والجمهور ككل واحد، ويستطيع أن يرى الخبرة الدرامية برمتها أمامه بشكل مباشر. وبمراقبة عرض بعد عرض من المسرحية ذاتها يستطيع الممثل أن يتمثل جوهر الحس المسرحي.

وعندما يحدث ذلك يدرك الممثل أن هذا التمثيل يشكّل كيانه كله، ويدرك عناصر معينة من الحس المسرحي على نحو عقلاني؛ ولذلك يتمكن من الحديث عن هذه العناصر، وأن يشرحها للآخرين. ويدرك أيضاً عناصر إضافية على نحو وجداني، ومن هذه العناصر الإحساس بأنه جزء لا يتجزأ من العملية الإبداعية كلها. ويدرك عندئذ كيف أن صورته تتعدد بعدد من في الصالة من جمهور. ويدرك كذلك أشياء أخرى. ويستوعب المجرد كما لو أن الجمهور تحدث بشكل جماعي وبصوت واحد.

المراجع

- كونستانتين ستانيسلافسكي. إعداد الدور المسرحي. ترجمة د. شريف شاكر. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق. ١٩٨٣م.
- سونيا مور. تدريب الممثل. ترجمة: د. زياد الحكيم. منشورات المعهد العالي للفنون المسرحية. دمشق. ١٩٨٦م.

- Brook, Peter. The Open Door: Thoughts On Acting and Theatre. New York. Theatre Communications Group, 1995
- Bruder, Melissa. A Practical Handbook for The Actor. New York: Vintage Books, 1986
- Gielgud, Sir John. Acting Shakespeare. With John Miller. New York: Scribner, 1992
- Gregory, William Alfred. The Director. A Guide to Modern Theater Practice. New York: FUNK & Wagnalls, 1968





الأدب المقارن وحوار الحضارات

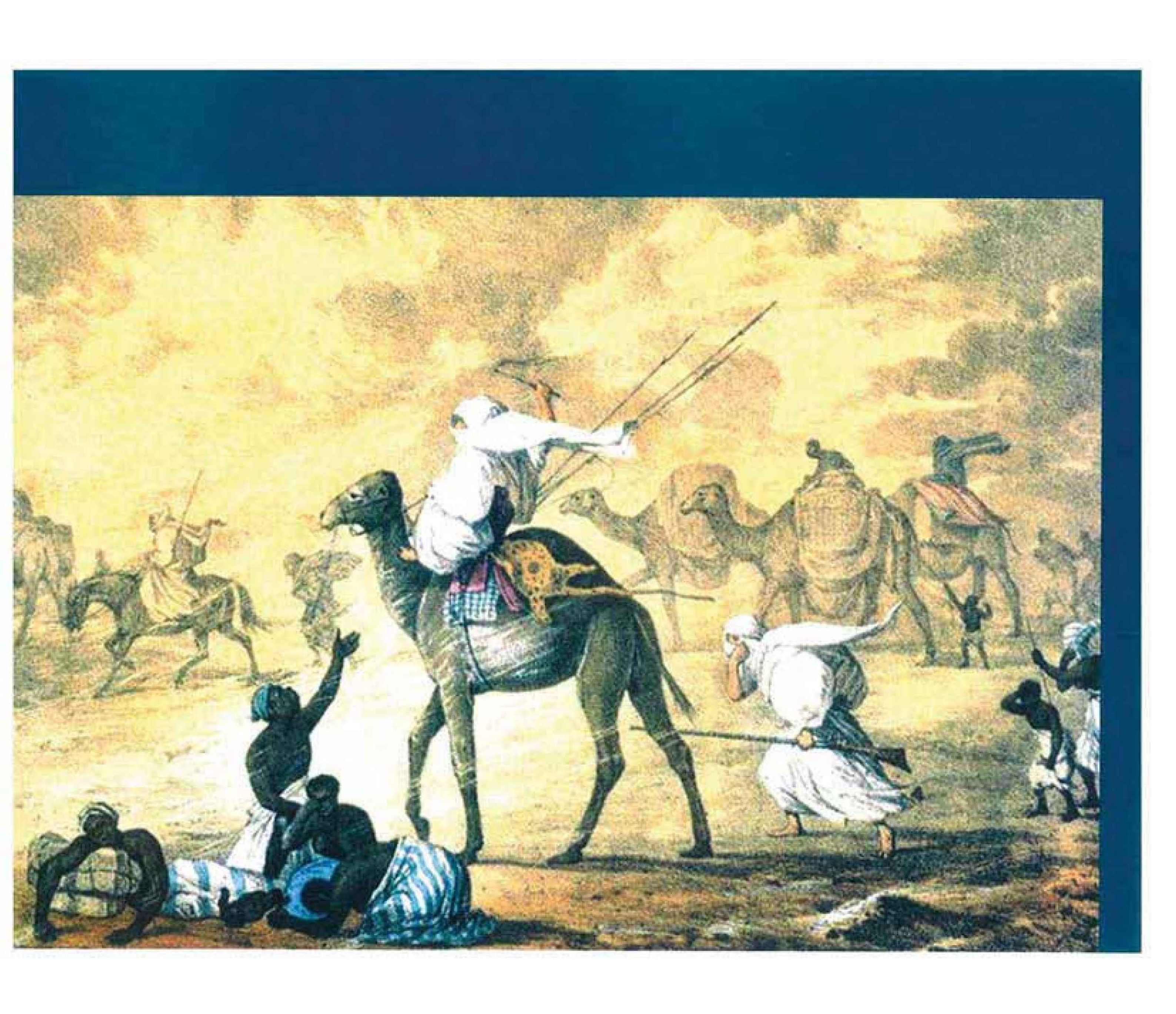
عبده عبود

دمشق ـ سورية

تحول ما بات يعرف "بحوار الحضارات" بين عشية وضحاها إلى موضوع الساعة، وإلى قضية من قضايا العصر الكبرى. فالغارة الأمريكية على أفغانستان، وما سبقها وتخللها وتلاها من أحداث وتطورات سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، قد أدت إلى تنامي الوعي لدى جزء من الأوساط الثقافية والسياسية الغربية بأن الغربيين قد أهملوا الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات التي لا تنتمي إلى دائرة الحضارة الغربية، وقصروا في فهمها وتفهمها (١).

كما جعلت تلك التطورات والأحداث أوساطًا ثقافية وسياسية عربية وإسلامية تعي على نحو أفضل أن العالم الإسلامي قد بات مستهدَفًا من قبل الغرب بصورة مباشرة وعلى مختلف الصُّعُد، ولا سيما الصعيدين السياسي والعسكري، وأن تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الرأي العام العالمي جزء من مخطط ثقافي وإعلامي يمهد لضرب العالم الإسلامي سياسيًا وعسكريًا ويواكبه ويكمله (٢).

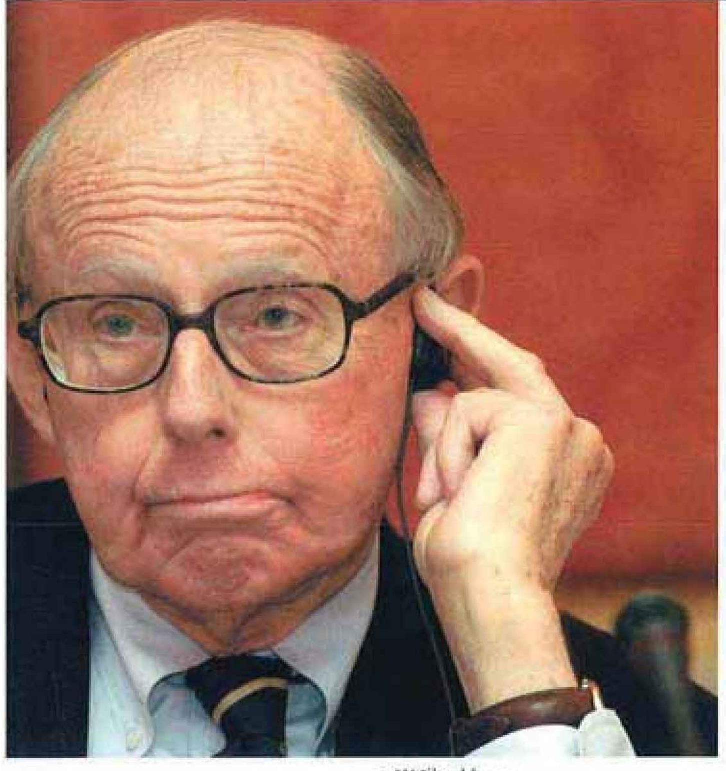
أما الحلقة المركزية في ذلك المخطط فهي إلصاق تهمة «الإرهاب» بالعرب والمسلمين، وتصويرهم في صورة شعوب همجية معادية للحضارة والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. وفي الوقت نفسه تنامى في كثير من الأوساط الثقافية والسياسية لدى الطرفين، الغربي والعربي/ الإسلامي، الوعي بأهمية حوار الحضارات، وبضرورة ممارسته بصورة جادة وفعالة، إذا أريد تجنيب العالم صراعًا حضاريًا واسع النطاق، وطويل الأمد، وعالي التكاليف المادية والبشرية. وهكذا أصبح موضوع حوار الحضارات يتصدر جدول أعمال النقاش الفكري



في العالم بأسره، بعد أن كان صرخة في واد، أطلقها مفكرون من أمثال الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي، والرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، والرئيس الألماني يوهانس راو، والأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، الذي أعلن عام ٢٠٠١ عامًا لحوار الحضارات (١).

إلا أن «حوار الحضارات» لا يجوز أن يبقى مجرد شعار يطلق، أو لافتة تُرفع، بل لا بد من تحويله إلى خطط وبرامج عمل وأنشطة ثقافية ملموسة. وأول ما ينبغي عمله هو تحديد مفهوم «حوار الحضارات»، أي: ما معنى «حضارات»، وما معنى «حوار»؟ كما يجب تحديد المجالات والقضايا التي ينبغي أن يدور حولها الحوار، والأشكال والصيغ التي يجب أن يأخذها. إذا أريد له أن يكون حوارًا جادًا وفعّالا ومُجديًا. وباختصار فإن «حوار الحضارات» يجب أن يترجم إلى برنامج عمل، وأنشطة ثقافية وعلمية، وإلا بقي حبرًا على ورق.

إذا انطلقنا من مفهوم موسع للحضارة، تكون موضوعات حوار الحضارات وميادينه كثيرة. تشمل الدين، والفكر الاجتماعي والسياسي، والتاريخ، والفنون،



صموئيل هانتينغتون

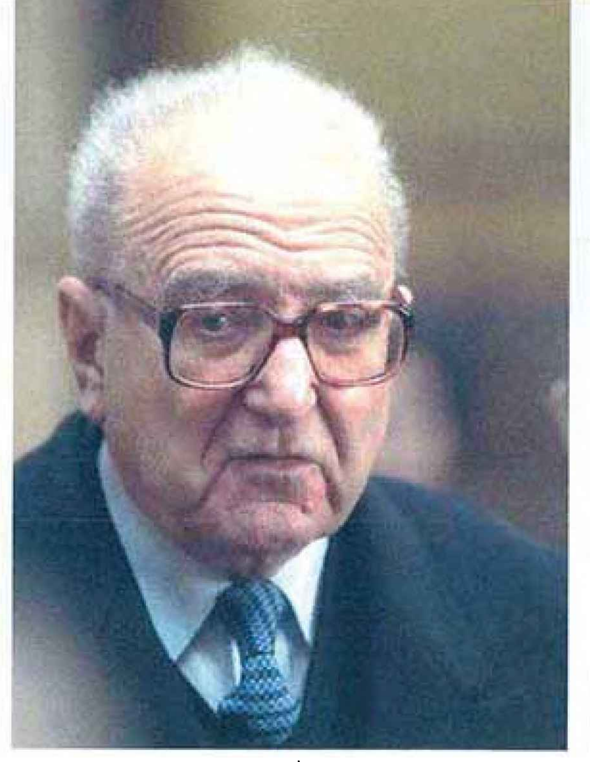
والتراث، والأدب، وغير ذلك من الجوانب والأبعاد التي تتكون منها الحضارة، وتظهر فيها التناقضات الحضارية، التي يمكن أن تشكل أساساً لصراعٍ حضاري، أو «لصدام حضارات»، على حد قول عالم الاجتماع الأمريكي صموئيل هانتينغتون (١).

ـ لماذا الأدب المقارن؟

إن الأدب، كما هو معروف، مكون أساسي من مكونات أي حضارة، ومرآة لها في وقت واحد. فهو يعبر عن الأوضاع الحضارية والخصوصية الحضارية، والقيم التي تنهض عليها حضارة الأمة؛ ولذا كان من البديهي أن تظهر فيه التناقضات الحضارية القائمة بين الأمم؛ ولهذا السبب يمكن أن تشكل دراسة الآداب أحد المداخل الممكنة لحوار الحضارات، إلا أن ذلك يتطلب أن تدرس الآداب في ضوء ذلك الهدف من جه، وأن تدرس بطريقة مقارنة، تتجاوز الأدب الواحد إلى أدبين أو أكثر من جهة أخرى. فالأدب المقارن لا يكتفي بدراسة الأدب داخل حدوده اللغوية والثقافية القومية، بل يتجاوز ذلك الإطار إلى ما هو أوسع منه. إن الأدب المقارن، بطبيعته ومفهومه، يتخطى الحدود القومية للآداب، ويتعامل معها من موقع فوق قومي -Suprana tional (٢). وهذا موقع ضروري بالنسبة إلى من يدرس الأدب كجزء من ممارسة حوار الحضارات.

إن أول ما تحققه دراسة الآداب دراسة مقارنة هي معرفة مواضع التلاقي والاختلاف بين التقاليد الأدبية لدى الشعوب، مما يعرف كل شعب بما لدى الشعوب الأخرى من تقاليد أدبية. أما نقاط التلاقي أو التقاطع بين تلك التقاليد فهي تبين للناس أن القواسم الأدبية المشتركة بين الشعوب، حتى النائية منها، أكبر بكثير مما يتوقعون. كذلك فإن جوانب الاختلاف التي تنطوي عليها تلك التقاليد الأدبية تبين للناس أن لكل شعب هويته أو خصوصيته الأدبية التي تميزه من الشعوب الأخرى. وهي جزء من هويته أو خصوصيته الحضارية. وبفضل تعرُّفهم تلك الخصوصية يتعلم الناس احترامها، واحترام الحضارات والشعوب التي أبدعتها. أما الأدباء فهم

> "حوار الحضارات" لا يجوز أن يبقى مجرد شعار يطلَق، أو لافتة تُرفَع، بل لا بد من تحويله إلى خطط وبرامج عمل وأنشطة ثقافية ملموسة. وأول ما ينبغي عمله هو تحديد مفهوم "حوار الحضارات"، أي: ما معنى "حضارات". وما معنى "حوار"



جارودي

يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيتلقون الآداب الأجنبية بصورة منتجة، ويتأثرون بها إبداعيًا. ألم يتأثر الأدباء العرب في العصر الحديث تأثرًا عميقًا بالآداب الأوربية، مما أدى إلى تغيير جذري في مسار الأدب العربي الحديث؟ ألم تتأثر الآداب الأوربية بحكايات «ألف ليلة وليلة»، وشعر الغزل، والموشحات الأندلسية، ورسالة الغفران، وفن المقامة، والقرآن الكريم، على سبيل المثال لا الحصر؟ ألم يتأثر الأدب الفارسي بأوزان الشعر العربي وبحوره، وقصة مجنون ليلى، وبفن المقامة، على سبيل التمثيل أيضًا؟ وهل هناك في الآدب العالمي ظاهرة أدبية عبرت عن التفاعل الحضاري بين أمتين أروع من ظاهرة «الشعر الملمع» الذي صيغ بلغتين اثنتين هما العربية والفارسية في وقت واحد؟

> يهتم الأدب المقارن اهتمامًا شديدًا بالترجمة الأدبية بصفتها جسرًا ثقافيًا بين الآداب، ثم بين الحضارات والشعوب. فالترجمة الأدبية تمكن كل شعب من أن يتعرّف الشعوبَ الأخرى وحضاراتها من خلال آدابها المترجمة إلى لغته القومية

ـ الصور المشوهة

ومن الموضوعات التي يهتم بها الأدب المقارن، ويدرسها موضوع صورة كل شعب في آداب الشعوب الأخرى، وصورة الشعوب الأخرى في أدب ذلك الشعب. وتطلق على هذا النوع من الدراسات المقارنة تسمية «الصورلوجيا» أو «الصورانية»(٦). وتدل تلك الدراسات على أن صورة أي شعب في آداب الشعوب الأخرى غالبًا ما تكون مشوهة، إما إيجابيًا، وإما سلبيًا. وهو تشويه يعبر عن تناقضات اجتماعية وسياسية وثقافية بين الشعوب. فالصور المشوهة سلبيًا، كصورة العرب والمسلمين في آداب العصور الوسطى الأوربية، كانت صدى أدبيًا للصراع الديني والسياسي والعسكري الذي احتدم بين أوربا المسيحية والشرق الإسلامي في ذلك الزمان (٧). أما الصور المشوهة إيجابيًا فمنها صورة الشرق في الأدب الرومانسي الأوربي، وصورة ألمانيا النازية في بعض الأعمال الأدبية العربية، التي كانت تعبيرًا عن رغبة عربية في ظهور حليف أوربي قوي، يساعد العرب على التصدي للخطر الصهيوني الزاحف على فلسطين. فهي صور تعبر عن حاجة ثقافية في الأدب الذي ظهرت فيه تلك الصور. تقوم الدراسات الأدبية المقارنة، والصورانية، باستقصاء صور الشعوب



إيحاءات خطيرة تشتمل عليه البرامج الموجهة إلى الأطفال

في آدابها، وتحلل مضامينها الفكرية، وتبيِّن مواضع التشويه فيها وأنماطه، والخلفيات التاريخية، والمصالح الاجتماعية والثقافية الكامنة وراء تلك الصور المشوّهة. ولا تكتفي الدراسات الصورانية بالتحليل المضموني للصور، بل تدرس أيضًا جوانبها الفنية والجمالية، وهكذا يساهم الأدب المقارن في فهم صور الشعوب التي تنطوي عليها الآداب وفي تصحيحها وتحييد آثارها السلبية. وتلك مساهمة كبيرة في حوار الحضارات.

- الترجمة الأدبية

ويهتم الأدب المقارن اهتمامًا شديدًا بالترجمة الأدبية بصفتها جسرًا ثقافيًا بين الآداب، ثم بين الحضارات والشعوب. فالترجمة الأدبية تمكن كل شعب من أن يتعرّف الشعوبَ الأخرى وحضاراتها من خلال آدابها المترجمة إلى لغته القومية، وتساعده على التغلب على العوائق اللغوية التي تمنعه من ذلك. يقوم الأدب المقارن بدراسة أعمال الترجمة الأدبية، فيحلل نوايا المترجمين ودوافعهم وخلفياتهم الفكرية، واتجاهاتهم الأدبية والأسلوبية، التي تتحكم في جهودهم في الترجمة وتطبعها بطابعها. ويواجه الأدب المقارن الأعمال الأدبية المترجمة بأصولها الأدبية الأجنبية، ويبيّن ما تعرضت له تلك النصوص عند نقلها من لغاتها الأصلية، لغات

المصدر. إلى لغات الهدف من «خيانة» على أيدي المترجمين: أي: من تحريف نصّيّ ودلالي وأسلوبي يبلغ درجة التشويه في بعض الحالات. ويبيّن الأدب المقارن إلى أيّ مدى حققت الترجمات التناظر أو التكافؤ بينها وبين النصوص الأدبية الأجنبية الأصلية. ويدرس الأدب المقارن تلقّي الأعمال الأدبية الأجنبية التي هاجرت عبر الترجمة من لغاتها الأصلية إلى لغات جديدة، وثقافات جديدة، ومجتمعات جديدة، ومتلقين جدد. إن الدراسات الأدبية المقارنة تبيِّن مصير العمل الأدبي المترجم على صعيد التلقي العاديّ من قبل القرّاء العاديين، والتلقي النقدي والتفسيري من جانب النقاد والدارسين، والتلقي الإبداعي المنتج من جانب الأدباء، ثم هي تظهر الفرق بين تلقي العمل الأدبي في وطنه ومجتمعه الأصليين، وتلقيه في المجتمعات الأجنبية التي هاجر إليها نتيجة الترجمة (٦). ومن خلال دراسات الترجمة الأدبية يستطيع الأدب المقارن أن يبيِّن ما يسود بين الحضارات من علاقات، فحركة الترجمة الأدبية في العالم العربي قد كانت على الدوام، في مدّها وجزرها، مرآة لعلاقات الحضارة العربية بالحضارات الأخرى. ففي العصر العباسي، الذي بلغت فيه الحضارة العربية الإسلامية قمة ازدهارها، أعرض العرب عن الترجمة الأدبية، ولم يروا كبير حاجة إلى الاستيراد الأدبي، وكادت الترجمة الأدبية إلى العربية تقتصر على حالة واحدة هي كتاب «كليلة ودمنة». إلاّ أن الوضع تغيّر جذريًا في «عصر النهضة» العربية الحديثة، التي أعقبت عصور الانحطاط والانحدار والتفكك على الصُعُد السياسية والاقتصادية والثقافية؛ فقد أصبح الأدب العربي في عصر النهضة الحديثة بحاجة ماسّة إلى الترجمة الأدبية، لتساعده على أن يجدّد نفسه، ويلحق بركب الأدب العالمي الحديث. وحين يقوم الأدب المقارن بدراسة حركة الترجمة الأدبية في حضارة ما، ويبيِّن ما استوردته تلك الحضارة وما صدّرته أدبيًا إلى الحضارات الأخرى، فإنه يؤرخ لجانب مشترك بين الحضارات، ويبيِّن أنها كانت على الدوام يعطي بعضها بعضًا ويأخذ بعضها من بعضها الآخر أدبيًا. فتاريخ الآداب في العالم هو تاريخ تفاعلها في ما بينها وتبادلها المؤثرات إرسالاً واستقبالاً؛ أي: تاريخ استدانة متبادلة وعليه ليس هناك أي مسوغ لأن تتعالى أمة على الأمم الأخرى أدبيًا أو حضاريًا. وإذ يعزز الأدب المقارن هذا الموقف فإنه يقدم إسهامًا قيمًا في حوار الحضارات.

ـ أدب الأطفال والأدب المبتذل

وثمة نوعان أدبيان يستحق كل منهما وقفة خاصة، ألا وهما: أدب الأطفال واليافعين، والأدب «المبتذل» Trivial Literatur. فالأول يتوجه، كما هو معروف، إلى شريحة اجتماعية شديدة التأثر بما تتلقاه من أعمال أدبية، ولا تمتلك رصيدًا معرفيًا، أو خبرة أدبية تمكنها من أن تميز الصالح من الفاسد، وأن تقف مما تقرؤه موقفًا انتقاديًا. إن الطفل صفحة بيضاء، يكتب فيها أدباء الأطفال ما يشاؤون، ويكون لتأثره بالأدب طابع تكويني؛ أي: يشكل موقفه طوال العمر، بصورة واعية أو بصورة غير واعية. ومن هنا تنبع خطورة أدب الأطفال واليافعين، وضرورة دراسته دراسة نقدية مقارنة وتحليل ما يتضمنه من قيم

> من الموضوعات التي يهتم بها الأدب المقارن، موضوع صورة كل شعب في آداب الشعوب الأخرى، وصورة الشعوب الأخرى في أدب ذلك الشعب، وتطلق على هذا النوع من الدراسات المقارنة "الصورلوجيا" أو "الصورائية"

وصور تتعلق بالشعوب والحضارات الأخرى (٨). وأقرب مثال على ذلك أدب الأطفال واليافعين الإسرائيلي، الذي يصور العرب في أبشع صورة، ويربي الأطفال اليافعين الإسرائيليين على كراهيتهم واحتقارهم.. ويهيئ المتلقين الإسرائيليين الصغار نفسيًا وثقافيًا لقتلهم أو تهجيرهم والتخلص منهم (١٠). أما المثال الثاني فهو صورة «العالم الثالث» في أدب الأطفال الأوربي والغربي. وهي صورة كثيرًا ما تنطوي على قيم ومواقف عنصرية تحتقر غير الأوربيين، وتحطّ من قدرهم (١١). وحين يقوم الأدب المقارن بدراسة أدب الأطفال واليافعين، واستقصاء ما يتضمنه من قيم وصور تتعلق بالشعوب والحضارات الأخرى، فإنه يقدم خدمة جليلة لحوار الحضارات.

أما «الأدب المبتذل» فهو يشمل «أدب الجريمة» أو الأدب البوليسي، وأدب الإثارة الجنسية أو «البورنوغرافيا Pornographie»، وأدب الرعب، وأدب رعاة البقرة، وأدب الجاسوسية، وأدب المغامرات، وقصص الحب المبتذلة ...إلخ. إن هذا النوع من الأدب واسع الانتشار في الأقطار الغربية، وتتلقاه شرائح واسعة تنتمي إلى طبقات اجتماعية مختلفة، ولا سيما الدنيا وغير المثقفة منها، بهدف التسلية والإثارة. وهو يساهم في تكوين مواقف أولئك المتلقين الكثر وسلوكهم. وقد حَدَت سعة انتشار هذا الأدب، وضخامة تأثيره، وخطورة ما ينطوي عليه من مثل وقيم وصور، ببعض علماء الأدب إلى التخصص فيه، وإلى تأسيس فرع خاص به من فروع الدراسات الأدبية والنقدية (١٢). ومن الملاحظ أن «الأدب المبتذل» الذي لا يأخذه بعض النقاد على محمل الجد، ويربؤون بأنفسهم عن الاشتغال فيه، كثيرًا ما يستخدم لنشر أفكار وقيم وصور عنصرية، تجعل المتلقي يحتقر بعض الشعوب والأعراق ويتمنى إبادتها. لذا يجب أن ينظر إلى هذا الأدب بمنتهى الجدية، وأن يدرس دراسة نقدية مقارنة، تبين ما ينطوي عليه من قيم ومواقف وصور تتعلق بالشعوب الأخرى، وتتصل بتفاهم تلك الشعوب وتعايشها؛ أي: بحوار الحضارات. وتلك خدمة أخرى يؤديها الأدب المقارن لذلك الحوار.

ـ الدراما التلفازية

إن العصر الذي نعيش فيه هو عصر تطورت فيه وسائل الإعلام الجماهيرية ولاسيما التلفاز، وازداد تأثيرها بصورة غير مسبوقة، وذلك نتيجة البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية، وانتشار أجهزة الاستقبال الرقمية، وتبث رسائل الإعلام الجماهيرية هذه، من بين ما تبثه، أفلامًا روائية، ومسلسلات تلفازية، يتألف كل منها من عدد كبير من الحلقات. وقد غدت تلك المسلسلات، التي تطلق عليها تسمية «الدراما التلفازية»، مكونًا رئيسًا من مكونات ما تبثه المحطات التلفازية من برامج، ويتوجه قسم من تلك المسلسلات إلى الأطفال واليافعين، على شكل أفلام كرتون في أغلب الأحيان، ويتوجه قسم آخر إلى الكبار. وبفضل التقدم التقاني (التكنولوجي) الذي تمّ في هذا المجال، أخذت المحطات التلفازية الفضائية توصل برامجها إلى المتلقين في كلّ أرجاء المعمورة، متجاوزة بذلك الحدود الوطنية والثقافية واللغوية، وكلّ أشكال الرقابة التقليدية. أما المسلسلات

أدب الرحلات مصدر رئيس من مصادر صورة الآخر، ولذا يجب أن يدرس بطريقة نقدية مقارنة من منظور حوار الحضارات، وأن تحلل صورة الآخر الأجنبي التي ينطوي عليها، وترد إلى دوافعها وخلفياتها الفكرية والاجتماعية



الإرهاب تهمة يجب ألا تلصق بشعب أو أمة أو عرق أو دين

والأفلام التلفازية فكثيرًا ما تستخدم لغة عالمية، كالإنجليزية أو الفرنسية، أو تكون مدبلجة أو مترجمة إلى اللغات الوطنية، كاللغة العربية. ويمكن القول: إن المسلسلات التلفازية، بالإضافة إلى الأفلام السينمائية، أخطر أنواع الأدب وأعظمها تأثيرًا. قد يعترض أحدهم على وصف هذا النوع من الإنتاج الثقافي بالأدب، ولكن ليس من الصعب تسويغ هذا الإجراء. إن الدراما التلفازية - على الرغم من مركزية الصورة فيها - لا تقوم على الصورة وحدها، بل تستخدم أدوات وعناصر أدبية مختلفة، كالشخصيات، والحوار، والأحداث، والحبكة، والتخييل، والسرد، وغير ذلك من العناصر الأدبية المأخوذة من جنسين أدبيين، هما الدراما والقصة، مما يسوّغ القول: إن الدراما التلفازية هي، جزئيًا على الأقل، استمرار لهذين الجنسين الأدبيين، ولكن بالارتباط بمكونات تقنية وفنية خاصة بالفنّ السابع، أي «الفلم». ولئن صحّ أن الرواية قد حلّت محلّ الشعر ديوانًا للعرب منذ أواسط القرن العشرين، إن من الصحيح أيضًا أن الدراما التلفازية قد تبوّأت هذه الوظيفة منذ أواخر ذلك القرن. ومما زاد تأثير الدراما التلفازية في المجتمع العربي انتشار الأمية، وانخفاض مستوى التعليم، وضعف الثقافة المقروءة، أي: ثقافة الكتاب والمجلة والجريدة.

ولئن كانت المجتمعات العربية قد انتقلت دفعة واحدة من «الجمل إلى الكاديلاك»، إنها قد انتقلت بالسرعة نفسها من الأمية إلى البث التلفازي الفضائي، دون أن تمرّ بمرحلة ثقافة القراءة بصورة كافية. وهذا يقتضي أن تهتمّ الدراسات الأدبية بالدراما التلفازية، وأن تخضعها للدرس النقدي المقارن، لا أن تتجاهل هذا النوع الخطير من الإنتاج الثقافي، بحجة أن المفهوم التقليدي للأدب لا ينطبق عليها. إن النقد الأدبي يكون، إذا ما فعل ذلك، كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال. وتنطوي

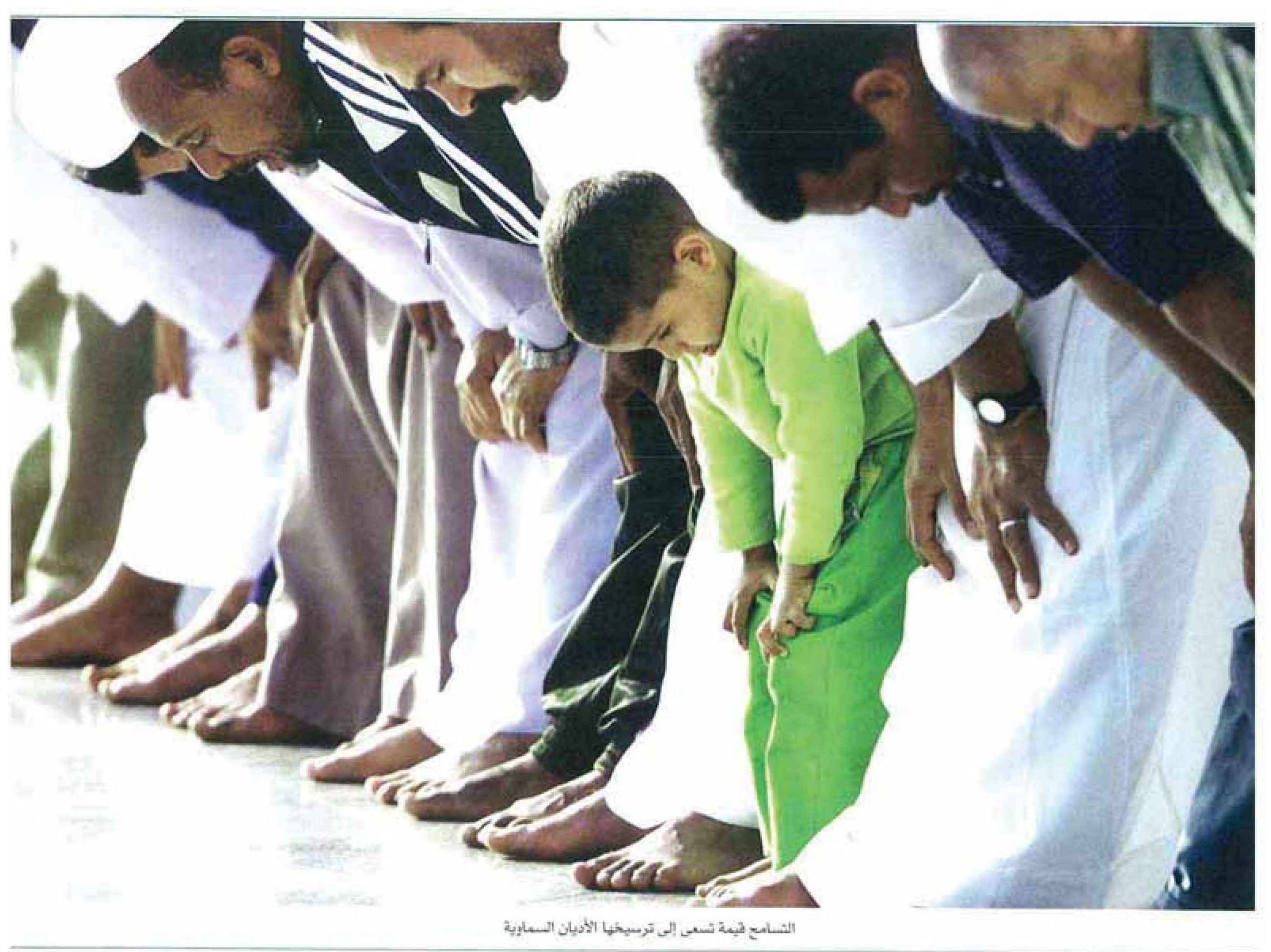
علم "الكسينولوجيا"، هو علم يدرس المواقف من الغريب والأجنبي، وهي مواقف تنقسم قسمين: "الكسينوفيليا": أي: حب كل ما هو أجنبي وغريب، و"الكسينوفوبيا": أي: الخوف من كل ما هو غريب وأجنبي

المسلسلات التلفازية، ولا سيما الأمريكي منها، الذي تنتجه هوليود، وتوزعه على المحطات التلفازية في مختلف أنحاء العالم، على قيم وأفكار وصور خطيرة تتعلق بشعوب العالم الثالث، ولا سيما العرب والمسلمين. ومن المعروف أن هناك نفوذًا يهوديًا صهيونيًا كبيرًا في صناعة الأفلام الأمريكية، وأن الصهاينة يمارسون تشويه صورة العرب والمسلمين عبر هذه الوسيلة الثقافية الخطيرة. وهذا يستدعي أن يولي النقاد المقارنون المسلسلات والأفلام التلفازية والسينمائية اهتمامًا مناسبًا، وأن يخضعوها لدرس نقدي مقارن، يبيّن ما تنطوي عليه من أفكار وقيم وصور تتعلق بشعوب العالم الثالث وبالعرب والمسلمين على وجه الخصوص. وذلك يمكن أن يسدي الأدب المقارن خدمة كبيرة جدًا لحوار الحضارات الذي تمثل الثقافة الفلمية المعلّبة، التي توصلها محطات البث التلفازي إلى أوسع الجماهير، تحديًا معاصرًا كبيرًا له.

ـ أدب الرحلات

ومن الأنواع الأدبية التي يوليها علم الأدب المقارن اهتمامًا كبيرًا أدب الرحلات، ذلك الأدب الذي يقدّم، بطبيعته، معلومات ومعارف غزيرة عن البلدان والشعوب الأجنبية (٢٣). ومع أنّ لأدب الرحلات شكلاً فنيًا خاصًا به، يجعله أقرب إلى التقارير الصحافية والمذكرات واليوميات، وأن المعلومات التي يحتوي عليها تعرض بصفتها معلومات نابعة من معايشة مباشرة للبلدان والشعوب الأجنبية، فإنّ صورة الآخر الأجنبي التي ينطوي عليها أدب الرحلات تكون مصبوغة بفكر المؤلف واتجاهه الفكري (الإيديولوجي) ومواقفه وأحكامه المسبقة. ولأن هذا الأدب كثيرًا ما يأخذ شكل استكشافات ومغامرات في أقطار أجنبية غريبة ونائية، فإنه ينطوي على نزعة «غرائبية» Exotismus تهدف إلى اجتذاب المتلقي وتشويقه من خلال بَهره، وإثارة الدهشة في نفسه. وفي كل الأحوال فإن أدب الرحلات مصدر رئيس من مصادر صورة الآخر، ولذا يجب أن يدرس بطريقة نقدية مقارنة من منظور حوار الحضارات، وأن تحلل صورة الآخر الأجنبي التي ينطوي عليها، وترد إلى دوافعها وخلفياتها الفكرية والاجتماعية. وينبغي أن يمتد الاهتمام أيضًا إلى كتب الدليل السياحي، مع أنها لا تنتمي إلى الأدب بالمعنى الضيق للكلمة: أي: الأدب الجميل التخييلي، بل إلى المؤلفات العلمية أو الموضوعية. فسعة انتشار هذا النوع من المؤلفات بسبب تحول السياحة إلى ظاهرة جماهيرية، وقطاع اقتصادي مهم، تستدعي أن يهتم الباحثون بها، وأن يدرسوا ما يقدمه لقرائها من صور للبلدان والأقطار الأجنبية. وبالفعل فإن نوعًا جديدًا من أنواع الدراسات الأدبية المقارنة قد نما في الأعوام الأخيرة، ألا وهو علم «الكسينولوجيا» Xenologie، وهو علم يدرس المواقف من الغريب والأجنبي، وهي مواقف تنقسم قسمين: الأول هو «الكسينوفيليا» Xenophilie: أي: حب كل ما هو أجنبي وغريب، والثاني هو «الكسينوفوبيا» Xenophbie: أي: الخوف من كل ما هو غريب وأجنبي. ومما سارع في تطور هذا العلم تصاعد موجة العداء للأجانب والغرباء التي شهدتها الأقطار الغربية خلال الأعوام الأخيرة، وهي موجة ترافقت مع أعمال عنف

> يقوم الأدب المقارن بدراسة الآداب، قديمها وحديثها، في ضوء حوار الحضارات، فيبيّن ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من قيم وصور تخدم ذلك الحوار وتعززه، ومن قيم وصور تؤجج الصراع بين الحضارات

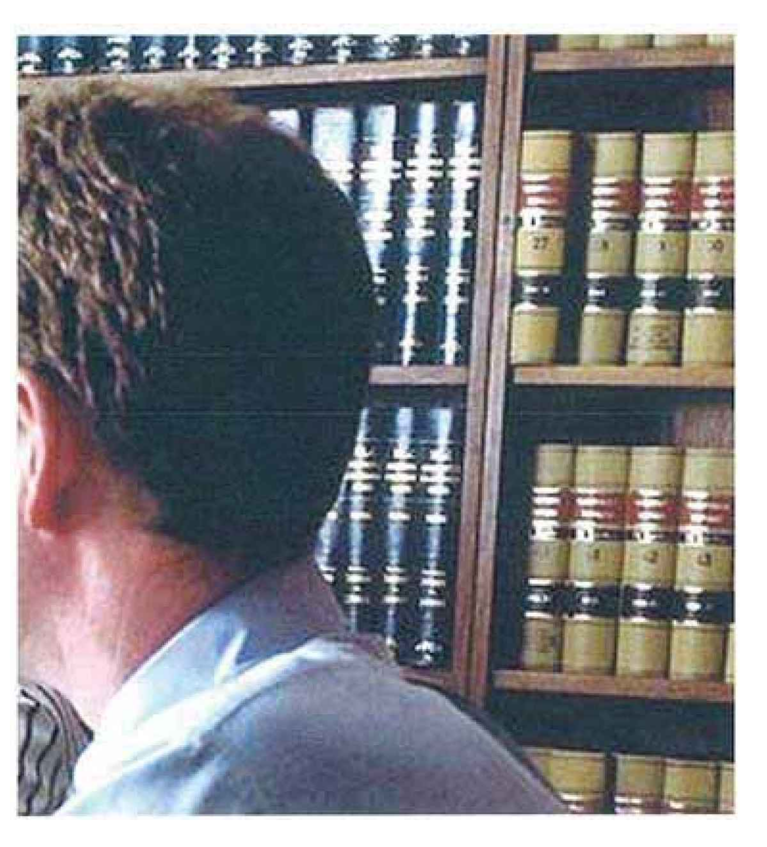


التسامح قيمة تسعى إلى ترسيخها الأديان السماوية

جسدي ونفسي بلغ درجة القتل في بعض الحالات. فضلاً عن الأشكال الأقل خطورة من تمييز واضطهاد. وغني عن البيان أن دراسات «الكسينولوجيا» تخدم حوار الحضارات بشكل مباشر، وتستحق أن تدعم وتكثف.

ـ الخلفيات الفكرية

وفي مطلق الأحوال، فإن الدراسة المقارنة للآداب، في ضوء حوار الحضارات، هي دراسة تبيّن ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من قيم وصور سلبية وإيجابية تتعلق بالآخر. أما القيم والصور السلبية فهي القيم والصور التي تتضمن احتقار الآخر، والتعصب ضده، والحقد عليه، ونسب صفات دنيئة إليه. إن قيماً وصوراً كهذه تخدم صراع الحضارات، ولا تخدم حوار الحضارات، وتعايش أبنائها، وهي تشجع على الحروب والنزاعات



المسلحة، التي تترافق دائمًا مع حملات إعلامية تحرض الناس ضد الآخر، وتصوره بشكل سلبي، وتعبّئ نفوس الناس لشن حرب أو القيام بأعمال عنف ضده. لقد حدث ذلك إبان الحروب الصليبية، التي رمت في ظاهرها العقيدي (الإيديولوجي) الديني إلى تخليص بيت المقدس والأماكن المقدسة المسيحية من أيدي الكفار والأشرار العرب المسلمين، وكانت الحال كذلك بالنسبة إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، والحروب والنزاعات المسلحة كلها، حيث كان كل طرف يشوه صورة الطرف الآخر، بوساطة الأدب أيضًا. لنتذكر صورة ألمانيا والألمان في الأدب الروسي إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها، وصورة الأتراك في الأدب العربي الحديث، وصورة العرب في الأدب الإسرائيلي... وغير ذلك من صور الآخر (١٠). أما القيم الفكرية التي تكمن وراء تلك الصورة فهي: التعصب القومي والديني والعنصري، فالتعصب القومي أو الشوفينية يؤدي إلى تصوير أبناء القوميات الأخرى تصويرًا مشوهًا سلبيًا، يثير ضدهم الحقد والكراهية. والتعصب الديني يؤدي كذلك إلى كراهية أتباع الأديان الأخرى، والحقد عليهم، وكثيرًا ما يذهب إلى حد تكفيرهم، وإباحة قتلهم. إن تاريخ البشرية حافل بهذا النوع من التعصب وتجلياته الأدبية، وهو ما زال موجودًا إلى يومنا هذا، وقد تصاعد بشكل خطير في العقود القليلة الأخيرة. أما التعصب العنصري أو العرقي فهو يؤدي إلى احتقار أبناء الأعراق أو الأجناس الأخرى، وممارسة التمييز ضدهم، ككراهية البيض للسود والصفر. إن العنصرية واحدة من أسوأ أنواع التعصب ضد الآخر؛ لأنها تحكم عليه انطلاقًا من لون بشرته وشكله الخارجي، وتصرف النظر عن كل أبعاده وصفاته النوعية الأخرى؛ لذا لا عجب أن تبادر هيئة الأمم المتحدة إلى إقامة مؤتمر دولي حول العنصرية (١١). وعلى أي حال فإن هذه العصبيات كلها تجد في مختلف الآداب مَنْ وما يعبر عنها. وتقوم الدراسات الأدبية المقارنة، التي تجعل حوار الحضارات هدفًا لها، باستقصاء التجليات والتجسيدات الأدبية لتلك العصبيات، لا على المستوى المضموني فحسب، بل على المستوى الفني والجمالي أيضًا، فتقارن الأشكال والتقنيات والأساليب الأدبية التي تستخدم في التعبير عن التعصب القومي والديني والعنصري، وهي أدوات يجد الباحث فيها الكثير من التشابه والالتقاء.

أما النوع الآخر من الصور فهو نوع يخدم التفاهم والتعايش بين الحضارات والشعوب، ويأتي في مقدمة القيم وأنماط السلوك التي يستند إليها وينهض عليها

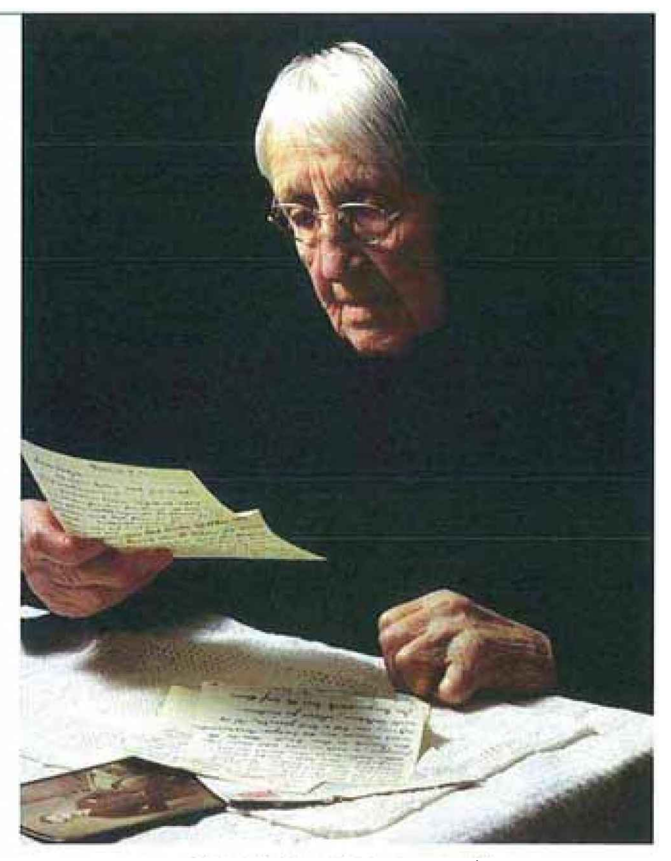
هذا النوع من الصور: التسامح Toleranz والتضامن الإنساني، والحب، والرحمة. وقد وجدت هذه القيم الإنسانية بدورها أدباء عبروا عنها في أعمال أدبية، كالكاتب الألماني الشهير غولتهولد إفرايم لسينغ -Golt

في القدس أيام الحروب الصليبية؛ أي: في زمن بلغ فيه الصراع بين أتباع تلك الديانات ذروته، إذ قاموا بتقتيل بعضهم بعضًا، اعتقادًا من كل طرف أنه يملك الدين الصحيح، وأن الآخرين كفار يجب القضاء



hold Ephraim Lessing ١٧٢٩ - ١٧٨١م، في مسرحيته «ناتان الحكيم Nathan der Weise»، التي قدم فيها الكاتب ما يمكن أن يعد أنموذجًا لتعايش أتباع الديانات والحضارات الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية. ففي هذه المسرحية، التي لم تترجم بعد إلى العربية، يلتقي ممثلو الديانات السماوية الثلاث

عليهم. ولكن أمثولة «الخواتم الثلاثة» التي رد بها التاجر اليهودي «ناتان» على سؤال القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي عن الدين الحق، قدمت أنموذجًا للتسامح والتعايش بين الأديان والحضارات والأمم؛ فالدين الصحيح هو الدين الذي يجعل أتباعه أحسن أخلاقًا ومعاملة (٣). وينطبق هذا الأنموذج على



الأدب يرسم صورة الشعوب في أذهان المتلقين

الحضارات وعلاقة بعضها ببعضها الآخر. فالحضارة الأفضل هي تلك التي يتحلى أهلها بالأخلاق الأسمى، ويترجمون أخلاقهم إلى ممارسة عملية في حياتهم؛ وبذا يكون التنافس بين الحضارات تنافسًا على الأخلاق الأفضل. أما المصادر الفكرية والإيديولوجية لهذا النوع من القيم والصور، فتأتي في المقدمة منها الديانات السماوية، ولا سيما الإسلامية والمسيحية. هذان الدينان اللذان يدعوان بصورة لا لبس فيها إلى التسامح والرحمة والحب. فما أضل أولئك الذين يمارسون التعصب والعنف والإرهاب، ويبثون الحقد والتفرقة باسم هذين الدينين السمحين !! ومن المصادر الفكرية للتسامح تلك المذاهب والاتجاهات الفكرية والاجتماعية والسياسية الحديثة، التي تدعو إلى الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، وعلى رأسها حرية الرأي والاعتقاد، وحق الاختلاف، ونبذ التعصب والاستبداد والطغيان، وهي مذاهب (ليبرالية) بوجه عام.

ـ الخاتمة

يقوم الأدب المقارن بدراسة الآداب، قديمها وحديثها، في ضوء حوار الحضارات، فيبيِّن ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من قيم وصور تخدم ذلك الحوار وتعززه، ومن قيم وصور تؤجج الصراع بين الحضارات، وتقدم وقودًا ثقافيًا وفكريًا (إيديولوجيا) لذلك الصراع. كما يقوم الأدب المقارن بدراسة الأشكال والتقنيات والأساليب الأدبية المتبعة في التعبير عن تلك القيم والصور.

فالأدب شكل ومضمون، وليس مضمونًا فقط؛ وبذلك يبرز الأدب المقارن القيم والصور التي تخدم حوار الحضارات، وفي مقدمتها التسامح، ويعززها، ويميط اللثام عن القيم والصور التي لا تخدم حوار الحضارات، بل تقوضه، وعلى رأس تلك القيم والصور التعصب القومي والديني والعرقي، مما يساهم في التصدي لتلك القيم والصور الضارة والحد من

أدب الأطفال واليافعين الإسرائيلي، يصور العرب في أبشع صورة، ويربي الأطفال اليافعين الإسرائيليين على كراهيتهم واحتقارهم.. ويهيئ المتلقين الإسرائيليين الصغار نفسيًا وثقافيًا لقتلهم أو تهجيرهم والتخلص منهم

آثارها. وبذلك تؤدي الدراسات الأدبية المقارنة خدمة جليلة لحوار الحضارات، وتسهم في تقوية التفاهم والتعايش بين الشعوب وفي صنع السلام.

قبل نحو مئتي سنة أطلق الأديب الألماني هردر J. G. Hrder جملته الشهيرة: «سلام الشعوب في شعر الشعوب»، وبشيء من التعديل يمكن أن نقول اليوم: «إن سلام الشعوب في حضارات الشعوب». فلنضع الدراسات الأدبية المقارنة في خدمة حوار الحضارات، ومن ثم في خدمة السلام العادل القائم على احترام الآخر، والاعتراف بحقه في حياة حرة كريمة.

المراجع والهوامش

١. من أبرز المثقفين الغربيين الذين عبروا عن وجهة النظر هذه الناقدة الأمريكية «سوزان سونتاغ Susan Sontag»، والفيلسوف الأمريكي فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama، والكاتبان البريطانيان سلمان رشدي، وولتر لاكوير Walter Laqueur، والكاتب المقيم حاليًا في بريطانيا جون لوكاري John Le Carre، والصحافية الهندية أروندهاتي روي Roy Arundhaty، وعالمة النفس السويسرية ألس ميلر Alice Miller، والأديب الألماني جونتر جراس Gunter Grass الحائز على جائزة نوبل للآداب، والشاعر الألماني الكبير هانس - ماغنوس إنتسنزبرغر Hans Magnus Enzensberger.

٢. في ضوء ذلك قررت الدول العربية والإسلامية عقد مؤتمر عالمي حول تشويه صورة الإسلام في الرأي العام العالمي، وستكون العاصمة المغربية مكان ذلك المؤتمر.

٣. لمزيد من المعلومات راجع كتاب روجيه غارودي «في سبيل حوار الحضارات»، ترجمة: د. عادل العوا. بيروت: منشورات عويدات، ١٩٧٨م، أو إلى الترجمة الثانية لهذا الكتاب التي قام بها د. ذوقان قرقوط. بيروت: دار النفائس، ١٩٩٠م. وكانت جمهورية إيران الإسلامية سباقة في الدعوة إلى حوار الحضارات، وقد أقامت مركزًا دوليًا لهذا الغرض.

٤. يرجع إلى كتابه: «الإسلام والغرب، آفاق الصراع» ترجمة مجدي شرشر. القاهرة مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م، وكذلك: «صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي». ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، القاهرة، كتاب سطور.

٥. لمزيد من المعلومات حول هذه المسألة يرجع إلى كتابنا «الأدب المقارن - مدخل نظري ودراسات تطبيقية». منشورات جامعة البعث. حمص، ١٩٩١م ص ٣٦

٦. المرجع نفسه، ص ٣٧١، ٤١١، وكذلك: د. ماجدة حمود. مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

٧. يرجع إلى. د. رشا الصباح: «صورة المسلمين في الآداب الأوربية في القرون الوسطى». مجلة (عالم الفكر). الكويت العدد ٣، ١٩٨٠م و«العدو المسلم في ملاحم عصر النهضة الأوربية». مجلة عالم الفكر، العدد ١/١٩٨٦م

٨. لمزيد من المعلومات يرجع إلى كتابنا «الأدب المقارن مشكلات وآفاق». دمشق (اتحاد الكتاب العرب)، ١٩٩٩م. ص ١٩٣، ٢٠٤، وإلى كتابنا «هجرة النصوص. دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي». منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥م.

٩. لقد حدت أهمية أدب الأطفال واليافعين ببعض الجامعات في الأقطار المتقدمة إلى إحداث معاهد متخصصة في هذا الأدب. كمعهد أدب اليافعين بجامعة فرانكفورت/ ماين في ألمانيا، وجوائز خاصة به.

١٠. ثمة عدة دراسات حول الموضوع، نكتفي بذكر واحدة منها: جيلا رامراز - رايوخ. العربي في الأدب الإسرائيلي. ترجمة نادية حافظة وإيهاب فايق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

١١. راجع على سبيل المثال كتاب: Die Dritte Welt im Deutschen Kinder Buch, Hrsg. V. J. Becker u. R. Rauter. Wiesbaden 1978 (العالم الثالث في كتاب الأطفال الألماني).

١٢. باتت هذه الدراسات الأدبية تعرف بدراسات «الأدب المبتذل».

١٣. يرجع إلى حسين م. فهيم «أدب الرحلات». الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩م.

١٤. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يرجع إلى. الطاهر لبيب (تحرير). «صورة الآخر، العربي ناظرًا ومنظورًا إليه». بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م.

١٥. تم هذا المؤتمر عام ٢٠٠١م في مدينة دوربان بجنوب إفريقية، وشهد جدالاً حاميًا فيما يتعلق بعنصرية الصهيونية، انسحب على أثره الوفدان الإسرائيلي والأمريكي من المؤتمر.

١٦. يرجع إلى: بيتر باخمان، غوتهولد أفرائيم ليسينغ وحكاية. الخواتم الثلاثة. بيروت (دار الشروق)، ١٩٨٤م.





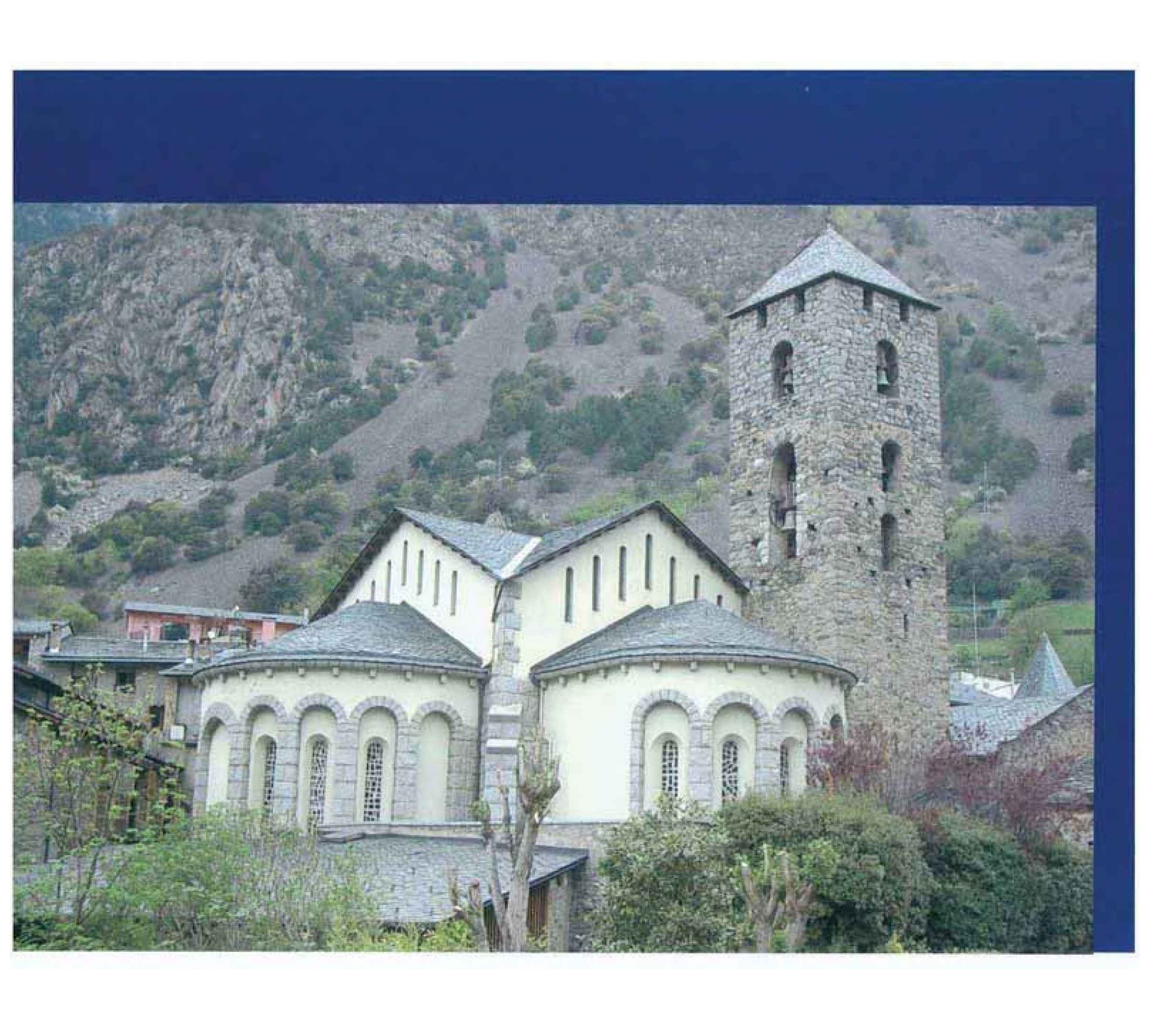
دويلات الجيب الأوربية

سمير عطا
القاهرة - مصر

مثلما يوجد في عالم الشجر عمالقة مثل أشجار (السيكويا) التي قد يزيد ارتفاعها على ٦٠ مترًا، وأقزام لا يزيد ارتفاع بعضها مثل (البونساي) الياباني على خمسة سنتمترات مع أنها أشجار كاملة النمو .. ففي عالم الدول نجد عمالقة، مثل الصين التي يزيد عدد سكانها على مليار نسمة، والهند والولايات المتحدة وإندونيسيا التي يعدّ السكان فيها بمئات الملايين. كما نجد دولا قزمية (ميني)، مثل: ناؤورو Nauru وتوفالو Tuvalu، وهما دولتان مستقلتان استقلالاً كاملاً، وذواتا سيادة، وسكان كل منهما لا يزيد على تسعة آلاف نسمة.

ولكن، إذا كان صغر هاتين الدولتين يرجع إلى أنهما مجرد أقاليم جزرية في المحيط الهادي (الباسيفيكي) شاءت ظروف دولية أن يصبح لكل منهما كيان كامل، شأنهما شأن أي دول كبرى، فإن هناك في أوربا خمس دول قزمية ذات تاريخ قديم، ولبعضها وضع دولي يجعلها لا تقل شهرة عن غيرها من الدول الكبرى، وهي دول مستقلة، وأعضاء في الأمم المتحدة أو مرتبطة بها، وعدد سكانها جميعًا لا يزيد على ١٤٥ نسمة.

وعندما نتحدث عن صراعات أحزاب الدول الكبرى واتجاهاتها الفكرية (أيديولوجياتها)، ومجالس وزرائها ونوابها، ونظم الحكم المختلفة فيها، وعلاقاتها الخارجية، كل ذلك في هذه الدول «الميني» التي لديها كل آلام الدول الكبرى وآمالها، ولكن على طريقتها. فالانتخابات تجري لترشيح نواب يمثلون الشعب، لكن هذا الشعب أو الناخبين فيه قد لا يزيدون على عدة آلاف، وأحيانًا عدة مئات، والأحزاب تتصارع، وأعضاء كل منها مئات فقط أو عشرات .. فيهم اليميني، واليساري، والديمقراطي، والليبرالي، والاشتراكي.



وقـد تـأرجح دولة منهـا بين الرأسـمـاليـة حـينًا، والشيوعـية حينًا آخر. والزائر لهذه الدول لا يجد كثير اختلاف في كل مناحي الحياة. بينها وبين أي بلد مجاور من دول أوربا التي نعرفها. والتي تعيش هذه الدول «الميني» في كنفها، تحوطها كل الضمانات والمواثيق الدولية.

وفي مصطلحات التاريخ السياسي القديم، وحتى المعاصر، إلى وقت قريب كانت تسمى هذه الدول بالمدينة - الدولة City - State، لكنهـا الآن، وبعـد ارتبـاطهـا أو عضويتها في الأمم المتحدة، غدت ذات كيان دولي كامل، شأنها شأن أي دولة أخرى.

- أندورا Principatd' Anoorra

إمارة ديمقراطية برلمانية تحكم ثنائيًا - Unique co - Principality مساحتها ٤٥٣ كيلو مترًا مربعًا، سكانها نحو ٥٥ ألف نسمة، عاصمتها أندورا لافيللا Andorra Lavela، ومن مدنها الأخرى السيلت، وسولدو، وانكامب، وليزا سكالديز، وسانت خوليا دي ماريا.

تقع على الحدود بين فرنسا وإسبانيا وتتكون من



سان مارينو حيث جمال الطبيعة وروعة العمارة

عدة أودية ضيقة. يختطها نهرا فاليرا دل نورتي Valira del Norté فاليرا دل أورينتي Valira del Oriemé اللذان يتقابلان بالقرب من العاصمة «أندورا لا فيللا» تحت اسم نهر فاليرا Valira يتحدث أهلها اللغة الكتلانية إلى جانب الفرنسية والإسبانية. ومعظم سكانها إسبان وأندوريون وقلة من الفرنسيين والبرتغاليين. يرأس أندورا كل من الرئيس الفرنسي وأسقف أورجل الإسباني. ولكن يمثلهما في الحكم عاهلان يطلق عليهما اسم «أميري أندورا».

وللإمارة مجلس نيابي واحد يتكون من ٢٨ عضواً ينتخبون بالاقتراع العام .. ولكل أمير حق الفيتو Veto على أي قرار يصدره المجلس إذا لم يوافق عليه الأمير، ويقوم المجلس بتعيين المجلس التنفيذي (الحكومة)، وأحد أعضاء هذا المجلس يقوم برئاسة الحكومة: ولأن لأندورا حاكمين فهناك ازدواجية في بعض النظم. فيوجد نظامان للبريد بطوابع إسبانية وفرنسية. ونظامان للتعليم: أحدهما يتبع المنهج الفرنسي، والآخر يتبع المنهج الإسباني. ويُتَعَامل بالعملتين الإسبانية البزيتا Peseta، والفرنك Franc الفرنسي كعملتين رسميتين Legal Tender، وتشرف الحكومة على الأمور الداخلية، أما العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى فهي في يد فرنسا .. وأندورا لا جيش لها. ويقتصر النظام العسكري على قوة شرطة من ٤٥ رجلاً. ومع ذلك فهي عضو كامل العضوية في الأمم المتحدة.

وأول عهدنا بأندورا يرجع إلى عصر شارلمان الذي قيل: إنه هو الذي أسسها أو حررها. وكان أول حاكم يعرف لها هو الكونت أورجل وهو نبيل إسباني سيطر على المنطقة عام ٨٠٠م، ثم تنازل عنها في فترة لاحقة لدوقة أورجل. وفي عام ١٠٠٠م لم يعد باستطاعة أسقف اورجل الذي عادت إليه مسؤولية الحكم فيها أن يدافع عنها وحده، فطلب من نبيل إسباني، هو لورد كابيوت Lord of Cabeot أن يدافع عنها، وورث هذه المسؤولية . عن طريق الزواج - نبيل فرنسي، هو كونت فوا Count of Foix، ولكن سرعان ما شب النزاع بين الكونت الفرنسي والأسقف الإسباني حول أندورا، وانتهى النزاع أخيرًا بعقد معاهدتين في عام ١٢٧٨م، و١٢٨٨م أصبح الاثنان

في أوربا خمس دول قزمية ذات تاريخ قديم، ولبعضها وضع دولي يجعلها لا تقل شهرة عن غيرها من الدول الكبرى، وهي دول مستقلة، وأعضاء في الأمم المتحدة أو مرتبطة بها، وعدد سكانها جميعًا لا يزيد على ١٤٥ نسمة


أحد معالم سان مارينو أقدم بلد مستقل

بمقتضاهما حاكمين مشتركين للإقليم. وعن طريق التزاوج أيضًا، ورث ملك فرنسا حقوق الكونت .. وإن كانت فرنسا قد رفضت حكم أندورا خلال الثورة الفرنسية، فطلب أهلها من نابليون الأول أن يحكمهم، وقبل نابليون ذلك عام ١٨٠٦م، وعيّن حاكمًا فرنسيًا لها، ثم عاد نظم الملكية الثنائية للإمارة بعد عودة الملكية إلى فرنسا، حتى أعيدت صياغة نظام الحكم بها عام ١٩٩٣م لتصبح إمارة برلمانية ثنائية الحكم، وصدر دستور يحد من سلطة الإمارة الثنائية. وتأسست حكومة من ثلاثة أفرع تنفيذية وتشريعية وقضائية، وانتهى بذلك النظام الإقطاعي الذي ظل سائدًا طوال ٧١٥ عامًا، وانضمت كعضو في هيئة الأمم المتحدة في العام نفسه.

وبأندورا خمسة أحزاب هي الحزب الليبرالي الاتحادي U L، والمجموعة الليبرالية G L، والتآلف الوطني الأندوري C N A، وتجمع كانيزلاماسا Aclm، والتجمع الوطني القومي N D G ... وبموجب الدستور الجديد كانت قد قامت حكومة ائتلافية. وفي ١٩٩٧م فاز حزب رئيس الوزراء الحالي فولني، وانتهى دور الحكومة الائتلافية السابقة. وتثور بين الحين والآخر، في صراع الأحزاب الحالية مسألة إمكانية استقلال الإمارة عن كل من فرنسا وإسبانيا، وانتخاب رئيس أندوري؛ ليتوائم الشكل في الوضع الحالي بوصفها دولاً مستقلة ذات سيادة.

وحتى عام ١٩٣٠م، كان حق التصويت في الانتخابات قاصرًا على أرباب الأسر فقط دون الشباب، وفي عام ١٩٣٣م اجتاح عدد من الشباب مقر المجلس النيابي (الجمعية العامة General Council). وطالبوا بأن يكون للشباب فوق الـ ٢٥ عامًا حق التصويت، وخفض في ١٩٧٠م إلى ٢١ عامًا، كما اكتسبت النساء حق التصويت في العام نفسه، وتم انتخاب امرأة عضوًا بالجمعية العامة أول مرة عام ١٩٨٤م، وفي ١٩٨٥م، خفض سن التصويت إلى ١٨ سنة.

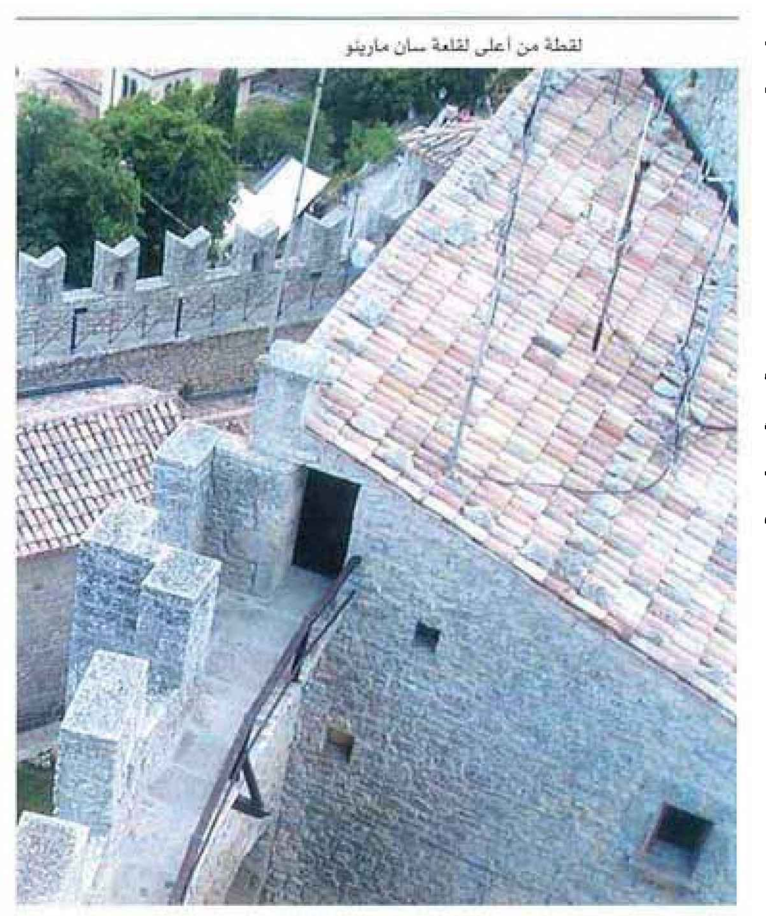
وتتميز آندورا برخص أسعارها، حيث تشكل عمليات الترانزيت بين فرنسا وإسبانيا أهم أنشطتها الاقتصادية التي يغلب عليها طابع التهريب، ومن هنا كانت مقصدًا للسياح الذين بلغ عددهم أكثر من ٧ ملايين سائح في العام، منهم ٤ ملايين على الأقل من إسبانيا وحدها، ولأن اقتصادها حر، ولا توجد أي قوانين تحدّ من حرية انتقال الأموال أو التجارة، فقد نافست سويسرا في اجتذاب البيزيتا الإسبانية، وغيرها من العملات الأوربية، التي كانت تتجه قبلاً إلى جزر «البهاما» وغيرها من أسواق المال الأخرى. ولذلك، ولصغر حجم الإمارة، فقد ارتفعت أسعار الأراضي بها حتى قيل: إنها تباع للمستثمرين بالشبر.

شيء واحد تحرص عليه آندورا، هو العمل على الحد من تدفق الأجانب الذين يرومون الإقامة المستديمة بها خشية أن تتغير تركيبة الهيكل السكاني.. لذلك فقد وضعت شروطًا صعبة أمام العمال الأجانب الذين يرغبون في الحصول على الإقامة الشرعية، والذي يتحايل على هذه الشروط يُرَحَّل عن البلاد مع تعويضه عما يمكن أن يكون قد أنفقه مدة إقامته ... أما المجرمون العاديون (إن وجد أحد منهم) فإنهم يرحّلون إلى سجون فرنسا أو إسبانيا حيث لا تعرف آندورا نظام السجون الذي لم تجد داعيًا إليه في أغلب الأوقات طوال تاريخها.

سان مارينو

يقع ميناء أنكونا في الشمال الغربي لإيطاليا على بحر الأدرياتيك الذي يفصل بينها وبين دول البلقان، وهو إلى الجنوب من مدينة البندقية (فينيسيا). وبعض الزائرين الذين يسافرون بالبحر إلى أوربا يفضلون إتمام رحلتهم عن طريق أنكونا، ومنها يأخذون القطار إلى أي بلد آخر في أوروبا مارين بميلانو في شمال إيطاليا، وسويسرا، أو النمسا .. وقبل النزول في أنكونا كثيرًا ما ترد إشارة إلى جمهورية سان مارينو: تلك الجمهورية الصغيرة التي تقع كلية داخل الحدود الإيطالية ولا تزيد مساحتها على ٦٠ كيلو مترًا مربعًا، ولا يزيد عدد سكانها على ٢٥ ألف نسمة، ومع ذلك فهي عضو في الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٢م، وأقدم جمهورية، بل وأقدم بلد مستقل في أوربا إن لم يكن في العالم أجمع، فقد حصلت

لقطة من أعلى لقلعة سان مارينو



على استقلالها في ٣ سبتمبر/ أيلول عام ٣٠١م، وهو اليوم الذي تحتفل فيه سان مارينو بعيد استقلالها سنويًا حيث يشارك في هذا الاحتفال كل افراد الشعب لا الحكومة فقط. كما أنها تتمتع على الرغم من صغرها بكل مقومات الدولة من أرض وشعب ولغة وتاريخ؛ وهذا الأمر يجذب كل مار بأنكونا إلى أن يعرج في زيارة خاطفة قد تستمر يومًا أو عدة أيام إلى سان مارينو، حيث لا يكاد يخلو أسبوع واحد من مناسبة أو احتفال أو معرض أو مهرجان يقام بها جذبًا للزوار. وأهم هذه الاحتفالات الاحتفال بيوم الاستقلال.

وأول شيء قد يخشاه الزائر هو الإقامة لازدحام هذه الدولة بمثل هذه الاحتفالات. غير أن الأمر ليس بهذا التصور .. فمع أن بها الكثير من الفنادق والمطاعم إلا أن قربها من المدن السياحية الإيطالية، وأهمها مدينة ريميني على ساحل الأدرياتيك جعل من السهل على أي زائر - إن لم يجد مكانًا في سان مارينو نفسها - أن يقيم في أي فندق إيطالي مجاور، والدخول والخروج من سان مارينو إلى إيطاليا كمن ينتقل من شارع إلى شارع آخر في مدينة واحدة.



وتقع العاصمة سان مارينو فوق ثلاث قمم لجبل «تيتانو» أحد جبال سلسلة «الأبنايين» الإيطالية. وتقول إحدى الأساطير القديمة: إن الذي أنشأ سان مارينو رجل اسمه مارينوس، وكان قاطع أخشاب، جاء من دلماشيا (أحد أقاليم يوغوسلافيا الحالية) .. وقد التجأ إلى جبل «تيتانو» هربًا من الاضطهاد الذي كان يوقعه الأمبراطور الروماني برعاياه، إذ كان معظم أوربا تحت الحكم الروماني، وسرعان ما لحق بمارينوس بعض أصدقائه الذين كوّنوا مجتمعًا صغيرًا ينعمون فيه بحريتهم، وهم معتصمون بالجبل. ومنذ أن نشأت هذه الدولة وهي تعرف معنى الاستقلال. وإن لم تبدأ عصر الاستقرار، إلا بعد أن اعترف بها بابا الفاتيكان عام ١٦٣١م، وكانت قد سنت أول دستور، وأنشأت أول حكومة بها عام ١٦٠٠م. وعندما اكتسح نابليون بونابرت شمال إيطاليا أعجب بهذه الدولة الصغيرة، وقال: «أرى من الواجب الحفاظ على هذه الدولة كرمز للحرية»، ومن ثم رفع يده عنها، ولم يحتلها، بل عرض على المسؤولين فيها أن يضم إلى دولتهم أراضي أخرى لتتسع مساحتها، فرفض المسؤولون قائلين: «يكفي أن يكون القائد الفرنسي الكبير صديقنا» فاقتنع نابليون بهذا الرد الدبلوماسي، وسعد به.

ومما ساعد سان مارينو على الاحتفاظ باستقلالها أنها كانت دائمًا تنحو إلى الحياد في أي نزاعات تقوم بين دول القارة، وإن كانت قد أوت في الحرب العالمية الثانية أعدادًا من الجنود الإيطاليين، وانضم بعض سكانها إلى صفوف القوات الإيطالية، مما عرضها لبعض الهجمات



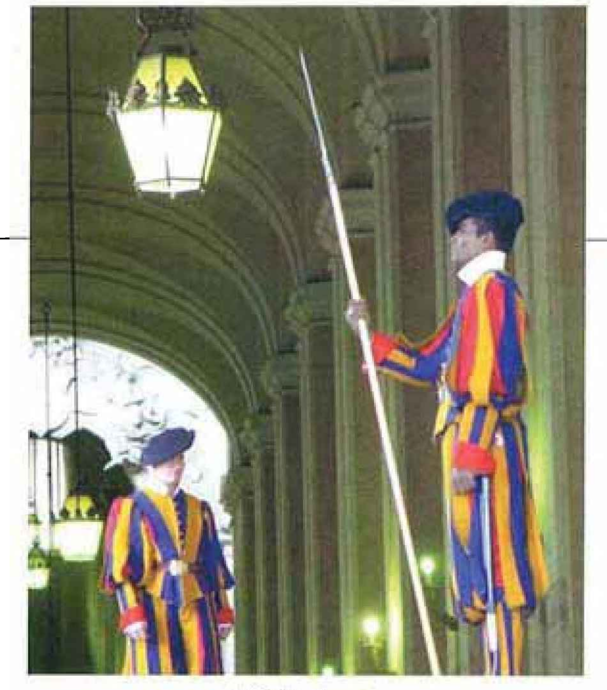
نهر البتيرجيت يطل على الفاتيكان



محل إقامة البابا في الفاتيكان

من قبل الطيران البريطاني. كذلك سبق أن لجأ إليها غاريبالدي الذي كان يعمل على توحيد إيطاليا، وكادت سان مارينو تفقد استقلالها بسبب ذلك، إذ حاصرتها قوات الإمبراطورية النمساوية عام ١٨٤٩م، فهرب غاريبالدي منها، هو ومن معه من رجال العصابات، فرفعت النمسا يدها عنها. وبينما كانت جمهورية «بيدمونت - سردينيا - (من دويلات المدن الإيطالية) تغزو كل شبه الجزيرة الإيطالية خلال السنوات ١٨٦٠ - ١٨٧٠م لتحقيق الوحدة الإيطالية. تركت سان مارينو مستقلة، كما عقدت «مملكة إيطاليا الجديدة» معها معاهدة صداقة وتعاون عام ١٨٦٢م. وفي عام ١٨٦١م - وكدولة مستقلة لها علاقاتها ودورها بين دول العالم. كتب سكان سان مارينو إلى «إبراهام لنكولن» (الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت) يعبرون عن تعاطفهم معه لما يدور ببلاده في أثناء الحرب الأهلية، فرد عليهم لنكولن قائلاً: «على الرغم من أن بلادكم صغيرة إلا أنها من أكثر البلاد استحقاقًا للاحترام في التاريخ».

وعلى الرغم من ضآلة سان مارينو فإن لديها كل مقومات الدولة الحديثة ذات التاريخ العريق، فبها ستة أحزاب سياسية هي: الحزب المسيحي الديمقراطي، والحزب الشيوعي، وحزب سان مارينو الاشتراكي، وحزب سان مارينو الديمقراطي، وحزب سان مارينو الجمهوري، وحزب الوحدة الاشتراكي، كما أن بها اتحادين للعمال: الاتحاد الديمقراطي للعمال السان مارينين، وضم ١٨٠٠ عضو، والاتحاد العام للعمال، وأعضاؤه ١٤٠٠. ومنذ عام ١٩٧٨م كان يتولى الحكم تحالف يساري من الحزب الشيوعي، وحزب سان مارينو الاشتراكي، وحزب الوحدة الاشتراكي .. وبذا كانت سان مارينو هي «الدولة» الشيوعية الوحيدة خارج النطاق السوفييتي في غرب أوربا، على الرغم من أعضاء الحزب الشيوعي لا يزيد


من حراس الفاتيكان



عددهم على ٣٠٠ عضو. ومن عام ١٩٨٦م تشكلت الحكومة من ائتلاف الشيوعيين والديمقراطيين المسيحيين.

ويحكم سان مارينو «عاهلان» أو حاكمان أو وصيّان يتم انتخابهما كل ستة أشهر عن طريق مجلس نيابي واحد مؤلف من ستين عضوًا، وينتخب أعضاؤه كل خمس سنوات يسمى «المجلس الكبير» يساعده مجلس آخر اسمه مجلس العائلات .. كما أن هناك مجلسًا ثالثًا من اثني عشر عضوًا يسيّر الأمور التنفيذية تحت إشراف الوصيين والحكم الفعلي في يد كل من وزير الخارجية ووزير الداخلية. ومن حق كل مواطن أن يشترك في مناقشة أمور بلاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكنهم يلتزمون ما يراه «المجلس الكبير» الذي يملك القرار النهائي في صيغة الحكم وتوجهات السياسة. وقد استطاعت المرأة أن تحصل على حقها في الانتخابات عام ١٩٦٠م، كما أصبح من حقها أيضًا تولي المناصب الحكومية بعد أن كانت وقفًا على الرجال من قبل.

ويقوم بالدفاع عن البلاد جيش لا وجود له يسمى «الميليشيا» إذ إن كل ذكر ما بين الثامنة عشرة والخامسة والخمسين هو عضو احتياط في هذا الجيش غير القائم .. ولأغراض سياحية بحتة تحتفظ سان مارينو بفرق عسكرية لا يزيد أفرادها على العشرات، لكل منها زي معين تجوب شوارع المدينة، وعلى الحدود للاستعراض، وأهمها فرقة حرس المجلس، وهي فرقة التشريفات، وتتزيّا بالزي نفسه الذي عهدته منذ عام ١٧٤٠م، إلى جانب قوة شرطة لتنظيم المرور والحفاظ على الأمن. وهي قوى ليسوا في خشية منها؛ لأنها متوافرة أصلاً، ومن ثم، فهي قوات رمزية كأنها من تراث الأجداد.

وفي سان مارينو يتكلمون اللغة الإيطالية، وهم يحافظون على كل مظاهر الدولة الكاملة، فلسان مارينو شعار عبارة عن درع تحوطه أشجار الزيتون، ويحمل كلمة «الحرية». وعلمها ذو لونين طوليين أبيض يرمز إلى السلام، وأزرق رمز الحرية، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثامن عشر.

وتعتمد سان مارينو في اقتصادها على السياحة كمصدر رئيس للدخل القومي، إذ يزورها ما بين ٢ و٣ ملايين سائح سنويًا، ويعمل كل سكان البلاد في خدمتهم والترحيب بهم في أثناء إقامتهم التي لا تتعدى يومًا واحدًا أو أيامًا قليلة، ولذا فهم لا يحتاجون إلى تجهيزات ومنشآت سياحية أو كثيرة لاستقبال هذا العدد الهائل من السياح. فإن قربها من المدن السياحية الإيطالية يوفر لها هذه الاحتياجات كما سبق القول، وإن كانت سان مارينو تضم مع ذلك عددًا لا بأس به من الفنادق والمطاعم ذات

تتميز أندورا برخص أسعارها، حيث تشكل عمليات الترانزيت بين فرنسا وإسبانيا أهم أنشطتها الاقتصادية التي يغلب عليها طابع التهريب، ومن هنا كانت مقصدًا للسياح الذين بلغ عددهم أكثر من ٧ ملايين سائح في العام، منهم ٤ ملايين على الأقل من إسبانيا وحدها



أحد الشوارع في إمارة أندورا

المستوى الجيد .. وتعمل سان مارينو جاهدة على هؤلاء السياح على الرغم من خلوها من الآثار التاريخية إلا بعض القصور والكنائس القديمة، وذلك بوسائل شتى منها إقامة الكثير جداً من المعارض والمهرجانات مثل الـ U F O S الأشياء الغامضة الطائرة، ومعرض التصوير الفوتوغرافي والرسم، والمعارض التجارية والزراعية، وفن النقش على السيراميك، وسوق العاديات القديمة، والأشياء المستعملة الذي يقام شهرياً ببلدة «بورجو ماجيوري» في الأشهر من ابريل/ نيسان إلى سبتمبر/ أيلول، والذي يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر، وسباق الدراجات والسيارات، ومعارض الفنون الشعبية من أزياء ورقص وموسيقا، والدورات الرياضية المختلفة حتى معارض للكلاب والمشروبات، وإلى جانب السياحة تعتمد سان مارينو على تصدير بعض المنتجات الزراعية إلى إيطاليا، وأحجار البناء التي يستقطعونها من جبل «تيتانو» وكأنه منبع لا ينضب من هذه الأحجار، وهذا الأمر جعل مستوى دخل الفرد في هذه الجمهورية يتقارب مع مستوى معيشة الإيطالي المقيم في شمال إيطاليا (نحو ١٧٠٠٠ دولار سنوياً) .. ولا عجب بعد ذلك أن نجد متوسط عمر الرجل ٧٤ عاماً في حين يزيد متوسط عمر المرأة عن عمر الرجل - كدأبها دائماً في كل أنحاء العالم - حيث يصل إلى ٧٩ عاماً.

ومن أهم المهرجانات التي يقيمونها مهرجان تنصيب «الوصيين» كل ستة أشهر، والعيد القومي في ٣ سبتمبر/أيلول من كل عام .. وفي يوم هذا الاحتفال يستعد كل سكان البلاد للمشاركة فيه، يبدأ العرض من «ميدان الحرية» بعد أن يحيّوا العلم، ثم ينطلق الموكب إلى الكاتدرائية، وبعدها يطوف بشوارع المدينة، وفي المساء تنطلق الألعاب النارية .. وتحرص الدولة على إقامة استراحات في كل الطرق، وهي منازل صغيرة من حجرة



واحدة يستريح بها المسافرون والسياح .. كما ينتهز المواطنون كل فرصة لإقامة المسابقات ذات الجوائز تحت شعار « تعال واكسب عندنا » .. فضلاً عن وجود عدد من المتاحف التي تضم أعمالاً نادرة من الفن العالمي.

. الفاتيكان

أصغر «دولة» مستقلة في العالم سواء في الحجم أو السكان .. مساحتها نصف كيلو متر مربع وعدد سكانها ألف نسمة يتحدثون اللغة الإيطالية واللغة اللاتينية كلغة كنسية. وتقع الفاتيكان كلها داخل حدود مدينة «روما» عاصمة إيطاليا غير بعيد عن ضفتي نهر «التيبر». وتشمل كنيسة القديس بطرس، والميدان المسمى باسمه، وعدداً من القصور والحدائق. والسكان الألف هم أعضاء الكنيسة الذين يتطلب أداء أعمالهم الإقامة في الفاتيكان، ويحملون جنسية خاصة بهم هي جنسية الفاتيكان، ومعظمهم من الإيطاليين، وعدد قليل من السويسريين والجنسيات الأخرى.

والاسم الرسمي للفاتيكان هو: Santadella citta del Vaticano، والاسم السياسي لها هو الـ«هولي سي Holy See».

والبابا Pope هو رأس الكنيسة الكاثوليكية، والحاكم المطلق للفاتيكان، وأسقف روما. ويرأس البابا «المجلس المقدس»، وهو الهيئة الرئيسة للكنيسة الكاثوليكية ويتفرع منه مجمع الكرادلة College of Cardinals، ومجمع الأساقفة Synod of Bishops، أو المجمع المسكوني. وتتألف الهيئتان من كبار الكرادلة والأساقفة في الفاتيكان، وينعقدان في دورات غير منتظمة بدعوة من البابا .. ومجمع الكرادلة عمله استشاري. وينوب عن البابا في حالة غيابه، وهو الذي ينتخب البابا عندما يخلو المنصب ممن يشغله بالوفاة، إذ إن البابا ينتخب لمدى الحياة. وإن كان للمجلس حق خلع البابا، كما حدث للبابا يوحنا الثالث والعشرين، إذ خلعه مجمع كونستانزا، وشطب



أحد الاحتفالات في لختنشتاين

اسمه من سجل البابوات عام ١٤١٥م. ويرجع هيكل التشكيل الحالي لمجمع الكرادلة إلى القرن الثاني عشر الميلادي. وكان منذ القرن السادس يتكون من عدد من شمامسة كنائس روما الرئيسة وقساوستها. ثم أصبح لقب الكاردينال لا يحمله إلا أعضاء مجمع الكرادلة الذي كان يتكون من ٧٠ عضواً على عهد البابا «سكستوس الخامس» عام ١٥٨٦م، إلا أن البابا «جون الثالث عشر» زاد عددهم منذ عام١٩٥٩م بحيث لا يزيد عدد من يسمح له بالانضمام إلى هيئة انتخاب البابا عن ١٢٠ كردينالا. وقد رسم أول بابا لروما في عام ٩٧م خليفة للقديس بطرس، الباب «جون (يوحنا) بول الثاني» الذي انتخب عام ١٩٧٨م خلفاً للبابا «جون بول» الأول، وهو رقم ٣٠٠ في سلسلة البابوات. وقد توفي ٢٠ إبريل/ نسيان ٢٠٠٥م وقد خلفه البابا بيشيد تكيت السادس عشر الذي يحمل الرقم ٣٠١. وهو ألماني الأصل.

والبابا الحالي هو أول بابا ينتخب من خارج إيطاليا منذ ٤٥٦ سنة وهو بولندي اسمه الأصلي «كارول فويتيلا». وبمقتضى سلطانه كرئيس للفاتيكان فإن البابا يستقبل سفراء الدول الأجنبية. ويعين سفراء له لدى هذه الدول. وسفير الفاتيكان في كل دول أمريكا اللاتينية. (وهي دول كاثوليكية) له الأولوية، ومقدَّم دائمًا على كل سفراء الدول المعتمدين في هذه الدول. ويرأس سفير الفاتيكان (ويسمى القاصد الرسولي) الهيئة الدبلوماسية للسفراء الأجانب، ويكون عميدًا للسلك الدبلوماسي على غير ما تجري عليه القاعدة في الدول الأخرى التي يرأس الهيئة الدبلوماسية الأجنبية فيها أقدم السفراء في البلد الممثلين فيها.

وإلى جانب «المجلس المقدس» توجد هيئة أخرى تضم ٩ أقسام دينية، و٣ أقسام سكرتارية، وعدداً من اللجان والفروع تختص بالشؤون الإدارية. وتسمى هذه الهيئة باسم الـ رومان كوريا Roman Curia ويرأسها موظف يشبه عمله عمل عمدة المدينة، ويدير الشؤون الخارجية الكاردينال سكرتير الدولة. ولا يوجد للفاتيكان جيش، إلا أن هناك وحدة عسكرية تسمى الحرس السويسري، وهي التي تقوم على حراسة البابا، وسكنه الخاص بصفة مستمرة، كما تقوم «رابطة القديس بطرس» بخدمات الشرطة اليومية.

وعلى الرغم مما يوحي به العرض السابق من وجود جذور تاريخية قديمة للفاتيكان فإنه لم يحصل على استقلاله إلا في عام ١٩٢٩م، وعلى يد القائد الفاشي «موسوليني» .. والفاتيكان تاريخياً هو بقية إقطاعية سانت بيتر Patrimony of St.Peter تلك الدويلة التي أقطعها للبابوات في القرن الثامن الميلادي بيبين القصير Pepin the short (والد شارلمان). واستمرت كإقطاعية للبابا إلى أن قامت مملكة «إيطاليا الجديدة» بغزو هذه الإقطاعية عام ١٨٧٠م وأعلن الملك «فكتور عمانوئيل» روما عاصمة موحدة لإيطاليا. غير أنه عاد بعد عام واحد، وأصدر ما سمي باسم «قانون الضمانات» الذي يعترف بملكية بابا روما للفاتيكان واستقلاله؛ وهذا الأمر لم يكن في الواقع يعني شيئاً حقيقياً حتى جاء موسوليني وعقد مع الفاتيكان معاهدة «لاتيران Lateran» التي ضمن الفاتيكان بمقتضاها استقلاله، وتم بموجبها الاعتراف بحدوده كدولة مستقلة ذات سيادة. وقد ضمنت نصوص هذه المعاهدة في الدستور الإيطالي عام ١٩٤٧م. وبمقتضى شروط المعاهدة فإن الفاتيكان يتعهد بالحياد التام بالنسبة إلى السياسة الإيطالية، والسياسة العالمية على وجه عام، وإن كان يمكن أن يعهد إليه أو يطلب منه القيام بأدوار الوساطة في النزاعات الدولية. ثم صدر أخيراً دستور كنسي لمزيد من تحديد الاختصاصات بُدئ بتنفيذه عام ١٩٦٨م.

> تقع الفاتيكان كلها داخل حدود مدينة "روما" عاصمة إيطاليا غير بعيد عن ضفتي نهر "التيبر". وتشمل كنيسة القديس بطرس، والميدان المسمى باسمه، وعدداً من القصور والحدائق. والسكان الألف هم أعضاء الكنيسة الذين يتطلب أداء أعمالهم الإقامة في الفاتيكان

ولمدينة الفاتيكان طوابعها وعملتها الخاصة واسمها «ليرة الفاتيكان» وهي عملة قابلة للتحويل مع الليرة الإيطالية. ودخل الفاتيكان يأتي أساساً من الفائدة التي يحصل عليها من إيداع ١.٧٥ بليون ليرة حصل الفاتيكان عليها من إيطاليا كتعويض عن الأراضي التي فقدها عام ١٨٧٠م، وحصيلة ما يسمى باسم «بنس القديس بطرس Peteris Pence» الذي يرد من جميع الكنائس الكاثوليكية في العالم..

وبيع طوابع البريد التذكارية، والسياحة، ورسوم دخول المتحف، وبيع المطبوعات والهبات والعطايا التي تقدم إلى البابا من كثير من دول العالم، فضلاً عن مجموعة من الأعمال التجارية في الخارج.

وأهم معالم الفاتيكان قصر الفاتيكان وهو مجموعة متصلة من المباني، به نحو ١٠٠٠ حجرة، وتضم سكن البابا، والمتحف، ومكاتب سكرتير الدولة، وأجنحة الضيافة، والديوان العام، والمكتبة. وللبابا مقر آخر غير الفاتيكان هو قصره الصيفي في قلعة «جاندولفو» بروما ... ومن معالمها أيضاً كنيسة القديس بطرس التي تحوي

نقوشًا لأقطاب الفن الإيطالي مثل مايكل أنجلو وروفائيل.

وعلى الرغم مما يثار بين الحين والآخر من أفكار حول اجتماعات ما يسمى «التقارب بين الأديان» فقد صدرت عن الفاتيكان مؤخرًا عدة قرارات كانت محل تساؤل من أهمها القرار الخاص ببراءة اليهود من دم السيد المسيح عليه السلام، وقرار طلب الصفح والمغفرة من اليهود، وحصر الخلاص (أي النجاة في الآخرة) بالكنيسة الكاثوليكية وحدها دون غيرها من الأديان والعقائد حتى الكنائس المسيحية الأخرى مثل الإنجيلية والأرثوذكسية والبروتستانت، وغيرها، وهو موقف مغاير لما اتخذه الباب يوحنا الثالث والعشرون (وهو غير الباب يوحنا الثالث والعشرون الذي سبقت الإشارة إليه، إذ هناك اثنان من البابوات يحملان هذا الاسم) وكان هذا البابا قد دعا عام ١٩٥٦م، إلى التسامح الديني والحوار بين الأديان السماوية الثلاثة ...

. لختنشتاين

وتقع في وادي نهر «الراين» بين النمسا شرقًا وشمالاً، وسويسرا غربًا وجنوبًا، على طريق مهم يربط بين النمسا وألمانيا من جهة، وسويسرا وإيطاليا من جهة أخرى. سكانها ٣٢ ألف نسمة، ثلثهم من الأجانب الوافدين للعمل بها، والباقي ألمان. مساحتها ١٦٠ كيلو مترًا مربعًا. والعاصمة «فادوز Vaduz» تقع كلها على سفح جبل في قمته قصر الأمير ومقر الحكم .. ومن المدن الأخرى «سخان» و«بالزوس» و«كريسن». واللغة السائدة هي الألمانية. وإن كان للسكان لهجة ألمانية خاصة؛ إذ ينحدرون من قبائل جرمانية قديمة.

ولختنشتاين إمارة دستورية. وتتشكل الحكومة الحالية من حزبي F B P حزب الشعب التقدمي، وV U الاتحاد الوطني. ولها مجلس نيابي واحد يتكون من ٢٥ عضوًا ينتخبون كل أربع سنوات. وهناك حزبان معارضان هما «الخضر» و«القائمة الحرة». وقد انضمت لختنشتاين إلى الأمم المتحدة عام ١٩٩٠م، كما أنها عضو في الاتحاد الأوربي E C. وعلى الرغم من سيادة الصفة الألمانية فإن لختنشتاين منضمة مع سويسرا في اتحاد نقدي وجمركي، وعملتها هي الفرنك السويسري. كما أن سويسرا تمثلها في علاقاتها الخارجية.

ولختنشتاين هي الوريث الشرعي أو «بقية» الإمبراطورية الرومانية المقدسة Holy Roman Empire التي كان يحكمها «شارلمان»، وكان لها يومًا ما النفوذ الأكبر في أوربا. وكان شارلمان يسيطر على هذه المنطقة أواخر القرن الثامن الميلادي، وبعد وفاته أوائل عام ٨٠٠م قسمت المنطقة إلى ولايتين مستقلتين هما فادوز Vaduz، وشلنبرج Schellenberg. واسم لختنشتاين يرجع إلى اسم الرجل الذي اشترى هذه المنطقة. وهو «جوهان آدم

جانب من متحف الفاتيكان

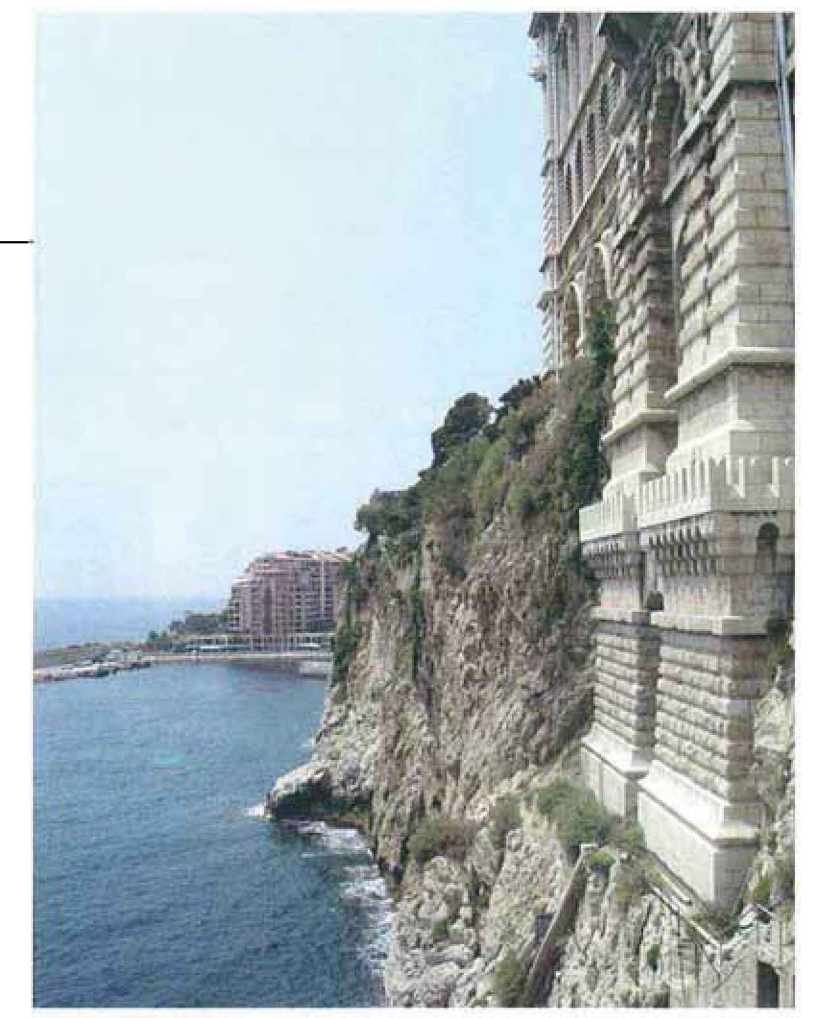




كازينو موناكو الشهير ليلاً

لختنشتاين Johann - Adam Liechtenstein أحد أمراء فيينا. وقد بدأ بشراء «شلنبرج» عام ١٦٩٩م، ثم «فادوز» عام ١٧١٢م. وإن ظلتا تحت السيادة الإمبراطورية. وفي عام ١٧١٩م أعطى الإمبراطور هذا الإقليم الحق في أن يكون إمارة مستقلة، وظل الإقليم كذلك ما عدا فترة قصيرة في أثناء وضع نابليون الأول يده عليها حتى انضمت إلى الاتحاد الكونفدرالي الألماني، الذي كوّنه عصبة من الأمراء الألمان إلى أن حلّ هذا الاتحاد عام ١٨٦٦م بعد الحرب التي عرفت باسم حرب الأسابيع السبعة، التي هي آخر حرب شهدتها لختنشتاين. فقد ظلت محايدة منذ ذلك الوقت، وفي عام ١٨٦٨م سرحت بقية قواتها العسكرية، ولم يعد لها جيش. وكانت طوال ذلك الوقت مرتبطة ارتباطًا اقتصاديًا بالنمسا، حتى سقطت الإمبراطورية النمساوية في عام ١٩١٨م، إبان الحرب العالمية الأولى. فتحولت الروابط الاقتصادية إلى سويسرا عام ١٩٢٤م، في شكل اتحاد جمركي، وهذا الأمر أدى إلى وجود ارتباط سياسي لا يحدّ من استقلالها. وأصبح فرانز جوزيف الثاني أميرًا لها عام ١٩٣٨م، وأميرها الحالي هو هانز - أدم Hans - Adam الثاني منذ عام ١٩٨٩م. وحتى عام ١٩٤٥م كانت لختنشتاين دولة زراعية، ثم تحولت إلى الصناعة في السنوات الأخيرة (النسيج، والأدوية، والإلكترونيات،





جانب من قلعة موناكو على الشاطئ.

وغيرها)، ولا تفرض الدولة ضرائب على الدخل. وتعتمد كثيرًا على السياحة. والزائر للختشتاين لا يشعر أنه قد غادر سويسرا، فلا حدود ظاهرة، ولا مواصلات منفصلة، ولا جوازات ولا جمارك.. ومن أهم معالمها متحف خاص بأسرة الأمير يضم كنوز الأسرة. وعددًا من اللوحات الفنية القديمة، ومن أهمها لوحات للفنان روبينز التي كان مؤسس الأسرة مغرمًا باقتنائها.

موناكو

تقع على ساحل فرنسا المطل على البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي نيس في فرنسا، وسان ريمو في إيطاليا. وعدد سكانها ٣٢ ألف نسمة، والمساحة أقل قليلاً من كيلو مترين مربعين، واللغة الفرنسية هي السائد والرسمية. وتتألف موناكو من ثلاث مناطق: مدينة «موناكو» (العاصمة)، ثم المركز السكني، ثم منطقة «مونت كارلو» شمال شرق ميناء موناكو، وهي مقر الكازينو الشهير. معظم السكان فرنسيون، يليهم الموناكيون «المونيجاسك Monégasque»، ثم الإيطاليون، ويتم التعامل بالفرنك الفرنسي، والفرنك المونيجاسكي.

ومن الناحية السياسية فلا توجد أحزاب بالمعنى المعروف، وإنما جماعات قومية، ولها مجلس وطني يديره مرشحون منتخبون من هذه الجماعات (١٨ عضوًا). وحتى عام ١٩٩٢م، كانت الأغلبية في المجلس الوطني لـ «الاتحاد الوطني الديمقراطي» .. وفي انتخابات فبراير/ شباط ١٩٩٧م، تم انتخاب ميشيل ليفيك Michel Lévêque وزيرًا أول للإمارة، وتتم الانتخابات بمقتضى دستور تّم وضعه في عام ١٩٦٢م .. أما الأمير لويس هنري برتران رينيه الثالث Louis Henry Berterin Rainier فقد ظل يحكمها منذ عام ١٩٤٩م كرئيس للدولة والحكومة خلفًا لجده الأمير لويس الثاني حتى وفاته في ٦ إبريل/ نيسان ٢٠٠٥م، وقد خلفه ابنه الأمير ألبرت.

ويرتبط تاريخ موناكو بالعهد الفينيقي، والإغريقي، ثم الروماني إذ كانت موناكو ميناء له أهميته، إلى أن أصبحت مستعمرة لـ جنوة الإيطالية في القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت جنوة مدينة . دولة «City-State» لها نفوذ في ذلك الوقت، ثم حصلت موناكو على استقلالها في عام ١٣٠٨م، وأصبحت إمارة مستقلة تحت حكم أسرة ما تينيون . جريمالدي Matignon - Grimaldi التي ينتسب إليها الأمير رينيه. ثم تداولت السيطرة عليها بعد ذلك كل من إسبانيا وفرنسا و«سردينيا» الإيطالية إلى أن عاد إليها استقلالها بمقتضى معاهدة فرانكو . مونتيجاسك وكان أمراء موناكو يحكمونها حكمًا مطلقًا حتى عام ١٩١١م حين وافق الأمير البرت Albert الأول على منح دستور للبلاد، وكان هذا الأمير يعرف باسم الأمير العالم،



السياحة هي الدخل الرئيسي لموناكو لموقعها المتميز على البحر المتوسط

فقد كانت له أبحاث خاصة في عالم المحيطات، وأسس المتحف الخاص بذلك. وحكم المنطقة الأمير «لويس» الثاني حتى عام١٩٤٢م. عدا فترة الاحتلال الألماني في أثناء الحرب العالمية الثانية. وخلفه حفيدة الأمير «رينيه» الثالث وفي عام ١٩٩٣م كانت موناكو أصغر عضو ينضم إلى الأمم المتحدة.

وكانت فرنسا قد أثارت عام ١٩١٨م، مسألة مراعاة مصالحها الخاصة بما يعني التدخل في شؤون موناكو الداخلية. إلى أن تمّ النصر على أن تعود موناكو إلى حضن الأم فرنسا في معاهدة عقدت عام ١٩٤٩م. إذا لم ينجب الأمير ذكرًا وارثًا له. وحلّ زواج الأمير من الممثلة الأمريكية جريس كيلي عام ١٩٥٦م هذه المشكلة، فقد جاءت له بالوارث المنتظر. وفي ١٩٥٩م، قام الأمير رينيه بحل المجلس الوطني National Council، وعيّن بدلا منه ما سمي بالجمعية الوطنية National Assembly، وفي عام ١٩٦٢م. تحت ضغط من فرنسا. عاد المجلس الوطني مرة أخرى، ومنح موناكو دستورًا جديدًا أعطى النساء حق التصويت في الانتخابات، وألغى عقوبة حكم الإعدام. وفي عام ١٩٦٣م. وتحت ضغط من فرنسا أيضًا. بدأت موناكو تحصل ضريبة على الأرباح أول مرة.

وعلى عكس ما قد يظنه الكثيرون من أن موناكو تعتمد في حياتها على «كازينو مونت كارلو» فإن حصيلة هذا الكازينو لا يشكل غير ٤ في المئة فقط من دخل الإمارة. أما الدخل الرئيس فيأتي من السياحة. إذ تتمتع موناكو بجو دافئ لطيف في معظم أيام السنة، فيقبل عليها الأثرياء. ومن مميزات هذه الإمارة أنها إمارة هادئة مستقرة، ليس لها بالطبع جيش، وإنما قوة شرطة صغيرة. ومنذ أوائل الثمانينيات وموناكو تحاول أن تستقطع أجزاء من البحر لتوسيع شواطئها جلبًا لمزيد من السياح.

المراجع

1-The New York Times Almanac 1998.

2- The World Almanac 133th year.

3- The World Fact Book (C. I. A) 1998.

4- The World Book Encyclopedia, V.I. 12. 13. 17. 20.

5- Europe The Rough Guide - Harrap Columbus London.

مطبوعات رسمية لجمهورية سان مارينو

7- Republica Di San Marino

مطبوعة رسمية لإمارة لختنشتاين

8- Liechtenstein

٨. صحيفة الأهرام (المصرية) ٢٠/٩/٢٠٠٠م.

٨. الصورة من المطبوعتين الرسميتين لسان مارينو ولختنشتاين.



الموصل أم الربيعين والمنارة الحدباء

محمد رجب السامرائي

أبو ظبي ــ الإمارات

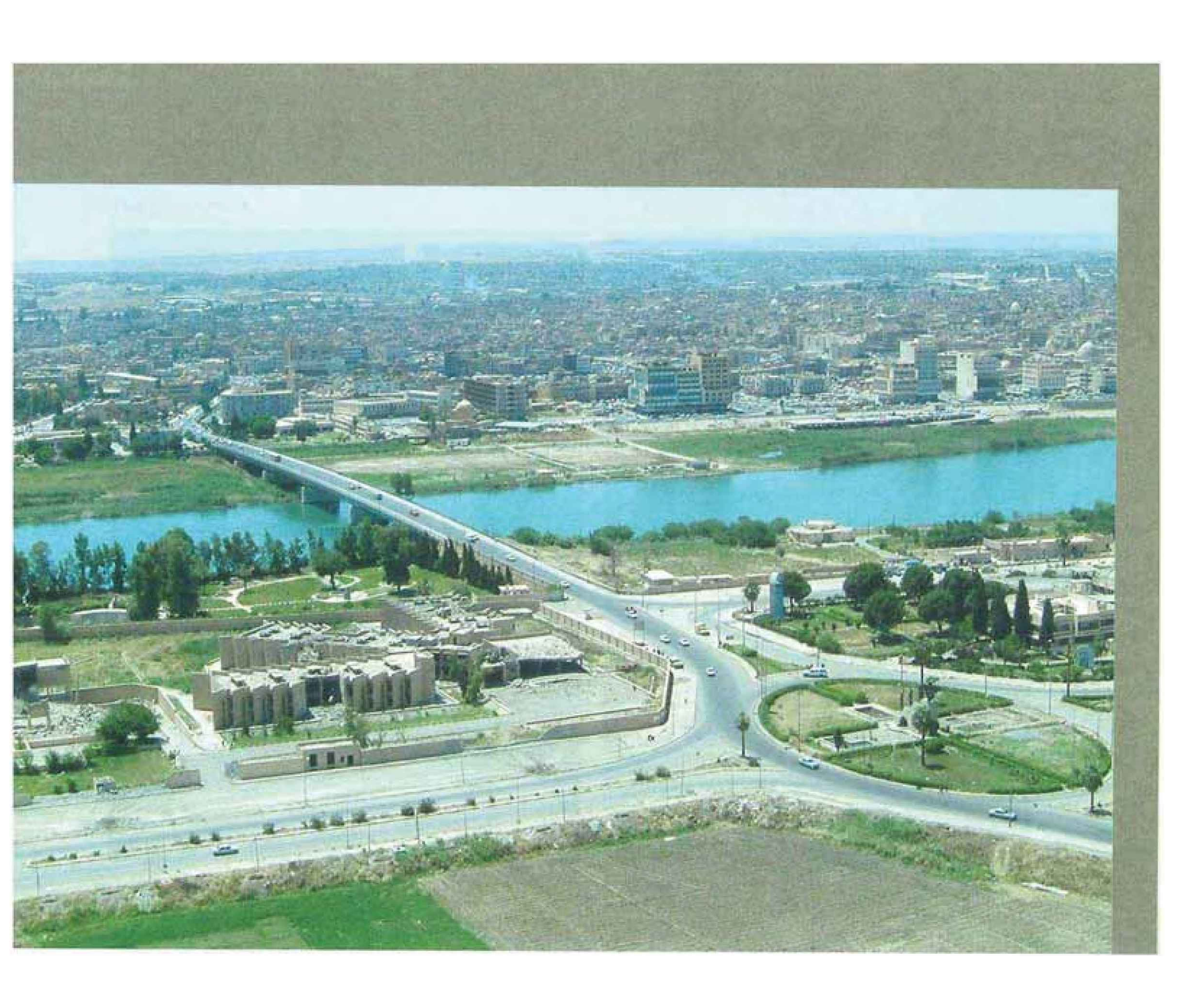
عندما يأتي "ربيع النضر لا يذهب. إنه الحضور الدائم الأنيق المثابر. الفنان. الواثق المتباهي.. لا لأنه "ربيع" الفصول الأربعة التقليدي.. الذي يشوب رواءه بعض ريح، وبعض غبار. بل الذي ينفذ في القلب، وفي الحياة.

وربيع الموصل ربيعان. فصلان أخضران يُكللان المدينة العراقية الآسرة فيضًا من المحبة والألفة وهي تفرش بساطها الأخضر السندسي لأهلها وزائريها من كل أرض العراق وما جاورها..

حريف الموصل ربيع

فإذا كان الربيع فصلاً معروفًا، ويأتي في موعده كل سنة، فإن في الموصل تجد فصل الخريف أيضًا يشبه فصل الربيع.. فالحقول والبراري في الخريف تصبح خضراء مُزهرة، وعلى امتداد البصر تتحول الأرض الموصلية إلى ما يشبه سجادة أزهار باهرة في ألوانها.. لذا أطلق عليها منذ زمن بعيد لقب «أم الربيعين».

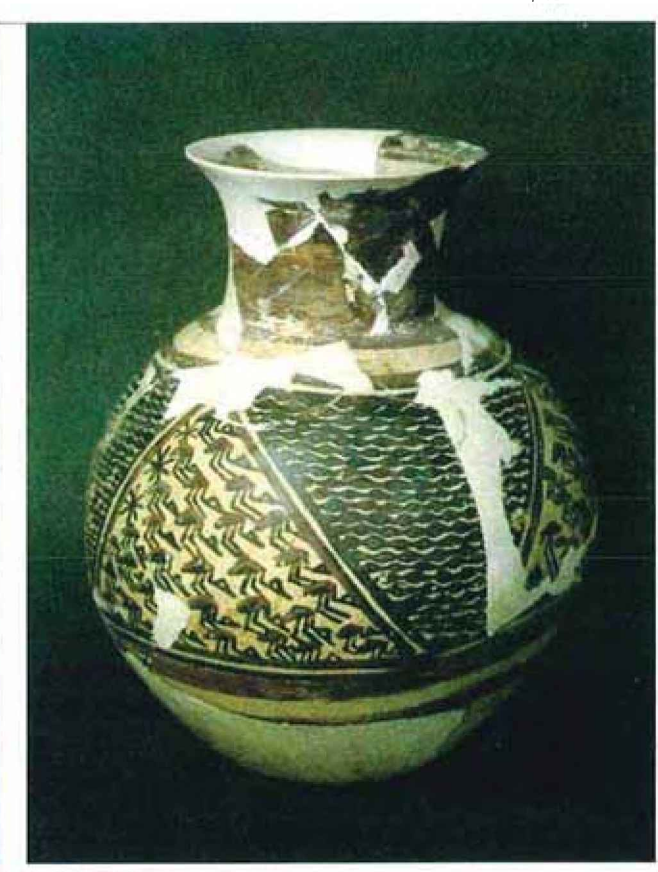
وتشاهد الموصل اليوم ونهر دجلة الخير الواسع الجميل يجري فيها ويغذي أهلها وبساتينها وهي منذ الأزل تتربع على عرش الجمال حيث تقع «شمال العاصمة العراقية بغداد» بمسافة ٤٦٥كم. ويشبه دجلة مرآة تنعكس عليها صورة أم الربيعين. بقبابها ومآذنها المتطاولة في كبد السماء، وبيوتها وأزقتها ومحلاتها القديمة العريقة التي



تذكرنا بأعلامها البارزين الذين سكنوا ثراها العبق. أو معالمها التي نطالعها عبر القرون وهي تنتصب في مواقعها بآثارها الآشورية القديمة المُدهشة في روعتها وما تلتها من عصور إسلامية زاهرة. إنها الموصل أمّ الربيعين.. فلنلج إلى دروبها ونقرأ سطور ذكرياتها بتؤدة وروية لعلنا نتنسم عبق أصالتها بين المدن التاريخية عبر السنين السرمديات.

موصل الحدباء

تشير المصادر التاريخية إلى أن الآشوريين في حضارة العراق القديم اتخذوا سنة ١٠٨٠ ق.م نينوى عاصمة لهم. وهي العاصمة الثالثة بعد آشور القديمة، وكالح العاصمة الثانية. فبدؤوا بتحصينها وتحكيمها وأقاموا حولها القلاع. وسميت الموصل بالحدباء وكما نسبه ياقوت الحموي إلى احتداب في دجلتها، واعوجاج في جريانه. إلا أنّ الرحالة العربي ابن بطوطة يعزوه في رحلته المعروفة إلى قلعتها الحدباء. ويقول صاحب «منهل الأولياء» عن سبب تسميتها بالحدباء: لانحداب أرضها؛ لأن البيوت والمحال فيها لم تقع على مستوى من أرضها





آثار تعكس حضارة عريقة

بل بعضها نشز وقلاع، وبعضها في واد منخفض.

العواصم الآشورية في الموصل

شهدت الموصل والمناطق المجاورة لها بزوغ أربع عواصم للإمبراطورية الآشورية فيها. والعواصم الأربع هي:

آشور؛ قلعة الشرقاط

تُعد آشور العاصمة المقدسة الأولى للآشوريين، واسمها نسبة إلى كبير آلهتهم آشور. وتقع على بعد ١١٠ كيلومترات من مدينة الموصل قرب قضاء الشرقاط على الضفة اليمنى من نهر دجلة. وتعدّ قلعة الشرقاط هي موقع مدينة آشور القديمة. وقد بدأ تاريخها منذ استيطان الإنسان الأول قبل نحو ١٠ آلاف سنة حتى أوائل القرون الميلادية.

وبرز اسمها ومؤسسها الملك آشور أبلط عام ١٣٦٢ قبل الميلاد الذي أراد أن ينقذ آشور من النفوذ الأجنبي، ويكون له مملكة واسعة عُرفت بالإمبراطورية الآشورية.

وظلت العاصمة آشور عاصمة للآشوريين حتى قيام الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩) قبل الميلاد باتخاذ مدينة نمرود «كالح» عاصمة جديدة له. أما أبرز معالم العاصمة الآشورية التاريخية فهي بقايا سورين، خارجي وداخلي، مع ثلاث عشرة بوابة، والزقورة التي كانت مخصصة لعبادة الإله آشور، وعُرفت باسم زقورة الإله «بيل» وخمسة وثلاثين معبدًا، أشهرها معابد: آشور، وسن، وعشتار، ونبو، ومردوخ. فضلاً عن قصور كثيرة أبرزها القصر الملكي، أو قصر الملك سنحاريب.



من المخلفات الأثرية

كالح «النمرود»: العاصمة الأشورية الثانية

تشخص كالح «النمرود» أمام الزائرين على بعد ٣٥كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل بإطلالها المتعددة. واسمها هو الاسم الذي أطلق فيما بعد على بقايا المدينة الأشورية، التي كانت بالأصل مدينة واسعة، والعاصمة الثانية بعد أشور، وكانت ذات أهمية سياسية وعسكرية في العصر الآشوري في حضارة العراق القديم، وما زال سور المدينة التاريخية شاهدًا على عظمتها بين المدن الأولى.

وكانت كالح «النمرود» في الماضي قرية صغيرة جاء ذكرها في التوراة بأن الذي بناها هو «آشور بن سام» بعد خروجه من العراق، وبالذات من سهل شنعار، ثم بدأت في التحسن والتطور والرقي في عصر شلمنصر الأول الذي ابتنى فيها الكثير من المنشآت والمرافق الخدمية، ولكن بعد أن اتخذها أشور ناصر بال الثاني عاصمة له زادت أهميتها كثيرًا، إذ كثرت فيها القصور والمعابد والأبراج والدور، وصارت كالح منطلقًا مهمًا للجيوش الأشورية في حملاتها ضدّ المعتدين الأجانب، وبعد أن تحول الأشوريون إلى عاصمة أخرى، أخذت أهميتها بالأفول، وتحولت كالح إلى بلدة صغيرة مهجورة حتى زمن الفُرس الفرثيين إذ اندرست معالمها نهائيًا.

وزائر المدينة والعاصمة الأشورية كالح اليوم قرب الموصل سيشاهد بعض مخلفاتها الأثرية الحضارية التي من أبرزها الثيران المجنحة، وزقورة المدينة، ومسلة الملك آشور ناصر بال الثاني، ومجموعة مهمة من آثار العاج الدقيقة الصنع التي هي آية في المهارة والإبداع الفني، فضلاً عن وجود تماثيل ومخلفات أخرى لا تقل روعة وبهاء عن سابقاتها.

نينوى: العاصمة الثالثة

تأتي نينوى بالمركز الثالث بين عواصم الإمبراطورية الآشورية في الموصل، وكان لنينوى أثر بالغ في تاريخ العراق القديم، وقد كشفت التنقيبات الأثرية مؤخرًا عن أكثر معالمها، إذ يعدّ تل قوينجق، وتل النبي يونس، والسور الحجري من أبرز شواهدها، وللمدينة سور يبلغ محيطه ١٢ كم وشكله مستطيل مبني بأحجار الحلان تدعمه

الحقول والبراري في الخريف تصبح خضراء مُزهرة، وعلى امتداد البصر تتحول الأرض الموصلية إلى ما يشبه سجادة أزهار باهرة في ألوانها. لذا أطلق عليها منذ زمن بعيد لقب "أم الربيعين"

أبراج حجرية متتالية، ولهذا السور خمس عشرة بوابة. وتمّ الكشف عن أربع بوابات، ويمكن للزائرين مشاهدتها وهي: بوابة الشمس رمز الشمس في الجهة الشرقية من سورها، وتقع على طريق الموصل - أربيل، وبوابة ماشكي «المقى» وتقع على طريق الموصل - زاخو قريبة من النهر، وبوابة نركال «إله العالم السفلي عند الآشوريين». وتقع في الجهة الشمالية من سور نينوى، وبوابة أدد «إله العواصف والأمطار» إلى الشمال منها بمسافة مئة متر. وينتهي السور من الأعلى بشرفات يليها أبراج من اللّبِن «الطين المشوي» مرتفعة، وتشكل الخط الدفاعي الثاني. أما الجهة الشرقية للسور فقد عُززت بواديين: الأول: وادي سنحاريب، والثاني وادي الدملماجة، ويليهما السور الترابي الخارجي زيادة في التحصين: لأنّ هذه الجهة متوقع قدوم العدو منها. وكانت نهاية العاصمة نينوى عام ٦١٢ قبل الميلاد عندما تألب عليها الكلدانيون والميديون.

خورسباد «دور شروكين»

هي العاصمة الآشورية الرابعة، تقع على بعد ٢٥كم شرق الموصل. بناها الملك سرجون الثاني عام ٧٢١ - ٧٥ قبل الميلاد، واتخذها عاصمة لحكمه، وسمّاها «دور شروكين» أي «مدينة سرجون». وكانت مربعة الشكل تقريبًا لها سور مُشيّد باللّبِن، وفيه ثمانية أبواب، وفيه أبراج متتالية وله سبعة مداخل. وسُمي كل باب باسم إله آشوري، وتزين مداخل العاصمة ثيران مجنحة برؤوس بشرية.

وكشفت التنقيبات الأثرية في خورسباد عن قصر الملك سرجون، كما وجدت معابد ثلاثة، والبرج المُدرّج «الزقورة» إضافة إلى معبد سيبيني «معبد الآلهة السبعة»، غير أن أحفاده تركوها، وعادوا ثانية إلى العاصمة الثالثة نينوى، وأطلق عليها الساسانيون اسم «خسرو أباد»، ومنها جاء اسم «خورسباد»[1].

أبواب المدينة

كانت توجد بأعلى الموصل قلعة عظيمة قد رُصّ بناؤها رصًا عليها سور متين البناء مشيد بالبروج.. وأن أمراء البلد بنوا قيسارية للتجار عليها أبواب حديد. ويوجد في تل توبة الذي وقف عليه النبي يونس عليه السلام، وفيه قبره اليوم، رباط عظيم، يشتمل على بيوت كثيرة، ويضم الجميع باب واحد. وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر، ويغلق عليه باب مرصّع كله. ولسور المدينة القديمة «نينوى» أبواب ظاهرة، وأبراج مشرفة.

كما لقيت الموصل رعاية أيام حكم الحمدانيين لها في نهاية القرن الثالث الهجري (٢٩٣ - ٣٦٧هـ) حيث كانت المدينة حصينة محاطة بسور منيع كان يعدّ حتى فترة تاريخية متأخرة بمنزلة حاجز غير طبيعي نادر الوجود في مدن عراقية أخرى. وكان يقطع السور في فترة نضج الموصل ثلاثة عشر بابًا. وقد هُدم قسم كبير من السور وأبوابه وأبراجه في سنة ١٩١٥م، بينما تم هدم باقيه في سنة ١٩٣٤م. حيث أصبح أثرًا بعد عين إلاّ قطعة صغيرة في أعلى المدينة، وهي بقايا قلعة شامخة تعرف عند أهل المدينة باسم باشطابيا ١٩. وهي من أهم قلاع سور الموصل، وتقع على ساحل نهر دجلة الأيمن في ركنها الشمالي الشرقي يوجد برجها الرئيس المشتمل على

تعد آشور العاصمة المقدسة الأولى للآشوريين واسمها نسبة إلى كبير آلهتهم آشور، وتقع على بعد ١١٠ كيلومترات من مدينة الموصل قرب قضاء الشرقاط على الضفة اليمنى من نهر دجلة. وتعدّ قلعة الشرقاط في موقع مدينة آشور الـ[illegible]

مزاغل «مرامي» دفاعية ترجع إلى العهد العثماني(١).

وتقابل نينوى العاصمة المقدسة الثالثة للآشوريين بعد مدينتي آشور، ونمرود، مدينة الموصل، ونجد تل قوينجق، وتل النبي يونس عليه السلام، والسور الحجري من أبرز معالمها.

ويبلغ محيط سور نينوى اثني عشر كيلومترًا، وهو مستطيل الشكل مبنيّ بأحجار الحلأن. وتدعمه أبراج حجرية متتالية، وللسور خمس عشرة بوّابة، كشفت مديرية الآثار العامة عن أربع بوابات منها. وباستطاعة الزائر أن يشاهد بوّابة شمس، رمز الشمس، في الجهة الشرقية من السور، وبوّابة ماشكي «المسقي»، وبوّابة «إله العالم السفلي»، وتقع في الجهة الشمالية من السور. أما بوابة أدد «إله العواصف والأمطار» فتقع إلى الشمال منها بمسافة مئة متر. وينتهي سور نينوى من الأعلى بشرفات، يليها أبراج من اللّبن مرتفعة وتشكل الخط الدفاعي الثاني، بينما عُززت الجهة الشرقية لسور نينوى بواديين: الأول وادي سنحاريب، والثاني، وادي الدملماجة، ويليهما السور الترابي الخارجي(٢).

القلاع الموصلية

تضم مدينة الموصل مركز «محافظة نينوى» وما جاورها عددًا من القلاع التاريخية الشاهدة على حقب تاريخية ماضية، ومنها قلعة الموصل المعروفة، وتختلف هذه القلعة عن مثيلتها في بغداد، فقد أنشأها العثمانيون في وقت واحد تقريبًا، وكانت قلعة الموصل - كالتي ببغداد - تقع على شاطئ نهر دجلة، وتحميها أسوار عالية من أطرافها الأربعة، وخاصة من ناحية دجلة. ويحيط بالقلعة من جهة الغرب والجنوب خندق يستمد مياهه من نهر دجلة عند باب شط القلعة، ثم يصبّ في النهر ثانيًا شرق جامع الأغوات، حيث يفصل الخندق بذلك القلعة عن مدينة الموصل، على العكس من قلعة بغداد، وتضم قلعة الموصل مخزنًا للذخيرة، وثكنات للمدفعية، ومسجدًا كبيرًا، ومرافق أخرى مهمة. ولا تزال بقايا من قلعة تُعرف باسم «باشطابيا» تطل قبالة نهر دجلة في الموصل إلى اليوم.

وتشير المظان التاريخية إلى أنّ الغرض من إنشاء قلعة الموصل، كما هو الحال بالنسبة إلى قلعة بغداد؛ لأن تكون مقرًا لحماية الموصل، والموالي نفسه، وقد سكن فيها الولاة فعلاً خلال القرن السابع عشر على حدّ قول الرحالة تافرنييه. وعلى الرغم من كثرة الإعمار في القلعة في عهد حسين باشا الجليلي عام ١٧٤٤م، وعهد أحمد باشا الجليلي عام ١٨٢١م، إلاّ أنّها فقدت مهمتها الأساسية، إذ فضّل الولاة الجليليون الإقامة في «السراي» الذي أنشؤوه، وهذا يشبه ما فعله ولاة بغداد من المماليك الذين تركوا الإقامة في قلعة بغداد، وفضلوا الاقامة في القصور الفارهة خارجها، ويعني هذا أن عهد المماليك في العراق كان يمثل في أحد جوانبه فقدان السلطة الحاكمة لصفتها العسكرية البحتة، والانتقال إلى الصفة المدنية العادية.

كذلك يلاحظ أنّ هذه القلاع ظلت حتى قيام الحكم العثماني المباشر بانتهاء عهد المماليك والأسر الحاكمة، رمزًا لمكانة الجيش الانكشاري العثماني السابقة، وإن كان تأسيس

مرت قلعة باش طابية بأدوار سياسية كثيرة منذ تشييدها، واقترن اسمها بعدد من الأحداث التاريخية. كما شهدت الكثير من الحروب والغزوات، لكنها صمدت أمام المحتلين وظلت معقلاً يرد كيد الغزاة ومكانا تخزن فيه الأسلحة المختلفة


الثيران المجنحة من ابرز آثار الموصل

جيش المماليك ببغداد. وتحول أورطات الينكجرية في الموصل إلى فرق محلية موصلية قد حولا النقل العسكري إلى مؤسسات السراي ومرافقه خارج أسوار القلاع التقليدية في بغداد والموصل على غيرهما على حدٍّ سواء.

قلعة باشطابيا

تقع هذه القلعة المشرفة على نهر دجلة شمال الميدان. وهي من أقدم قلاع الموصل التي لا تزال بعض معالمها ماثلة للعيان اليوم. ويذكر أن العقيليين هم أول من أسسها في مساحة تزيد على ستة آلاف متر مربع تمتد اليوم من برج شطابيا شمالاً إلى خريج ابو القاسم جنوبًا، ويحدها شاطئ دجلة شرقًا، وباب الحرية غربًا. يعد المؤرخ ابن الأثير أول من ذكر القلعة ضمن حوادث سنة ٤٥٠/١٠٨٥م عندما تحدث حول النزاع بين البساسيري وإبراهيم بن منال، ومحاصرة الأول، وقريش بن بدران لها عقب خروج ابن منال من الموصل فهدمها، وعفا أثرها، ثم أعيد بناؤها بعد ذلك، ولم يذكر المؤرخون من الذي أعاد بناء هذه القلعة من جديد.

وقد عين زين الدين بن فخر الدين عبد المسيح سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م وزير سيف الدين بن عماد الدين زنكي فجدد عمارة قلعة الموصل، وأحكم أسوارها، وجعلها من أمنع القلاع حتى إن الرحّالة ابن جبير وصفها عند زيارته للموصل بقوله: «وفي أعلى البلد قلعة عظيمة، وقد رصَّ بناؤها رصًا، ينتظمها سور عتيق البناية، مشيد البروج، وتتصل به دور السلطان، وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد إلى أسفله، ودجلة شرق البلد، وهي متصلة بالسور». ومرت قلعة باش طابية بأدوار سياسية كثيرة منذ تشييدها، واقترن اسمها بعدد من الأحداث التاريخية، كما شهدت الكثير من الحروب والغزوات، لكنها صمدت أمام المحتلين، وظلت معقلاً يرد كيد الغزاة، ومكانًا تخزن فيه الأسلحة المختلفة، ومجمعًا للجند المقاتلين حتى عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م حينما حاصر سنداغو قائد الجيش المغولي مدينة الموصل الذي قذف المدينة وقلعتها بالمنجنيقات، وفتح المغول الغزاة المدينة، وهدموا قلعتها، وعاثوا فيها تدميرًا

وفسادًا. وفي سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م استولى تيمورلنك على مدينة الموصل فدمر ما تبقى منها، وقام بتهديم ما سلم من قلعتها وأحالها إلى أنقاض.

قلعة اسكي موصل

توجد القلعة في ناحية بادوش التابعة لمدينة الموصل، وقد أنشأها الأتراك العثمانيون بين القرنين السابع والثامن عشر للميلاد لتكون ثكنة عسكرية لجيشهم(٤).

الفتح الإسلامي للموصل

تمتد مدينة الموصل على الضفة اليسرى لنهر دجلة وتوجد بجواره أطلال مدينة نينوى المشهورة في التاريخ، والتي كانت عاصمة للآشوريين. كذلك تقع بجوارها مدينة النبي يونس عليه السلام. وتقع مدينة الموصل مركز محافظة نينوى اليوم، في شمال العراق. وقد فتحها المسلمون سنة ١٦هـ/٦٣٧م، في خلافة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكانت: باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان. ويعد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الملقب بالحمار، أول من ساوى طرقات الموصل في العهد العربي الإسلامي، وبنى عليها سورًا.

كما عدّت الموصل ذات يوم باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها كان يُقصد إلى أذربيجان، وقديمًا قالوا: بلاد الدنيا العظام ثلاثة: «نيسابور، باب الشرق، ودمشق باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قلّما لا يمرّ بها».

وتتميز الموصل بموقعها الذي يمثل عقدة جبلية مهمة في أقصى شمال العراق، تتجمع فيه طرق المواصلات المختلفة القادمة من الشمال، وتلك المتجهة نحو الجنوب.

ويعد هذا الموقع بوابة العراق الشمالية، إلى جانب توسطها منطقة حقول النفط المهمة في شمال البلاد؛ مما يجعلها تعدّ ثالثة كبريات المدن العراقية بعد العاصمة بغداد والبصرة في الجنوب من حيث عدد السكان.

كما اشتهرت وعُرفت المدينة منذ القدم بأهميتها كمركز تجاري مهم بسبب موقعها الجغرافي كبوابة شمالية للعراق. وتتصل المدينة بتركيا ومدينة حلب السورية بواسطة خط حديدي بناه الألمان قبل الحرب العالمية الأولى. وإلى جانب وجود مطار صغير للخطوط الداخلية. وقد أدى اكتشاف النفط في الموصل منذ الثلاثينيات من القرن العشرين إلى اكتساب المدينة أهمية كبيرة في الأسواق الدولية، سواء من حيث المادة الخام أو المنتجات المكررة من النفط. كما اشتهرت المدينة بإنتاج الأقمشة القطنية الناعمة التي اشتق منها اسم الموسلين الموصل. وهي ملابس قطنية مشهورة(٥).

أسماء وألقاب

عُرفت مدينة الموصل عبر تاريخها الطويل بأسماء وألقاب مختلفة؛ مما يدلّ على مكانتها في نفوس ساكنيها الذين شاؤوا أن يمنحوها أسماء تليق بدورها الحضاري، ومكانتها التاريخية بين المدن العراقية والعربية. فكان يُقال للموصل أيام الفرس نوار دشير أو بوار شير. وسمّاها النصارى والقدماء الذين سكنوها قبل الفتح الإسلامي «حصن عيرابا» أي الحصن العبوري. ولمّا فتحها المسلمون وزادوا في توسيعها سموها «الموصل»

خورسباد "دور شروكين" هي العاصمة الآشورية الرابعة. تقع على بعد ٢٥كم شرق الموصل. بناها الملك سرجون الثاني عام ٧٢١ ـ ٧٥ قبل الميلاد واتخذها عاصمة لحكمه. وسماها "دور شروكين" أي "مدينة سرجون"



احد قصور صدام حسين

وهو الاسم الشائع الذي عُرفت به حتى اليوم. كما لُقِّبَت الموصل «بأم الربيعين»؛ لأن الأرض المحيطة بها تخضوضر بالأعشاب والزروع مرتين في السنة الواحدة: في فصلي الخريف والربيع. فعُرف هذان الفصلان بالربيعين من باب التغليب.

كذلك لُقبت الموصل «بالحدباء». واختلف في تعليل هذا اللقب. فنسبه ياقوت الحموي في معجم البلدان إلى: احتداب في دجلتها، واعوجاج في جريانها. وعزاهُ الرحالة ابن بطوطة في رحلته إلى قلعتها الحدباء، بينما علل محمد أمين العُمري في «منهل الأولياء» ذلك اللقب لانجذاب أرضها، فبعض البيوت والمحال فيها يقوم على نشز وقلاع، وبعضها في منخفض من الأرض. ولعل هذا التعليل أقرب إلى الصواب (٦).

اعلام موصليون

حظيت مدينة الموصل بجمهرة كبيرة من المؤرخين واللغويين والأدباء والشعراء والعلماء الذين نبغوا وعاشوا في رحاب الموصل الفيحاء. ومنهم على سبيل الذكر لا

لقبت الموصل بعاصمة أيام حكم الحمدانيين لها في نهاية القرن الثالث الهجري (٢٩٣ ـ ٣٦٧هـ) حيث كانت المدينة حصينة محاطة بسور منيع كان يعد حتى فترة تاريخية متأخرة بمنزلة حاجز غير طبيعي نادر الوجود في صدر مراق ية أخرى

الحصر: «عبدالعزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبو القاسم الأزدي الموصلي، روى عنه أبو جابر زيد، وإبراهيم أبو عوانة الأسفرايينيان ٢٦١هـ»، وأبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن هلال التميمي الموصلي، الحافظ، والشاعر السرّي الرفّاء، والجغرافي ابن حوقل، واللغوي ابن جني، وأبو زكريا الأزدي صاحب تاريخ الموصل، والشاعر أبو تمام الطائي، والخالديان الأخوان الأديبان الشاعران. وبهاء الدين بن شداد مؤلف سيرة القائد صلاح الدين الأيوبي، وابن الدهان النحوي، وأبناء الأثير الثلاثة وهم: مجد الدين، وعز الدين صاحب الكمال في التاريخ، وضياء الدين. وما زال قبر المؤرخ عز الدين بن الأثير في الجهة الغربية من ظاهرة الموصل، وقد جُدد بناؤه قبل عقود.

ومن أعلامها كمال الدين بن يونس الذي برع في الرياضيات، والطبيعيات، والموسيقا، وابن دانيال الموصلي الكحّال المعروف «طبيب العيون»، والمغنيان إبراهيم الموصلي وولده إسحاق اللذان عاشا أيام الخلافة العباسية في العاصمتين بغداد وسُرَّ مَنْ رأى «سامراء اليوم»[٧].

في ذاكرة البلدانيين

حظيت الموصل باهتمام المؤرخين والبلدانيين والكُتّاب والأدباء والشعراء الذين دوّنوا عنها الكثير من المصنفات والكتب التي تتناول تاريخها والدول التي تعاقبت على حكمها. فالمدينة موغلة في القدم. ومما جعل لها أهمية بالغة «قبل العهد الإسلامي وأثناءه» موقعها المهم على طريق القوافل التجارية بين العراق والشام. وهي الطريق الموازي لنهر دجلة. لذلك اتخذت الموصل منطلقًا للجيوش الإسلامية الزاحفة نحو الأناضول وأذربيجان والجزيرة منذ سقوطها بيد العرب المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كذلك ازدهرت المدينة في العصر الأموي حيث شيّدت فيها مساجد كبيرة لا تزال شاهدة إلى اليوم. وازداد الاهتمام بها في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي أنشأ جسرًا، وبنى قلعة فيها، واتسعت الموصل في أيامه اتساعًا كبيرًا حتى إنه حاول أن يتخذها عاصمة لخلافته. بينما كانت الموصل أيام العصر العباسي الأول تحت حكمهم، ولكنها شهدت قيام كيانات سياسية من الحمدانيين والعقيليين. وخضعت لنفوذ السلاجقة وولائهم الأتابكة من بني زنكي، ومن أشهر ولائهم بدر الدين لؤلؤ، وذلك كله عقب سقوط دار الخلافة الإسلامية ببغداد على يد المغول عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[٨].

تشير المظان التاريخية إلى أنّ الغرض من إنشاء قلعة الموصل، كما هو الحال بالنسبة إلى قلعة بغداد: لأن تكون مقرًا لحماية الموصل، والموالي نفسه، وقد سكن فيها الولاة فعلاً خلال القرن السابع عشر على حد قول الرحالة تافرنييه

الحموي: باب العراق

ذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» عن الموصل قوله: «المَوْصل، بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كِبَرًا وعِظَمًا وكثرة خَلْق وسَعَة رُقْعة فهي محط الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يُقصد إلى أذربيجان، وكثيرًا ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها، قالوا:

وسميت الموصل: لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات...»(٩).

الحميري: مدينة عتيقة ضخمة

تناول الحميري في «الروض المعطار» للإشارة إلى مدينة الموصل قائلاً عنها: «وهي مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان، وباطن الداخل منهما بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المُطيف بالبلد كله، وقد أمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسَعَة وضعه. ... وللمدينة جامعان: أحدهما جديد، والآخر من عهد بني أمية، وفي وسط صحن هذا الجامع الجديد سارية رُخام قائمة قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة، فتل السوار من جرم رُخامها، وفي أعلاها جامة رُخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء من القامة كأنه قضيب بلور معتدل، ثم ينعكس إلى أسفل القُبة، ويجمع في هذين الجامعين القديم والحديث، ويجمع في جامع الربض، وفي المدينة مدارس العلم نحو الست أو أزيد»(١٠).

ابن بطوطة في الموصل

كما دون الرحالة العربي ابن بطوطة مشاهداته عن مدينة الموصل عندما زارها؛ وذلك في رحلته المعروفة، وجاء فيها قوله: «وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدباء، عظيمة الشأن، شهيرة الامتناع، عليها سور محكم البناء، مشيد البروج، وتتصل بها دور السلطان، وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعلى البلد سوران اثنان وثيقان أبراجهما كثيرة متقاربة، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره، قد تمكن فتحها فيه لسعته، ولم أر في أسوار البلاد مثله إلا السور الذي على المدينة دهلي حضرة ملك الهند». وأضاف ابن بطوطة قائلاً:

«وللموصل ربض كبير فيه الجوامع، والحمامات، والفنادق، والأسواق وبه مسجد جامع على شط دجلة، تدور به شبابيك حديد، وتتصل به مساطب تشرف على دجلة في النهاية من الحُسن والإتقان، وأمامه مارستان - مستشفى - وبداخل المدينة جامعان: أحدهما قديم، والآخر حديث.. وقيسارية الموصل مليحة لها أبواب حديد يدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء، وهنالك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة إليه: يُقال إنَّه امر قومه بالتطَهر فيها، ثم صعدوا التل، ودعا قومه فكشف الله عنهم العذاب، وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يُقال: إنه موضع المدينة المعروفة بنينوى مدينة يونس عليه السلام»(١١).

أهم المعالم الدينية

تضم أم الربيعين في رحابها عدداً من المعالم الدينية، كالمساجد والأضرحة الموجودة فيها منذ عقود خلت، ومن أهمها:

- جامع النبي يونس، عليه السلام:

يقع هذا الجامع في الجهة الشمالية الشرقية من نهر دجلة فوق تل النبي يونس عليه السلام في مدينة الموصل، فقد ذكر أن الزُهاد والنُساك كانوا يأتون إليه، كذلك عُرِفَ

عدّت الموصل ذات يوم باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها كان يُقصد إلى أذربيجان وقديمًا قالوا: بلاد الدنيا العظام ثلاثة: "نيسابور باب الشرق، ودمشق باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قلّما لا يمرّ [illegible]

أيضًا باسم مسجد التوبة. وقد عثر عام ٧٦٧هـ على قبر النبي يونس؛ لذلك سُمي أيضًا بجامع النبي يونس. وقد أنشئ الجامع على طبقات معمارية قديمة يوغل بعضها في القديم إلى العصر الأشوري. وأنشئت في موضعه بعد الفتح الإسلامي للموصل بعض العمارات الدينية التي تحولت على مرّ الزمن إلى الجامع الحالي، الذي يتألف من بناءين يفصل بينهما طريق عرضه ستة أمتار: البناء الأول هو بيت الوضوء، والبناء الثاني هو المُصلى والحضر، وفيهما مدرسة تُعرف المدرسة اليونسية.

الجامع النوري الكبير:

يحتضن هذا الجامع قلب مدينة الموصل الذي يُعدّ أكبر جوامعها في المنطقة المُسماة باسمه «محلة الجامع الكبير» بناه والي الموصل نور الدين زنكي الأتابكي، وعُرف باسمه، واستغرق العمل فيه مدة عامين ٥٦٦ - ٥٦٨ هـ / ١١٧٠ - ١١٧٢م. ولعلّ أبرز ما يميز الجامع النوري في الموصل من عناصر معمارية مئذنته الحدباء الشامخة التي يزيد ارتفاعها على ٥٦م، وهي أعلى منارة في العراق، وتعدّ من الشواهد المشهورة من وجهة النظر التاريخية والدينية والمعمارية، فضلاً عن نطاق العالم. وإن هذا الانحناء أو الميلان في المئذنة في جسمها العلوي هو سبب تسميتها بالحدباء.

وما زال الجامع النوري بمنارته الحدباء التي ما زالت حتى اليوم إحدى أعلى منارات العالم يستقبل المصلين في أوقات الصلوات الخمس على الرغم من وجود أعمال الصيانة التي بدت على هيكلها وميلانها اللافت للنظر في الأونة الأخيرة. وتحتل المنارة الحدباء مكانًا مهمًا في قصائد الشعراء من الموصليين خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وهناك قصص ومعتقدات شعبية يتناقلها الموصليون حول المنارة الحدباء في مدينتهم، إذ يعتقد بعض رواة الحكايات الشعبية أنّ المنارة رأت في منامها كالبشر أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم زارها فانحنت لتحيته، وإن الناس لاحظوا ميلانها بعد ذلك بيوم مباشرة. وعلى الرغم من ارتباط اسم مدينة الموصل باسم الحدباء الذي هو أحد أسمائها الأخرى إلى جانب اسم أم الربيعين ونينوى، إلاّ أن الباحثين لا يقرنون ذلك بوجود المنارة الحدباء فيها، وإنّما يرجعون ذلك إلى بناء المدينة على أرض محدودبة أو إلى اعوجاج نهر دجلة بطريقة حدباء عند مروره بالمدينة.

كذلك ينقل عن أبناء الموصل الكبار السنّ أن مدينتهم تعرضت إلى عدة هزات أرضية خلال السنوات الخمسين الماضية. وقد تأثرت بعض المنائر في المدينة من هذه الحوادث، إلا أنه لم يُعرف شيء عن تأثر المنارة الحدباء بتلك الهزات الأرضية، ولا سيما تلك التي حدثت نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وكانت أقواها.

جامع النبي شيت عليه السلام:

ظهر قبر النبي شيت عليه السلام عام ١٠٥٧هـ، ثم تم بناء مرقد للنبي شيت، ثم عُمّر بجانب المرقد جامع للصلاة سمي جامع النبي شيت سنة ١٢٠٦هـ، وفيه غرفة مثمنة للدراسة لا تزال إلى يومنا هذا.

العمارة في قباب المساجد

عرفت الزخرفة العربية الإسلامية في الموصل منذ أقدم العصور، ولا سيما الزخرفة المستدقة، ويجدها

حظيت الموصل باهتمام المؤرخين والبلدانيين والكتّاب والأدباء والشعراء الذين دوّنوا عنها الكثير من المصنفات. ومما جعل لها أهمية بالغة "قبل العهد الاسلامي وأثناءه" موقعها المهم على طريق القوافل التجارية بين العراق والشام

المشاهد واضحة للعيان في مشاهد الأولياء، ومحراب المدرسة العزية، والمدرسة النورية، بالإضافة إلى تطعيم الأواني النحاسية وتكفيتها بالذهب والفضة لتعليقها داخل المساجد العامرة، وكان الخط الكوفي يستعمل في الجدار السطحي ذو اللون الواحد من الخارج، والنقوش والزخرفة والألوان المتعددة من الداخل، وبهذا امتازت القباب الموصلية من مثيلاتها في العراق وخارجه.

وحين نصف قبة مسجد موصلي من الداخل،



لوحة توضح عراقة الحضارة وجمال الطبيعة

نقش القباب من الداخل، ولم تعرف الزخرفة والنقوش للقباب من الخارج، ولهذا فقد اتخذ أهل الموصل طريقة خاصة بهم في التطعيم والنقش والزخرفة لقبابهم من الداخل دون الاهتمام بشكلها الخارجي، على العكس من سكان بغداد والأقطار العربية الأخرى، وأصبحت القباب الموصلية بأنواعها الإسلامية، وغيرها ذات طابع واحد: فالوصف يشمل الغالبية العظمى لقباب مساجد المدينة وأطرافها ولعلّ أشهر القباب هي قبة النبي شيت عليه السلام، والجامع النوري الكبير، حيث تمتاز بارتفاعها ولا تضاهيها فيه أخرى في الموصل، والقاعدة التي تستند عليها القبة مربعة الشكل تعلوها مُقرنصات بوضع مثمن، تستند عليها القبة شكلاً أقرب ما يكون

إلى هرم ذي ستة عشر وجهًا بشكل هندسي غريب، وتبنى القبة من الطابوق، وتتألف من قبتين بينهما فراغ، وهذه الطريقة في بناء القباب كانت معروفة في الموصل في القرنين السادس والسابع للهجرة.

والطريف في جوامع مدينة الموصل وقبابها، هي الكتابات المتنوعة داخل المُصلى وعلى أبوابه، ثم على أبواب الجوامع ذاتها، والكتابة عادة تكون محفورة من الرخام - المرمر الأبيض - مثل الكتابة الموجودة على مُصلى جامع النبي شيث عليه السلام التي يقول مطلعها:

من زار شيثًا نبي الله يبتهجُ
وكل ضيق له لا شك ينفرجُ

كما توجد تحت القباب الموصلية أبيات شعرية تعلوها زخارف من الآيات الكريمة، وهذا مثل لأنواع الأشعار التي كتبت في ذلك الزمن:

قم واسبغ الوضوء والبس طوعًا
ثوبًا طهورًا تجمل الطاعات
وادخل مُصلى جامع شريف
يُتلى به القرآن والآيات
واكتب على بابه وأرِّخ
أبدًا به قد قامت الصلوات(١٢)

من الشواهد الأثرية

يوجد في مدينة الموصل أم الربيعين الكثير من الشواهد والمعالم الأثرية التي بقيت شاهدة على عصور دويلات سادت ثم بادت فوق رأتها ومنها:

. تل النبي يونس:

يقع داخل مدينة الموصل الأثرية، ويضم قصر الملك أسرحدون، وقصر سنحاريب، ويعدّ من أثمن ما بقي من مدينة نينوى إذ لم تمتد إليه أيدي العبث والتخريب، ويسمى أيضًا (تل التوبة).

. تل قوينجق:

استكشفه العالم الأثري ب. أ بوتا عام (١٨٤٢م - ١٨٥١م) الذي أماط اللثام عن قصر آشور بانيبال، ومكتبته العظيمة.

. تل الرماح:

يقع هذا التل الأثري غرب الموصل على بعد ٨٠كم، ويشتهر بزقورة، بجوار معبد منتظم الشكل يرجع إلى ١٨٠٠ ق.م.

. سور الموصل:

يبلغ محيط السور ١٢كم، وهو مستطيل الشكل، مبني بالحجر الحلان الأسمر، فيه أبراج حجرية، وله عدد من البوابات، منها: العمادي، الجصاصين الميدان، كندة، السر، العراق، لكش، القصابين، المشرعة، الجسر، القلعة، وينتهي السور من الأعلى بشرفات، وتليها أبراج من اللبن مرتفعة تشكل الخط الدفاعي الثاني(١٣).

معالم أخرى

كما تضم ساحات وميادين وبعض المناطق والأماكن في مدينة الموصل عددًا من المعالم التي تُعرف بها، ومنها:

برج المزاول العمودية العربية

يوجد البرج في ساحة الأحرار - الطبقجلي سابقًا - ويتألف من ثلاث مزاول العمودية الشرقية، والعمودية الجنوبية، والعمودية الغربية، ارتفاعها أكثر من سبعة أمتار، وتكون هذه المزاول مواجهة للشمس منذ شروق الشمس حتى غروبها.

غابة الحدباء النموذجية:

تقع هذه الغابة في طرف الموصل الشمالي مجاورة لنهر دجلة، ومساحتها كبيرة جدًا، وفيها مختلف أصناف الأشجار حيث يبلغ عددها ٢٥٠ الف شجرة، ويقام فيها المخيم الكشفي الدائم لشباب المدينة.



متنزه الشلالات

يقع المتنزه على طريق الموصل ـ الشيخان الرئيس، ويبعد عن مركز المحافظة بنحو (١٠كم)، والموقع في الأصل أقيم في مكان السد الأثري الذي أنشأه الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م)، وآثاره باقية إلى اليوم في موقع الشلالات، وهو واحد من عدد كبير من السدود التي كانت تشكل مشروعًا إروائيًا متكاملاً (١٠).

الأسواق الشعبية في الموصل

عرفت مدينة الموصل ـ محافظة نينوى اليوم ـ الأسواق منذ بداية الفتح الإسلامي لها، وما زالت بعض الأسواق قائمة فيها إلى يومنا الحالي. فقد عرفت المدينة أسواقًا كثيرة حتى نهاية الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ، وتوجد فيها اليوم عدة أسواق منها:

ـ سوق الشعارين:

ويمتد هذا السوق من جامع النبي جرجيس إلى التقائه بشارع نينوى، وقد بقي هذا الاسم ملازمًا للشارع حتى الآن.

ـ سوق الأربعاء:

يبدأ موقعه من بداية باب الجسر الحديدي إلى أن يلتقي بسوق الشعارين، وهو فضاء واسع يجتمع به العمال.

ـ سوق باب السراي:

وهو من الأسواق المهمة يباع فيه الحاجيات والتحفيات والزجاجيات والأحزمة المصنوعة من الجلد.

ـ سوق باب الطوب:

سمي بهذا الاسم نسبة إلى الطوب بين باب السراي وسوق الصوافة ويباع فيه المواد الغذائية.

ـ سوق الهرج:

يقع بين الصوافة ومنطقة الجوبة، وتباع فيه

الألبسة والمواد الكهربائية، والساعات، والمسابح اليدوية، والدراجات البخارية، والمسجلات.

. سوق النجارين:

يقع بالقرب من سوق الميدان، وكان يعرف قديمًا بسوق القتابين، وتُصنع فيه المواد المنزلية الخشبية والمهود - أسرة الأطفال ..

. سوق الميدان:

يوجد بالقرب من الجسر الحديدي القديم في المنطقة التي كان فيها سوق الحشيش.

. سوق القتابين:

يمتد من مسجد الخلاّل إلى الميدان، ويُعرف اليوم بسوق النجارين، تباع فيه أقتاب الإبل وما يتبعها.

. سوق الجسر:

يقع في الجانب الشرقي من نهر دجلة في الموصل، ويؤمه أهل الجانب الشرقي من الفلاحين ليعرضوا محاصيلهم الزراعية للبيع بالجملة للتجار والبقالين.

. سوق السرجخانة:

تصنع في هذا السوق الشعبي سروج الخيل وما يتبعها من أرسان ولوازم أدوات الخيول.

. سوق البزازين:

يعرف هذا السوق الموصلي بسوق الداخل، ويتسوق منه الناس ما يحتاجون إليه من أقمشة متنوعة (١٥).

المراجع والهوامش

١. مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج٢/٢٢٤ - ٢٣٥، ٢٣٧ - ١٣٨، و ج١٢/١٩٨، و ٢١٢، ونينوى: سلسلة مدن العراق ٧، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، د. ت، ص ٥ - ٧، ومحمد طاهر وهب، العواصم الآشورية، الربيع، العدد الأول في ١ مارس/ آذار ١٩٨٠م، ص٣.

٢. محمد أزهر السمّاك وجماعته: استخدامات الأرض بين النظرية والتطبيق «دراسة تطبيقية عن مدينة الموصل الكبرى حتى عام ٢٠٠٠م»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، ١٩٨٥م، ص ٢٠ - ٢١.

٣. محمد رجب السامرائي: أبواب العراق همزة وصل بين الماضي والحاضر، تراث، نادي تراث الإمارات، العدد ٤٠، مارس ٢٠٠٢م، ابو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٣١ - ٣٢.

٤. محمد رجب السامرائي: القلاع والحصون في المدن العراقية، تراث، نادي تراث الإمارات، العدد ٤٥، مايو/أيار ٢٠٠٣م، ابو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٤٧ - ٤٨.

٥. يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص٨٣.

٦. محمد طاهر وهب: أسماء الموصل، الربيع، المرجع السابق ص٣.

٧. يحيى شامي: المرجع السابق، ص٨٣، وأحمد جاسم احمد، ادباء الموصل في التاريخ، الربيع، المرجع السابق، ص٣، و «الموسوعة العربية العالمية»، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٩٩٦م، ج٢٤/٤٦٠.

٨. الموسوعة التاريخية الجغرافية، المرجع السابق، ج١٢/٢٣٥.

٩. عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م، ص٣٠١.

١٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ج٥/٢٥٨.

١١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحقيق، محمد عبدالرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ج١/١٢٩ - ١٣٠.

١٢. القباب الموصلية عبر التاريخ، العاملون في النفط، العدد ١٠٥، بغداد، العراق، مارس/آذار ١٩٧٦م، ص٤.

١٣. صباح محمد جاسم: دليل السياحة الدينية في العراق المواقع، هيئة السياحة، بغداد، العراق، ١٩٩٣م، ص ٤١، ٤٤، ٤٥، والموصليون يرون سرّها في ميلادها، وينسجون حولها الحكايات، الزمان: السنة الأولى، لندن، العدد ١٥٩، ٢٣ اكتوبر «تشرين الأول» ١٩٩٨م، ص٣٠.

١٤. دليل العراق السياحي، هيئة السياحة، بغداد، العراق، ١٩٩٣م.

١٥. محمد رجب السامرائي: الأسواق الشعبية في العراق ذاكرة الناس والأيام، تراث، نادي تراث الإمارات، العدد ٦٦، مايو ٢٠٠٤م، ابو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٤٢ - ٤٣.



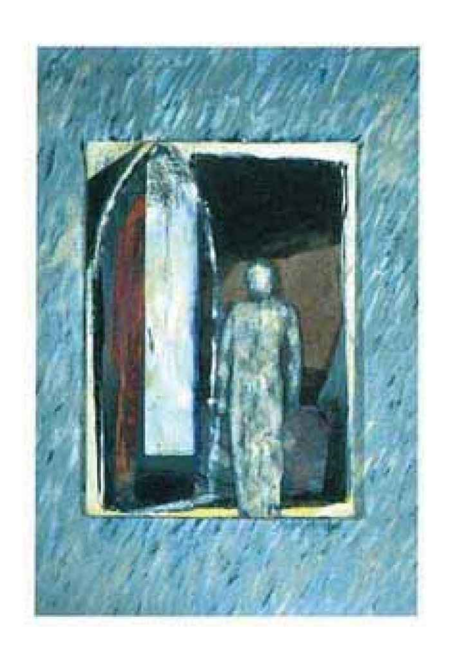


عازف العود

خليل إبراهيم الفزيع

الدمام ـ السعودية

يا ساهرَ الليل انثر حَولَكَ الوَهَجا
واعزفْ على وَتَرٍ قد لا مَسَ المُهَجا
اطلقْ من الأسرِ آهات مُعَذَّبَةً
من طولِ كِتمانِها تَستَلهمُ الفَرَجا
يا مَنْ حروفُكَ صارتْ ذاتَ أجنحةٍ
سِرْبُ المعاني بها للقلبِ قد وَلَجا
طرَّزْتَ منها حَواشي الليلِ وانهمرتْ
أنغامُ عَزْفِكَ حتى فَجْرُنا انبَلَجا
وما عجزْتَ عن الإفصاحِ في زَمَنٍ
الصمتُ فيه بعُمقِ الليلِ حينَ سَجَى
على يَدَيْكَ يرفُّ القلبُ مُنْتَشِيا
نحو الحبيبِ الذي يَلقاهُ مُبْتَهِجا
سَما بكَ الفنُّ لا وَهْنٌ ولا كَدَرٌ
وفي رِحابِكَ صارَ الهَمُّ مُنْفَرِجا
وهوَّمَتْ في صفاءِ الليلِ أغنيةٌ
من وَحْي سِحْرٍ هَمَى بالحُبِّ فامتَزَجا
خَبِّرْ مُحِبا به الأدواءُ قد سَكَنَتْ
وأوردَتْهُ عَذاباتُ الهَوَى لُجَجا
إذ جاءَ يَبْغي امتلاكَ الحبِّ في زَمَنٍ
قد لوَّنَتْهُ ظروفٌ تَزدري الحُجَجا
فليس يَجْني سِوى الأشواكِ مُنْهَزِمًا
إذ حاصَرَتْهُ فعادَ الصبُّ مُنْزَعِجا
يا عازفَ العُودِ رَدِّدْ لحْنَ مُنتَحِبٍ
وقد ودَعَ الخِلُّ لا يدري إن ابتَهَجا
وصُنْ شكاوى مُحِبٍّ شَفَّهُ ألَمٌ
إذ طلَّقَ الحبَّ ـ يومًا ـ مُكرهًا فَنَجا
وتلكَ دنيا منَ الأحلامِ يَنْسُجُها
صَبٌّ تَمادَى بحُبِّ الغِيدِ قد لَهِجا
فلا تَلُمْهُ وعانِقْ من حكايَتِهِ
لحنًا جَميلاً به قد تُنْثَرُ الأرَجا
ما كلُّ منْ ساقَهُ شوقٌ لدَرْبِ هَوى
يَنالُ بُغْيَتَهُ .. لو يَبْذُلُ المُهَجا



من إيقاع حزني

علي أحمد جاحز

حوث ـ اليمن



على أطلال آمالي أنوحُ
تُبكّيني المواجعُ والجروحُ

كسيحُ الذهن يَغروني شُرودٌ
غريبُ الروح ... في عجزي طريحُ

لقد سلّمتُ للأحوال أمري
فساقتني إلى همّي الطموحُ

يلوح الحلم في الأفاق طَيْفًا
وفي الأعماق أشواقي تلوحُ

فأنسى الوقتَ مسلوبًا وأسعى
وراء الطّيفِ في عمري أسيحُ

فما انهيتُ مشواري ولكنّ
يكاد العمر في سَيْري يَطيحُ

❖❖❖

على أطلال آمالي الخوالي
وقفتُ الآن بالشكوى أبوحُ

أذابتني عذاباتي وأبقتْ
فؤادي في اللظى لا يستريحُ

وفي كفّ الأسى أمسيْتُ طَيْرًا
أسيرًا خانه الصوتُ الفصيحُ

أقول الآه مرّاتٍ ويشكو
فضاءَ الصدْرِ ضَيْقًا لا يروحُ

وأجري الدمعَ والأجفان ظمأى
وليت النبعَ في عيني شحيحُ

ملأتُ الشعر مِن إيقاع حزني
فأمسى الشعرُ في كفّي ينوحُ

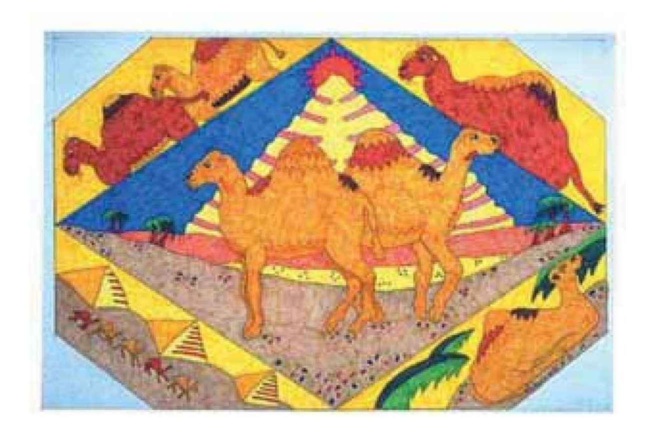
إلى أبي العلاء المعري

نذير العظمة

دمشق - سورية

إن الضواري ضوار
لاهم إلا الضواري
يلطخون جبيني
ويعبثون بداري
حلفت لو كنت ملْكا
متوجًا بالنُّضار
كسوت كل فقير
مهمش ... بالدراري
وما تركت أسيرًا
مروعًا بإسار
يا من يخف كريش
من نشوة في الجرار
لو كنت يومًا سجينًا
مطوقًا بالسوار
لصرت طيرًا يغني
مثلي حنين البراري

أبا العلاء أغثني
من واثق غير دار
أن الأكاليل ماتت
على جبين الكبار
حرية الموت أجدى
فالغارليس بغار
يا كاهنًا لا يصلي
وقائدًا لا يباري
ولا ملكتَ مصيري
ولا ملكت خياري
أبا العلاء تقبل من
الصميم اعتذاري
لو كنت يومًا حبيسًا
لما فقدت مداري
لكن شهوة جسمي
أملت عليَّ قراري



فهل أنا عنكبوت
معلق في المغار
تصيَّدت مقلتيه
فريسة في الجوار
مفتح العين أعمى
إلا من الأقدار
غريزة غرزوها
في نبضه وهو عار
فلا يرى غير جوع
مدجج بالجواري
ما بين خبز وماء
وبين نار ونار
كل المحابس جاءت
من قادر قهّار
لو أنهم منعوها
لصرت مثل الغبار

إن المنايا إذا ما
خيرت كانت خياري
يا صاحبي نحن طير
مشرد في القفار
ما دام ريش علينا
إلا إذا دام باري





منصور العتيق

الرياض ـ السعودية

وجد نفسه . وعمره يزحف نحو الأربعين . يحكم ربط الإزار حول وسطه، ويتأهب للقفز ..

❖❖ ❖❖ ❖❖

(بو عيسى) .. وتعود ذكريات الشباب الغابر .. يوم كانت البحرين كفًا مبسوطًا أمامه .. يخيل إليه أن قدمه قد وطئت كل ذرة رمل على أرضها، المنامة .. المحرق .. كلها كانت أسماء لا معنى لها، كان موجودًا في كل مكان، يضحك ويقهقه تاركًا التفكير والخلافات لوالده عيسى وأخيه مبارك.

ثم ما الذي حدث؟ متى بلغه نبأ وفاة والده ومبارك معًا؟ وأين كان وقتها؟ في المنامة؟ المحرق؟ حوار؟ القطيف؟ الدمام؟ لم يعد يذكر! لا يذكر سوى أنه وجد نفسه فجأة في البحرين، غريبة تلك الكف النائمة وسط أمواج الخليج الدافئة تنكرت له ولم تعد كما كانت، شعر بحاجة ماسة . أول مرة . إلى والده، لعله لذلك سمّى نفسه (بو عيسى) تفاؤلاً رغم أن عيسى لم يأت! انتظره هو وأمه التي أصبح عائلها الوحيد بلا جدوى، تزوج في سبيله مرتين بلا نتيجة ! ثم تزوج ثالثة ونسي عيسى تمامًا عندما أكرمه ربه بضيفتين: لطيفة وسارة، لولا الفقر لرأى نفسه أسعد إنسان في البحرين .. في الدنيا ربما!

الفقر؟! منذ متى بدأ يفكر فيه كمشكلة؟ منذ متى لاحظ العيون في عائلته تموج بحاجات لا تعلن عنها؟ منذ متى أصبح يلاحظ خيبة الأمل على الوجوه عندما ينتهي موسم الغوص بلا نتيجة؟ لو تعرف لطيفة وسارة أنه يضحي بلا جدوى، أنه يحاول، هل كانتا ستلومانه؟

لقد حاول بشتى الطرق فعلاً! عندما بدأ موسم الغوص سجل اسمه مع الغواصين، كثير من الغواصين نصحوه بعدم التهور في هكذا قرار . قالوا: إنه . وهو في السابعة والثلاثين . لم يعد قادرًا على ممارسة مهنته كـ (غيص) يتطلب عمله الغوص، وجمع المحار، ثم سحب الحبل والصعود مجددًا، ثم الغوص .. قالوا: إن صدره لم يعد يحتمل كل هذا الضغط. الضغط؟! أي ضغط؟! وضغط الفقر؟! وضغط النظرات المتسائلة البريئة المحتاجة الهادئة التي تنطلق سهامها نحوه من عيون لطيفة وسارة؟! من سيتحمل كل هذه الضغوط؟! كان في كل مرة يتكرر عليه هذا الكلام يضحك ساخرًا . رغمًا عنه . ويقول شيئًا عن الشباب والفتوة، وبمضي، حاول أكثر من مرة أن يقنع النوخذة شريفًا . ذا الأصول الهندية . أن يحوله إلى أي عمل على ظهر السفينة، لكن النوخذة كان يرفض بأدب دائمًا .. دائمًا، لقد أصبح الغوص شاقًا عليه بالفعل، في الفترة الأخيرة أصبح يحس أن البحر يبتلعه رغمًا عنه بعد أن كان . بو عيسى . يقفز إليه بكل جسارة وتحد، في الفترة الأخيرة . أيضًا . أصبح يسحب الحبل قبل أن يتمكن من جمع كمية كافية من المحار، بل إنه في آخر مرة سحب الحبل قبل أن يصل إلى القاع، واليوم ستعود الكرة من جديد، والله وحده يعلم كيف سيصعد إلى السفينة.

التفكير لا يريد أن يتوقف، والسيب يستعجله القفز. ولطيفة وسارة تحتلان تفكيره بشكل لم يسبق له مثيل، والنوخذة شريف يريد أكبر عدد من المحار ولا تهمه لطيفة ولا سارة ولا ابوهما، وشمس الخليج الدافئة الرطبة تلوح الوجه الأسمر. وتفضح الدموع التي اخذت طريقها على الوجه. وفي لحظة فاصلة، تمتد يد (بو عيسى) المعروفتين تحكم الربط حول الوسط النحيل ويتجه لحافة السفينة متأهبًا للقفز.

❖❖ ❖❖ ❖❖ ❖❖

قبل أن يقفز، التفت يلقي نظرة على السفينة. نظرة الوداع ؟. النوخذة شريف يمارس تسلطه المؤذب، وكل من على السفينة لا يعبؤون به ولا بدموعه التي لم يعد يحاول إخفاءها. أعطى الجميع ظهره، وملأ صدره بهواء الخليج الرطب .. وقفز! وابتلعه الخليج .. ابتلعه!

بالنسبة إليه كان الغوص صراعًا يتجلى في كل لحظة. تعود ان يمتص ألم الاصطدام العنيف بسطح الخليج ثم يبدأ الصراع مع الأمواج حتى يصل إلى القاع، يمكث دقائق ثم يسحب الحبل بادئًا صراعًا جديدًا مع الماء ينتهي بشهقة قوية على السطح، لكن الوضع مختلف الآن، في هذه المرة لم يكن هناك اصطدام، خيل إليه أن البحر انفتح واستقبله بحنان، ثم بدأ يتهادى نازلاً إلى القاع، وفي هذه المرة. أيضًا لـ نفد الهواء من رئتيه سريعًا. بدأ صراع جديد مع رئتيه إذن يا إلهي الرحيم!

وصل إلى القاع أخيرًا. قبل أن يبدأ مهمته مع المحار وجد الضغط على رئتيه هائلاً.

حاول أن يسحب الحبل، كان ذلك قبل أن يذكر ابنتيه، ويعدل عن فكرة حمقاء كهذه!.

يجول في القاع، وتتكئ يداه التربة الطينية بحثًا عن أي شيء .. رئتاه توشكان على الانفجار، ولطيفة وسارة تملكان مخيلته .. ألم الرئتين يزداد ودوار عنيف يسيطر على راسه، سيسحب الحبل إذن وليكن ما يكون. محارة واحدة هي حصيلة رحلته مما يؤهله لغضبة محترمة من النوخذة شريف، وكم من نظرات السخرية من الغواصين، ونظرتان مؤلمتان من لطيفة وسارة. محارة ثانية؟اندفع بساعدين مرهقين يحملها، الحمد لله! محارة ثالثة؟ الحمد لله .. الحمد لله! ثلاث محارات .. الحصيلة ليست جيدة ولكنها محتملة.

بعد المحارة الثالثة ازداد ألم الرئة، وتكاثف الصداع على راسه مكونًا ضغطًا هائلاً. وتهالكت اطرافه، واصبحت الرؤية ضبابية أمامه، مر به خاطر الموت ! الموت؟! هل كل ما هو فيه مقدمات للموت؟! الرئة والصداع والأطراف الثقيلة الباردة!! اندفع بسرعة يشد الحبل! بسرعة !! لكن كفه الثقيلة الباردة لم تصل الحبل! الدوار يزداد والضغط يكبر ويكبر .. والضباب يغطي كل شيء! ها هو ذا شبح الموت أمامه جنبًا إلى جنب مع شبحي لطيفة وسارة! والموت اختناقًا له شكل آخر! خصوصًا تحت مياه الخليج التي بقدر ما تعطي من المحار تأخذ من الغواصين ! ومن الغواصين فقط. لماذا لا يموت النوخذة شريف؟ . خاطر سريع! . لماذا لا يموت الطواش الذي يشتري اللآلئ من النوخذة؟ الطواش. خاطر سريع آخر. ذو أصول هندية! عجبت !! كل الطواشين . او الطواويش! . هنود، بينما كل الغواصين بحارنة، والخليج لا يبتلع إلا الغواصين، عجيب! خاطر الموت يعود مرة أخرى، عجيب، عجيب!

(بو عيسى) في جهاد حقيقي لتبلغ يده الحبل، شعر بألم فظيع كانفجار محدود في الرئة اليمنى .. بعدها لم يعد يحس بأي شيء .. أي شيء .. حتى لطيفة وساره !! تهالك إلى القاع بلا وعي محدثًا حركة بسيطة في الحبل المرخي، شعر البحارة بها فاندفعوا يسحبون. أخيرًا. جثة لا حراك فيها !.

قصص قصيرة

عبدالله علي المطمي

أبها ـ السعودية

ثورة حرمان

أصوات الشملين المنهكة، وقرقعات الكؤوس الرشيقة المنتصفة الملء، ودنس الآهات الفاترة في زوايا المكان تحاصره من كل جانب، تطعن بقايا حياء ورثه من تركات قريته القصيّة. يبتسم رغم ألمه، يذرف الصمت لواذا من حرج يفتّر ثغره عن ابتسامة باهتة للعوب وشوشت في أذنه بجملة غنج لم يفهمها رغم ابتسامته البلهاء. بريق الأنوار وسحب الدخان الكثيفة يشعل في نفسه بقايا حرمان قديم ويغيب ذاته اللوامة وتسبح في جسمه نشوة عنيفة. اطلقت كفه اليمنى أسيرتها، يتحرك من مكانه مع كل إيقاع غواية وجموح نزوة، يتمايل بين الطاولات المصفوفة، وصهيل الكأس يعربد في كل جزء من جسمه، يزيد تمايلاً واهتزازًا مع كل أغنية رديئة، ثم يعود منتصرًا على الصمت المذروف.

حرمانه القديم يملي عليه قراراته الجائرة لا يستطيع الفكاك أو العصيان، يظل مذعنًا لكل نزوة لذيذة يشبع بها سني حرمانه الجائع ويرضي نفسه المتناقضة. ينتفض كالملدوغ مع بقايا وخز لضمير منهك وضجيج صيحات احتجاج لرفات أشباح يعرفهم جيدًا، لحظات ثم يعود لإذعانه المحبب إليه.

بين صحوة هزيلة وسكرة طويلة يتصرم ليله ويسير موكب زيفه وجوقته الخرساء تزفه بخطوات واهنة مع مواخير مغادرة ذابلة يلتهمها صبح الحقيقة الفاجعة.

رضوخ

(١)

مانعت جمحت رغم غلظة الشكيمة وإحكام اللجام، لم يكن سائسًا ماهرًا كان محبًا وصبورًا فقط. علقم الليالي وصهد الأيام جعلاه يبدو اكبر من عمره رمقت ابناءها الثلاثة مليًا وهم يحيطون بأبيهم بحميمية، نمت مشاعر دفاقة داخلها، أزمعت أن تعوضه عما كانت قد حرمته.

(٢)

جميلة جدًا لا مبالية، غادرت كل الأصوات الناصحة، ملتها، عافتها، متمادية مع صهيل غيّها الصاخب صمقت، ذهلت من وشاية مرآتها وهي تريها عناقًا حارًا وحميمًا بين غريبتين تسللتا غفلة إلى مفرقها مع مشطها الأسود تنبهت، تلفتت لم تجد حولها أحدًا

(٣)

لم تتركه يكمل كلامه غادرته وهو يلوك جملة ممتطية كبرياءها الشامخ، لم ييأس حاول، أرسل، استعطف يدلق غصصه المرّة في جوفه انتظارًا لقبول، عندما أناخ كبرياءها وترجلت صوبه وقف وببرود متجمد ... لا أريدك.



الموريسكيون الأندلسيون

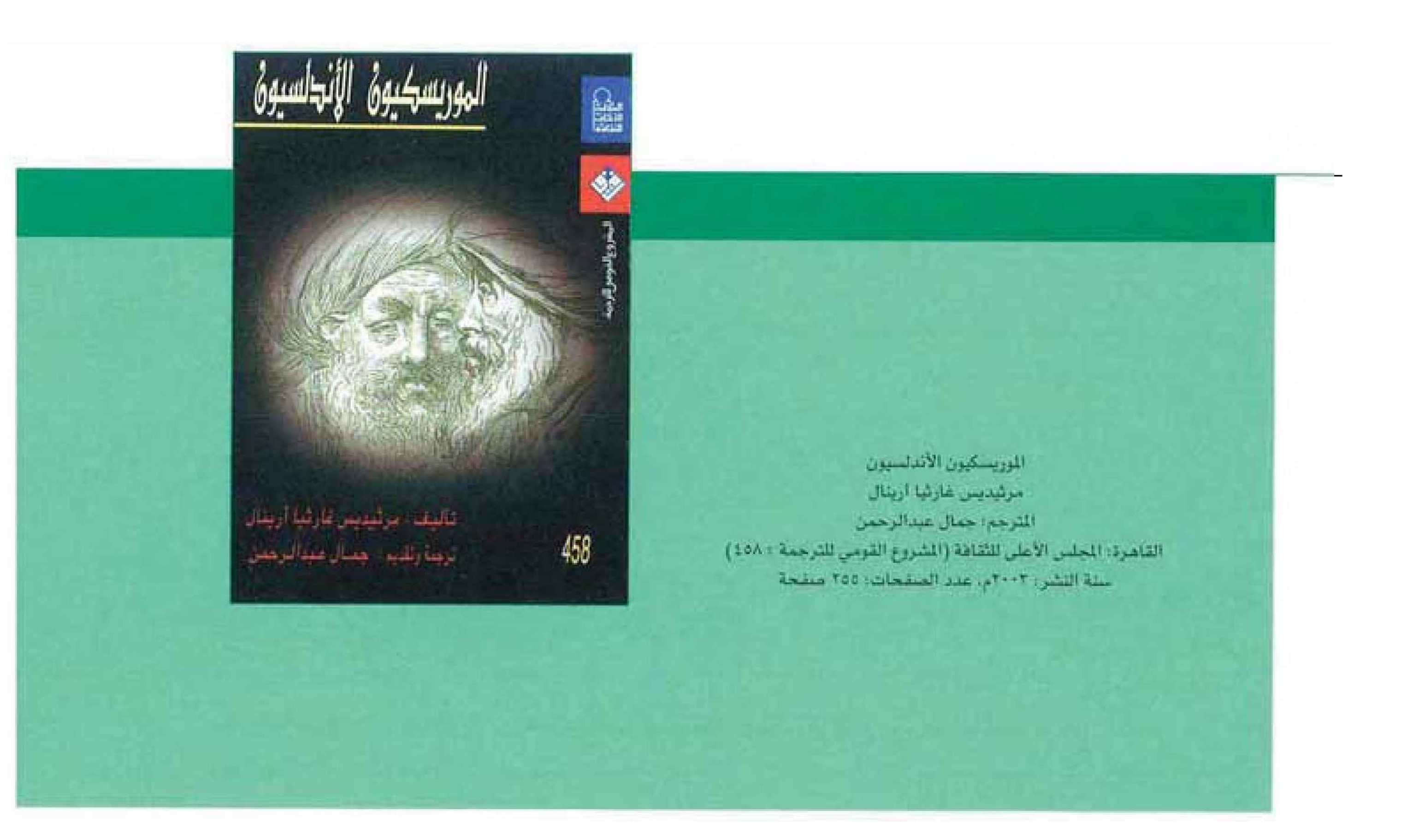
حوى النبي علي صالح

قسم التحرير

تعددت الكتابات التي تناولت الموريسكيين (١) بشكل كبير، وغلبت على بعضها العواطف الجياشة، والحنين إلى الفردوس المفقود في الأندلس، أو البكاء على أطلاله، في وقت أحوج ما نكون فيه إلى ما يجلي حقائق التاريخ، ويقدمها على نحو يؤدي إلى الإفادة منها. ولا شك أن الوثائق أكثر الأوعية التي تحافظ على ذاكرة التاريخ نابضة، من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي صدر مؤخرًا تحت عنوان «الموريسكيون الأندلسيون»، وهو من تأليف مرثيديس غارثيا أرينال. ونقله إلى العربية وقدّم له جمال عبدالرحمن الذي يؤكد «أن هذا الكتاب - بما يتضمنه من وثائق - يشكل الخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها من يريد دراسة تاريخ الأندلس بعد سقوط غرناطة». وسوف يتضح ذلك للقارئ من خلال استعراض الوثائق التي يتضمنها الكتاب.

فمن ضمن الوثائق الواردة في هذا الكتاب وثيقة «تسليم غرناطة» التي توضح أن المفاوض المسلم كان مفاوضًا ناجحًا لم يفرط في حقوق المسلمين الإسبان، بل لم يفته كذلك أن يدافع حتى عن حقوق رعايا الدولة الإسلامية من اليهود. ويعرض الكتاب كذلك نماذج للقضايا التي نظرتها محاكم التفتيش؛ مما يساعد على إدراك أبعاد ملحمة صمود شعب الأندلس في وجه المحاولات الرامية إلى طمس هويته، وموقف المجتمع الإسباني من هذا الصراع. كذلك توضح الوثائق الواردة في هذا الكتاب أن تركيا ومصر لم تكونا بعيدتين عن مجريات الصراع الذي كان يدور في الأندلس.

وعلى الرغم من أن المترجم يكاد يجزم بأن الكتاب يلخص أبعاد القضية الموريسكية، إلا أنه أشار إلى جانبين مهمين من جوانب القضية لم يتعرض لهما الكتاب، ولم يتم تناولهما إلا مؤخرًا: الموضوع الأول يتعلق بمسألة وجود الإسلام في أمريكا الجنوبية بعد نزوح عدد من الموريسكيين إليها. والثاني خاص بالجدل الذي كان يدور أحيانًا في السجون بين المسلمين والبروتستانت، إذ لم



الموريسكيون الأندلسيون
مرثيديس غارثيا أرينال
المترجم: جمال عبدالرحمن
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة ٤٥٨)
سنة النشر: ٢٠٠٣م، عدد الصفحات: ٢٥٥ صفحة

يكن مسموحًا حينذاك إلا بالمذهب الكاثوليكي.

ومؤلفة هذا الكتاب مرثيديس غارثيا أرينال تعدّ من أبرز المتخصصين في موضوع الموريسكيين. وقد اكتفت المؤلفة بجمع هذه الوثائق، وكتابة بضعة أسطر عن كل وثيقة، مع انه كان بوسعها أن تكتب الكثير، فهي أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمي بإسبانيا، وواحدة من أبرز المتخصصين في موضوع الموريسكيين. وقد قدمت عددًا من المحاضرات في هذا الموضوع، كما أشرفت على عدد من الرسائل الجامعية. وقد حددت الهدف الذي تسعى إليه في هذا الكتاب، وهو «تقديم قاعدة وثائقية، وقائمة مراجع لكل من يهتم بدراسة القضية الموريسكية، أو لمن يسعى إلى دراسة جانب من جوانبها».

اتفاقية تسليم غرناطة

كانت أولى وثائق هذا الكتاب هي العهد الذي أعطاه الملكان الكاثوليكيان (١) لمسلمي غرناطة بعد استسلامهم في نهاية عام ١٤٩١م، بعد عشر سنوات من الحروب التي خاضها آخر معاقل السلطة الإسلامية في إسبانيا، وقد كانت هذه الاتفاقية سخية جدًا مع المسلمين، إذ أكدت منحهم حرية ممارسة شعائرهم وشريعتهم ولغتهم وعاداتهم. «وهي تعد افضل معاهدة وقعها طرف مهزوم، وقد دلّت على صلابة أبي عبدالله الصغير (٢) وكفاءته كمفاوض، وتدحض ما يقول به بعض الباحثين من تخاذل ملك غرناطة او تفريطه»، كما يقول المترجم، ولكن هذه الاتفاقية لم تصمد إلا مدة وجيزة، فقد نكث النصارى العهد الذي قطعوه على أنفسهم، ونقضوا الشروط عروة عروة، وبعد سبع سنوات فقط بدؤوا يحملون المسلمين على الكفر قسرًا، وأجبروهم على اعتناق المسيحية، وصار أمام المسلمين في الأندلس إمّا أن يتنصروا فينجوا من الموت، وإمّا أن يمتنعوا فيحق عليهم القتل، وهذا ما دفع كثيرًا منهم إلى الهجرة إلى المغرب والجزائر وتونس، وهاجرت قلة إلى المشرق أو جنوب فرنسا، وبقيت

الأكثرية التي لا تملك وسائل الرحلة. فتنصروا ظاهرًا، واحتفظوا بإيمانهم سرًا في أعماقهم.

موريسكيو غرناطة

بدأ التبشير مباشرة بعد غزو غرناطة عام ١٤٩٢م، ولكنه كان بطيئًا في البداية. وفي عام ١٤٩٩م بدأت سلسلة من عمليات التنصير الجماعي الإجبارية التي صاحبها حرق للمكتبات العربية. وهذا الأمر عدّه المسلمون انتهاكًا للمعاهدة. وقد أدّى ذلك إلى حرب لم تخمد إلا بعد عامين (١٥٠١م). وهو العام نفسه الذي بدأ فيه الملكان الكاثوليكيان تنصير جميع مسلمي غرناطة. وتسبب ذلك في كراهية شديدة من المسلمين لدين الغزاة.

وكان الملكان الكاثوليكيان يودان لو أن الموريسكيين تمسكوا بالدين المسيحي. ولكن آمالهم خابت. فقد كان الموريسكيون مسيحيين في الظاهر مسلمين في الحقيقة، وقد وصفت الوثيقة تحايلهم على القانون، وتمسكهم الشديد بتعاليم دينهم.

من مسلمي الأندلس إلى السلطان العثماني

أرسل مسلمو الأندلس قصيدة إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني ١٤٨١ - ١٥١٢م، طلبًا لنجدته. ومؤلف هذه القصيدة موريسكي مجهول. وتبيِّن القصيدة الصعوبات الدينية والسياسية التي يعانيها المسلمون الموريسكيون. كما تشير إلى عدد من الأحداث التاريخية، مثل: حرق الكتب العربية، وإحدى المذابح التي ارتكبت بحق المسلمين. وتشير كذلك إلى السفارة التي أرسلتها مصر إلى الملكين الكاثوليكيين تهدد فيها بالانتقام من المسيحيين إذا أجبر الملكان الكاثوليكيان المسلمين الإسبان على دخول النصرانية.

وتتكون القصيدة من ١٠٥ أبيات ... وكان مطلعها:

سلام كريم دائم متجدد
أخص به مولاي خير خليفة

ومنها أيضًا:

سلام عليك من عبيد أصابهم
مصاب عظيم يالها من مصيبة

سلام عليك من شيوخ تمزقت
شيوبهم بالنتف من بعد عزة

سلام عليك من وجوه تكشفت
على جملة الأعلاج من بعد سترة

سلام عليك من بنات عواتق
يسوقهم اللبّاط قهرًا لخلوة

من فقهاء المغرب إلى إخوانهم من المتنصرين (٥)

هذه الرسالة فتوى من فقهاء المغرب تتضمن مجموعة من القواعد تسهل على العرب المتنصرين الاحتفاظ بدينهم الإسلامي. وقد كتبت في غرة رجب سنة ٩١٠هـ/٢٨ نوفمبر عام ١٥٠٤م. وهي رسالة مزدوجة: فهي تشير إلى مبادئ الإسلام الأساسية الخاصة بضرورة ممارسة الشعائر حتى في بيئة غير إسلامية. ثم هي تعرض التطبيق العملي لهذه المبادئ. وهي تشرح ماذا يفعل المسلم إذا أجبر على التخلي عن عقيدته، والدخول في دين آخر؟. وتتضمن الفتوى

أصدرت محكمة تفتيش أراغون قرارًا بحظر حمل الموريسكيين الأسلحة النارية، ونص القرار على معاقبة كل من يخالف بنود هذا القانون بأن يجلد مئتي جلدة، ومصادرة الأسلحة وبيعها، واستخدام ثمنها في الإنفاق على أعمال الخير في القرية التي ضبط فيها السلاح



آثار معمارية ذات طراز عربي لاتزال باقية

«التقية» التي شرعت في عصور الإسلام الأولى حين كان المسلمون في حاجة إلى إخفاء أمر دينهم، ويستطيع المسلم طبقًا لذلك أن يتظاهر بالكفر مؤقتًا حتى يتجنب مصاعب كثيرة، ويشترط الإسلام في ذلك إخلاص القلب.

مذكرة السيد فرانثيسكو نونييث مولاي

كتب هذه المذكرة (٥) أحد أعيان الموريسكيين، ويدعى فرانثيسكو نونييث إلى محكمة غرناطة دفاعًا عن الموريسكيين الذين صدرت بحقهم بنود وأوامر تحظر عليهم عدة أمور منها:

- حظر اللباس الموريسكي على الرجال والنساء وإلزام النساء - بالإضافة إلى ذلك - بكشف الوجه.
- في الزفاف وفي كل أنواع الاحتفالات تمنع رقصة السمرة، وإقامة الليالي بمصاحبة الآلات والأغنيات الموريسكية -حتى لو كانت لا تتضمن شيئًا مريبًا أو مخالفًا للديانة المسيحية-.
- يجب أن تظل أبواب البيوت مفتوحة، وتمنع النساء من التخضب بالحناء، ويحظر استعمال الأسماء والألقاب الإسلامية.
- حظر استعمال الحمامات.
- يحظر على الموريسكيين أن يكون لهم عبيد من المقاتلين الغرباء، وعلى الأحرار من هؤلاء المقاتلين مغادرة غرناطة في غضون ستة أشهر.
- يحظر على الموريسكيين كذلك أن يكون لهم عبيد من السود.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تصدر فيها مثل هذه الأوامر، لكن في الماضي كان الموريسكيون يتمكنون - من خلال ثرواتهم - من تأجيل هذه الإجراءات ووضعها موضع التنفيذ.

ولكن في عام ١٥٧٦م لم يكن هناك مجال للتأجيل:

مما دفع أحد الأعيان لكتابة هذه المذكرة التي يحاول فيها تصوير هذه الخصائص على أنها مجرد عادات محلية، ويسعى إلى أن يُقبل اللباس الموريسكي، كما يُقبل الزي الخاص بقشتالة أو أراغون، وأن تُقبل اللغة العربية كما تُقبل اللغة الغاليثية أو القطالونية.

ولم تحقق المذكرة أدنى درجة من النجاح، وكان تنفيذ هذه القرارات هو السبب الرئيس في ثورة البشرات.

نبوءة موريسكية

كانت النبوءات التي تسمى «وصايا» قد شاعت خلال القرن السادس عشر الميلادي، وكانت السمة المشتركة التي تجمع بين كل النبوءات التي كانت سائدة في ذلك القرن هي الأمل في تحقيق النصر، والإيمان بانتصار الإسلام انتصارًا كاملاً، وكانت أغلب هذه الوصايا تتنبأ بأن يأتي النصر على أيدي الأتراك، أو على يد مسلمي البربر.

والنبوءة التي وردت في هذا الكتاب هي إحدى النبوءات التي وجدت في كتب صادرتها محكمة التفتيش في غرناطة، وقد قام بترجمتها ألونسو ديل كاستيو. كما أدرجها مارمول مع وصيتين أخريين في كتابه «قصة تمرد الموريسكيين وعقابهم»، وقد اختار المترجم هذه الوصية؛ لأنها تصور المأساة التي حلت بالموريسكيين على أنها عقاب من الله لهم بسبب فساد أخلاقهم، وبعدهم عن الإسلام في أواخر دولة الأندلس.

حرب البشرات

تشكل ثورة مسلمي مملكة غرناطة، وما ترتب عليها من حرب البشرات بين عام ٦٨ و١٥٧١م فصلاً من أهم فترات حكم فيليب الثاني وأكثرها دموية، وقد شهدت هذه الفترة صراعات ومؤمرات لم يسلم منها حتى الموريسكيون أنفسهم، إذ ثاروا ضد القساوسة وضد المسلمين الذين تنصروا، وانتهت حرب غرناطة بترحيل الموريسكيين الغرناطيين إلى قشتالة بشكل عشوائي شتاء عام ١٥٧١.٧٠م.

ومن القصص التي رويت عن تلك الفترة ما رواه مارمول - وهو أهم مؤرخ لحرب البشرات - حكاية بعنوان «فصل يتعلق بالثورة العامة لمسلمي البشرات»، تحامل فيها على الموريسكيين، ونعتهم بأبشع الصفات، كما وصف نساءهم بالتبرج والانحلال، وقال: إنهن كن يرقصن علنًا في الشوارع، ويعانقن الرجال، وقال: إنهم حرقوا الكنائس ونهبوها، وحطموا التماثيل المقدسة، ومثلوا بالقساوسة، وبالمسيحيين من غير رجال الدين.

موريسكيو قشتالة

تسبب طرد موريسكيي غرناطة إلى قشتالة عام ١٥٧٠م - تمهيدًا لطردهم بين عامي ١٦٠٩و١٦٢٤م - في إثارة كثير من المشكلات، وكانوا متهمين بالسلب والنهب وقطع الطريق، فأثاروا عدم الطمأنينة في جميع أنحاء المملكة.

وذكرت الوثيقة أن موريسكيي قشتالة كانوا عكس ذلك، فقد عُرفوا بالجد والاجتهاد والقناعة وحب الادخار والتضامن، وتناولت الوثيقة مقتطفات من الشكاوى التي كانت تظهر دائمًا في محاضر اجتماعات نواب قشتالة بخصوص المشكلات التي كان يسببها موريسكيو غرناطة، ودعوة الحكومة إلى العمل على الحد من خطورة

ذكرت الوثيقة أن موريسكيي قشتالة كانوا عكس ذلك، فقد عُرفوا بالجد والاجتهاد والقناعة وحب الادخار والتضامن، وتناولت الوثيقة مقتطفات من الشكاوى التي كانت تظهر دائمًا في محاضر اجتماعات نواب قشتالة بخصوص المشكلات التي كان يسببها موريسكيو غرناطة

موريسكي غرناطة، وكانت إحدى الوسائل التي اقترحوها إجبار الموريسكيين على الاشتغال بأعمال الزراعة فقط.

هذه معركة بدر وحنين

هذه الوثيقة تمثل نموذجًا للأدب الموريسكي المكتوب بالألخميادو (٧)وهي واحدة من القصص التي تحكي إحدى البطولات التي حدثت في صدر الإسلام، وفي هذه القصص يبدو المسلمون أبطالاً أسطوريين يحققون النصر دائمًا، وكان الموريسكيون، الذين يشعرون دومًا بأنهم جزء من العالم الإسلامي، ينتشون بتذكر هذه الانتصارات، ويعتزون بها في زمن تعرضوا فيه للمحن.

ومع أن هذه القصة من الأدب الألخميادو الذي يختلط فيه الواقع بالخيال، إلا أن بعض الأحداث التي ترويها حقيقة، على الرغم من أن النص هنا يجمع بين غزوتي بدر وحنين كما لو كانتا غزوة واحدة، ووجود عدد من المشاهد التي أوحى بها خيال المؤلف.

شعائر الموريسكيين الدينية

وصفُ الشعائر الواردة في هذه الوثيقة مستوحىً من ملحق كتاب «الموريسكيون الإسبان وطردهم» لبورونات إي باراتشينا، وعنوان الملحق هو «شعائر المسلمين التي يؤديها الموريسكيون»، وقد تناول هنا الشعائر الأساسية التي ترد تسميتها في مذكرات الاتهام المقدمة إلى محاكم التفتيش، وهي: «الطهور»، و«الوضوء» و«الصلاة: صلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة الأخيرة، وصلاة العتمة، وصلاة الوتر»، و«صيام رمضان»، و«عيد الأضحى»، و«الليلة الطيبة»، و«الجمعة»، و«الموتى»، و«ليلة القدر»، و«سورة برب الفلق»، و«سورة برب الناس»، و«الذكاة أو الذبح»، و«التعميد»، و«الشهادة».

> تبيِّن القصيدة الصعوبات الدينية والسياسية التي يعانيها المسلمون الموريسكيون، كما تشير إلى عدد من الأحداث التاريخية، مثل: حرق الكتب العربية، وإحدى المذابح التي ارتكبت بحق المسلمين، وتشير كذلك إلى السفارة التي أرسلتها مصر إلى الملكين

من محاكمة موريسكي

هناك وثيقة تتعلق بقضية ضد الموريسكي فرانثيسكو دي أسبيوسا «كوينكا عام ٦١ - ١٥٦٢م» نظرتها محكمة التفتيش، وتتحدث هذه الوثيقة عن محاكمة المواطن فرانثيسكو دي أسبيوسا مسلم تنصر حديثًا، وصار يتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك، ولكنه ألحد، وسبَّ العقيدة الكاثوليكية المقدسة، وسبّ ما نصت عليه كنيسة روما، وارتكب جريمة الإلحاد، وتفوه بكلمات مشينة ومنافية للاحترام، وقد صيغت التهم الموجهة إلى فرانثيسكو في تسع عشرة تهمة.

وعند تلاوة التهم على المتهم أقرّ بها، وأبدى ندمه على ارتكابها، فجاء الحكم مخففًا، واقتصر على السجن، وأن يذهب كل يوم أحد وعيد إلى كنيسة العذراء، وأن يصلي خمس مرات، مع إعلان عدم أهليته لتولي وظائف كنسية أو مدنية أو عامة أو شرفية، وعدم أهليته لحمل السلاح، ولا ركوب الخيل، ولا ارتداء الحرير أو التحلي بالذهب أو الفضة، ولا بأي شيء محرم على فاقدي الأهلية طبقًا لقوانين الممالك أو لقوانين محكمة التفتيش.

تنصير موريسكي بلنسية

تحدثت هذه الوثيقة عن الحروب التي دارت بين



آباء الموريسكيين شاركوا في صنع هذه الآثار الرائعة

السادة والجماعات. والموريسكيين كأتباع للسادة. يعدّون سندًا لهم. ومن ثم كان المتمردون يطاردونهم مطاردة شديدة. وأوردت الوثيقة عددا من الحوادث التي وقعت بين الطرفين. منها حادثة الموريسكيين الذين احتموا بقلعة حصينة هربًا من المتمردين. ولكنهم استسلموا بعد تعهد المتمردين بعدم أذيتهم. لكن المتمردين نقضوا العهد الذي أبرموه وقتلوا منهم نحو ستمئة مسلم.

تعليم موريسكيي بلنسية العقيدة الكاثوليكية

اشتمل الكتاب على وثيقة تتضمن القرارات التي اتخذتها اللجنة التي رأسها فرانثيسكو دي نابارا بشأن تنصير الموريسكيين عام ١٥٦١م. وقد ناقشت اللجنة عددًا من البنود بخصوص تنصير موريسكيي بلنسية. كما تناولت بعض الوسائل المفيدة لتنصيرهم. التي منها أن يكون من يتصدى مباشرة لعملية التنصير مقتنعًا بإمكانية ذلك. وكذلك الصلاحيات التي يجب أن يتمتع بها المبشرون حتى تؤتي عملية التبشير ثمارها. ومنها:

- أن يكون من حقهم عدم شكوى الموريسكيين إلى محكمة التفتيش إذا شاهدوا أو سمعوا شيئًا. وأن يعلنوا للعامة أن هدفهم ليس تقديم الشكاوى ضدهم. بل معالجة أسباب الشكوى إن أمكن.
- أن يكون للمبشرين صلاحية الصفح عن كل الذنوب الخاصة بالضمير.
- أن يكون من حق المبشرين إعفاء من يتنصر من واجب إبلاغ محكمة التفتيش عن أخطاء الآخرين ضد العقيدة المقدسة؛ لأن القسيس عندما يقول للموريسكي: إن عليه واجب الإبلاغ عن أخطاء الموريسكيين فسيخاف:

كان بعض الناس يرى أن طرد الموريسكيين سيكون سببًا في خراب المملكة. لأن المملكة تقوم على الخدمات التي يؤديها الموريسكيون. ولكن في المذكرة. التي أرسلها إلى البلاط الملكي في سبتمبر/أيلول عام ١٦٠٩م. تذكر الوسائل اللازمة لمعالجة الوضع في المملكة

لأن هؤلاء أهله وأصدقاؤه، وسيبلغون أهلهم وأصدقاءهم، وسيؤدي ذلك إلى بث الرعب لدى الناس.

كذلك أوردت الوثيقة المذكرة التي قدمها الراهب نيكولاس ديل ريو إلى فيليب الثالث، والمؤرخة في بلنسية في ١٣ يونيو/حزيران عام ١٦٠٦م بشأن تعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية، وتصرفاتهم مع محكمة التفتيش، وقد اشتكى الراهب نيكولاس ديل ريو في مذكرته من عناد المتنصرين من الموريسكيين، وتمسكهم بعقيدتهم، وسخريتهم من مقدسات الكنيسة، بل إنهم استطاعوا التأثير في بعض المسيحيين فتحولوا إلى الإسلام، واقترح الراهب عدة طرائق لمحاربة المسلمين، وإجبارهم على اعتناق المسيحية.

قضية السيد دي سانشو دي كاردونا

وتتضمن هذه الوثيقة نسخة من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش في بلنسية ضد السيد/سانشو دي كاردونا أدميرال أراغون المتهم بحماية الموريسكيين وإبقائهم على دينهم الإسلامي، وقد نسبت إليه عدة تهم، منها:

- أن أراضي الموريسكيين الواقعة في هذه المملكة، التي مورست فيها الشعائر الإسلامية بحرية أكثر، كانت هي المنطقة التابعة للسيد/سانشو دي كاردونا؛ ذلك لأن الموريسكيين وجدوا فيه تحمسًا لهذا العمل.

- أن كل المساجد الواقعة في قرى الموريسكيين قد تم إغلاقها بعد تنصير الموريسكيين أو بعد ترحيلهم، إلا أن سانشو دي كاردونا صرح بإعادة بناء أحد المساجد الذي كان قد هدم من قبل، وكان الموريسكيون يفدون من مناطق أخرى للاجتماع في هذا المسجد لأداء الشعائر زاعمين أن هنالك قديسًا مسلمًا مدفونًا فيه. وقد استمر هذا الوضع عدة سنوات، وكان سانشو يعلم بذلك، ويشجع عليه.

- على الرغم من هدم المسجد بأمر جلالة الملك فيليب - كمسيحي مخلص - فقد استمر قائمًا كمكان يعيش فيه الموريسكيون بدعم من السيد/سانشو، وقد واصلوا أداء شعائر طائفتهم الخاصة بالزفاف والزواج، وصيام رمضان، والاحتفال بالأعياد التي يحتفل بها المسلمون، وختان الذكور كبارًا وصغارًا، وغير ذلك من التهم التي تستوجب المحاكمة.

وتمت المحاكمة في ٣١ يناير من عام ١٥٦٩م، وكان عمر الأدميرال يومها ٧٣ عامًا، وصدر الحكم بتاريخ ٢٣ سبتمبرمن العام نفسه، وتم إعلام المتهم بالحكم في يوم صدوره نفسه، وكان الحكم هو إلزام المتهم أن يتوب عن ذنوبه، وحكم عليه أيضًا بدفع ألفي دوقية، وحددت إقامته في مدينة بلنسية وضواحيها دون الخروج إلى القرى، والثابت بعد ذلك أنه قد تم تنفيذ الحكم، وأن الأدميرال قد تاب عن الذنوب التي اتهم بارتكابها، أو أي تهمة تتعلق بالإلحاد.

أرسل مسلمو الأندلس قصيدة إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني "١٤٨١ - ١٥١٢م" طلبًا لنجدته، ومؤلف هذه القصيدة موريسكي مجهول، وتبيّن القصيدة الصعوبات الدينية والسياسية التي يعانيها المسلمون الموريسكيون، كما تشير إلى عدد من الأحداث التاريخية

رأي أسقف سيغوربي في الموريسكيين

كان معلومًا لدى موريسكيي غرناطة عام ١٤٩٢م، وموريسكيي بلنسية عام ١٥٢٤م أن الأوامر الملكية الصادرة تلزمهم - إن أرادوا البقاء في أوطانهم - أن يكونوا مسيحيين معمدين، ولكن الموريسكيين - كما يقول الأسقف مارتين دي سالباتيرا أسقف سيغوربي - كانوا يتمسكون بالتعاليم الإسلامية، وقد قاموا بما يأتي:



آثارهم لاتزال تجذب السائحين

- لم يعترف موريسكي واحد - ولا يعترف - بارتكاب أي ذنب كبيرًا كان أم صغيرًا مع أنهم - كما هو معلوم - أهل معصية، ويخالفون الوصية السادسة بشكل خاص، تقليداً لمحمد الذي يأمرهم بغسل الأيدي والرأس والأرجل؛ لأن ذلك يغفر لهم الذنوب الصغيرة، أما كبائر الذنوب فتغفرها التوبة.

- يستطيع الموريسكيون أن يتزوجوا بأي عدد من النساء يمكنهم إعالته، ويمكنهم أن يطلقوهن متى شاؤوا بدفع صداقهن، وإذا قتل الموريسكي مسيحيًا فإنه يدخل الجنة، وهم يخالفون الوصية السابعة بارتكاب جرائم السرقة والربا والمعاملات غير المشروعة. ويخالفون الوصية الثالثة بعدم توقير الأعياد، وعدم الذهاب لسماع الوعظ إلا بالقوة وخشية العقوبة.

وعدّد القس كثيرًا من مخالفات الموريسكيين لتعاليم الكنيسة، مثل: لا يصومون صيامها، ولا يرون الزواج من الأقارب دون إذن البابا ذنبًا، ثم إنهم يمارسون عادة الختان، ويستعملون أسماء المسلمين في بيوتهم، وفي اجتماعاتهم السرية، مع وجود الأسماء المسيحية في السجلات فقط، ولا يصومون صيام المسيحيين، بل صيام المسلمين، ويسخرون من الدين المسيحي ومن الكنيسة ومقدساتها وصلواتها، ويسوق القس دليلاً آخر على كفرهم، وهو أنهم لا يحبون أن يدفنوا موتاهم في الكنيسة، بل في الحقول والأراضي البكر، كما أن في إسبانيا كلها لم يوص أي موريسكي بأي شيء للكنيسة، ولا تصدق في الكنيسة على موتاه، ولم يبن احد شيئًا في الكنيسة، ولم يطلب أحد منهم إقامة قداس على روح الميت، مع أنهم أثرياء، ويرون كيف يؤدي المسيحيون هذه الأعمال، كما ان في إسبانيا كلها لم تبن في أية قرية موريسكية صومعة لراهب، ولم يرفع صليب، ومن المعلوم كذلك كراهية الموريسكيين للصور والتماثيل، فهم لا يحتفظون بها في بيوتهم، والشيء نفسه يقال عن الماء المبارك، وعن بقية الشعائر المسيحية الأخرى، التي لايقيمها الموريسكي، وإذا فعل ذلك فإنه يفعله مضطرًا أمام المندوب أو الحاجب.

وطلب الأسقف من الملك تطهير هذه الممالك من المسلمين، طاعة للرب، وتأمينًا للديانة المسيحية، فالمسلمون - كما يرى الأسقف - أكثر ضررًا من اليهود والأريانيين الكفرة.

اشتمل الكتاب على وثيقة تتضمن القرارات التي اتخذتها اللجنة التي رأسها فرانثيسكو دي نابارا بشأن تنصير الموريسكيين عام ١٥٦١م، وقد ناقشت اللجنة عددًا من البنود بخصوص تنصير موريسكيي بلنسية، كما تناولت بعض الوسائل المفيدة لتنصيرهم

قضية كوسمي

هذه قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد السيد كوسمي بن عامر، وهو موريسكي من بلنسية، متنصر حديثًا كان يعدّه الموريسكيون في مملكة بلنسية من أعمدة الإسلام، ويكنّون له احترامًا كبيرًا، ويعدّونه المرشد الرئيس لهم. وقد رفعت القضية بتاريخ ٣مايو/أيار/عام١٥٦٧م، ووجهت له تهمة أنه عاش حياة المسلمين، وأدى شعائرهم، وأنه حاول إقناع مسيحي قديم أن يتحول إلى الإسلام، فشرح له عقيدة محمد. كما أنه أخفى نفسه عندما طلب للمحاكمة، واعترف كذبًا عدة مرات؛ لإرضاء المسيحيين.

وطالب ممثل الادعاء باعتقاله ومصادرة ممتلكاته، وقال: إن كانت الأدلة التي قدمتها غير كافية فليخضع كوسمي للتعذيب حتى تتضح الحقيقة. وقد استمعت المحكمة إلى شهادة عدد من الشهود الذين شهدوا بصحة التهم الموجهة إلى كوسمي. وقبض على كوسمي، وتعرض للمساءلة، وسجن، ثم صدر بحقه عفو من الملك، ومن الرئيس العام لمحاكم التفتيش، ومن السادة أعضاء المجلس الأعلى، نظير سبعة آلاف دوقية دفعها هو وإخوته، واعترافه بخطئه، وإعلان توبته.


لوحة تصور عربياً يصارع الثيران

شكوك حول الموريسكيين

كانت الشكوك تحوم دائماً حول الموريسكيين في القرن السادس عشر، وتتهمهم بأنهم متآمرون ضد المسيحيين القدامى، وضد الأمن الداخلي والخارجي لأسبانيا. وقد جاء في هذه الوثيقة نموذجان لهذه الاتهامات:

. النموذج الأول: مذكرة لمجلس الدولة رُفعت إلى صاحب الجلالة في ٢٨ يناير/كانون الثاني عام ١٦٠١م بشأن تحذير من موريسكيي إسبانيا، أرسله الضابط بارتولومي دي يانوس الأركون من تطوان حيث كان أسيرًا، يكشف فيه اتصالات تتم في الخفاء بين موريسكيي إسبانيا وملك المغرب، وحذر المجلس من أن تأخير النظر في هذا الموضوع سيسبب أضرارًا بالغة .

. النموذج الثاني: هو محضر جلسات نواب قشتالة المحرر في ١٣ سبتمبر/أيلول عام ١٦٠٧م الذي اقترح فيه النواب ألا يكون هنالك موريسكيون أطباء، وذلك للتزييف الذي يمكن أن يؤدوا به عملهم، ثم إن الموريسكيين لو كانوا أطباء فسيرتدون الحرير، ويركبون البغال، وقوانين هذه البلاد تحظر على الموريسكيين الأمرين، وتحظر عليهم أن تكون لهم وظائف محترمة.

حظر الأسلحة النارية

أصدرت محكمة تفتيش أراغون قرارًا بحظر حمل الموريسكيين الأسلحة النارية، وذلك في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٥٥٩م، ونص القرار على معاقبة كل من يخالف بنود هذا القانون بأن يجلد مئتي

جلدة. ومصادرة الأسلحة وبيعها، واستخدام ثمنها في الإنفاق على أعمال الخير في القرية التي ضبط فيها السلاح، وإذا ضبط مع شخص للمرة الثانية فإنه يعاقب بالحبس أربع سنوات، وبالجلد مئتي جلدة، وفي المرة الثالثة تضاعف العقوبة.

ونص القانون كذلك أنه لا يمكن للموريسكي أو لأبنائه أن يبيع سلاحًا أو أن يلمسه وإلا عوقب بدفع غرامة قدرها خمسمئة دوقية، أو بالجلد مئة جلدة كيفما ترى المحكمة. ولتشجيع الناس على الإبلاغ تقرر منحهم ثلث قيمة السلاح المضبوط لدى الموريسكي، وحتى لا يخسر المتنصرون حديثًا قيمة الأسلحة، أعطى القانون مهلة قدرها ثلاثون يومًا لتسليم أسلحتهم.

الطرد العادل

وضع المؤلف الأراغوني الأب أثنار كاردونا كتابًا بعنوان «الطرد العادل لموريسكيي إسبانيا وجملة الفضائل لمليكنا فيليب الثالث» ونشر الكتاب في أواسط عام ١٦١٢م بهدف إقناع معارضي طرد الموريسكيين بصواب هذا الإجراء وحكمته.

وقد تناولت الوثيقة ما جاء في الكتاب عن «أوضاع وأزياء ومأكولات الموريسكيين ووظائفهم وأمراضهم المعدية»، وقد وصفهم المؤلف بأنهم من أحط الناس وضعًا، وكانوا مهملين، وأعداء للآداب والفنون الراقية التي تصاحب الفضيلة، وكانوا يربون أولادهم كالحيوانات دون تعليم عقلاني، ودون توعية صحية، إلا تلك التي تحتمها الضرورة القصوى التي كان رؤساؤهم يشترطونها عليهم بعد أن تم تعميدهم، وغير ذلك من الصفات السيئة.

كذلك ورد في كتاب أثنار بعض الحجج الأكثر شيوعًا حول خطورة الموريسكيين، وأولاها هي ارتفاع نسبة الخصوبة عندهم، وهو سلاح يهدد مجتمع المسيحيين القدامى الذي يحد من تزايده رهبانية الرجال، وذهاب الرجال الآخرين للقيام بحملات عسكرية. وأورد الكاتب أيضًا بعض القصص التي تدل على استعداد الموريسكيين على الثورة المسلحة، ووصف خروج موريسكيي أراغون إلى منفاهم.

حلول مقترحة

عرض السيد مانويل بونثي دي ليون في رسالته إلى صاحب الجلالة، مدريد في ٢٨ أغسطس/آب عام ١٦٠٩م الأضرار التي ستترتب على طرد الموريسكيين آملاً في تجنبها، ويقترح حلولاً أخرى، على غرار التي يستعملها الأتراك مع رعاياهم المسيحيين، ومن الحلول التي يقترحها أيضًا بناء حصون في بعض الممالك المسيحية على أن يدفع الموريسكيون ثمن بناء هذه الحصون في شكل ضرائب.

مذكرة حول طرد الموريسكيين

كان بعض الناس يرى أن طرد الموريسكيين سيكون سببًا في خراب المملكة، لأن المملكة تقوم على الخدمات التي يؤديها الموريسكيون، ولكن في هذه المذكرة، التي أرسلها إلى البلاط الملكي الأب سوبرينو في سبتمبر/أيلول عام ١٦٠٩م، يذكر الوسائل اللازمة لمعالجة الوضع في

اكتفت المؤلفة بجمع هذه الوثائق، وكتابة بضعة أسطر عن كل وثيقة، مع أنه كان بوسعها أن تكتب الكثير، فهي أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمي بإسبانيا، وواحدة من أبرز المتخصصين في موضوع الموريسكيين

المملكة. ويطمئن الملك ويقول: إن هذا الحديث منطقي لو أنهم سيحملون معهم أشجار الزيتون والكروم والأراضي والمزارع. ويطالب باستجلاب مواطنين آخرين من باقي الممالك لملء الفراغ الذي سيتركه تهجير الموريسكيين. ويطالب أيضًا بتعويض الذين أنفقوا أموالهم على الجماعات من نقود الموريسكيين وأساساتهم.

قرار طرد موريسكيي بلنسية

تورد المؤلفة في هذه الوثيقة القرار الملكي الذي ينص على طرد كل موريسكيي بلنسية إلى بلاد البربر، والذي صدر في بلنسية في ٢٢ سبتمبر/أيلول ١٦٠٩م. بعد محاولات التنصير الفاشلة التي قامت بها السلطات هناك، وقد احتوى القرار على ١٣ بندًا هي:

- يخرج كل موريسكيي هذه المملكة، رجالاً ونساءً، وأبناؤهم كذلك، من بلنسية في خلال ثلاثة أيام ابتداءً من نشر هذا القرار في الأماكن التي يعيشون فيها. ويذهب الجميع إلى حيث يستقلون السفينة في الميناء الذي يحدده المفوض. ويحمل كل موريسكي كل ما يستطيع من أمتعة شخصية، ويستقل المركب أو السفينة التي تحمله إلى بلاد البربر. فينزل منها دون أن يتعرض لسوء المعاملة أو المضايقات. وننبه على أننا سنوفر لكل منهم ما يحتاج إليه

> وضع المؤلف الأراغوني الأب أثنار كاردونا كتابًا بعنوان "الطرد العادل لموريسكيي إسبانيا وجملة الفضائل لمليكنا فيليب الثالث" ونشر الكتاب في أواسط عام ١٦١٢م بهدف إقناع معارضي طرد الموريسكيين بصواب هذا الإجراء وحكمته

من ملابس خلال الرحلة. وبإمكان كل واحد منهم أن يحمل ما يستطيع. ومنْ لا ينفذ هذا البند، ويخالف هذا القرار، يتعرض لعقوبة الإعدام التي ستنفذ، لا محالة.

- أي موريسكي - بعد نشر القرار ومرور ثلاثة أيام على نشره - يوجد خارج محل إقامته أو في الطرقات قبل إبحار السفينة، يستطيع أي شخص إلقاء القبض عليه، وتجريده من متاعه، وتسليمه إلى العدالة في أقرب مكان. وإذا دافع الموريسكي عن نفسه فبإمكان المواطن أن يقتله دون أن يتعرض لعقوبة.

- بعد نشر القرار يُحظر على الموريسكي مغادرة محل إقامته إلى مكان آخر: بل يظل في مكانه حتى يصل إلى القرية المفوض الذي يقتادهم إلى السفينة.

- أي موريسكي يدفن متاعًا له، أو يخفيه؛ لأنه لا يستطيع أن يحمل معه، أو يضرم فيه النار، أو يتلف الزرع أو الأشجار أو البيوت تقع عليه عقوبة الإعدام. ويقوم بتنفيذها المواطنون المقيمون في موقع ارتكاب الجريمة. نأمر بذلك لأن صاحب الجلالة قد تفضل بمنح سادة الموريسكيين الأمتعة التي لا يستطيع الموريسكيون حملها معهم.

- من أجل الحفاظ على البيوت، وعلى محصول الأرز، وإبلاغ ذلك إلى السكان الجدد، استجاب صاحب الجلالة لطلبنا، وقرّر بقاء ستة أفراد بعائلاتهم في كل قرية بها مئة بيت، على أن يقوم سادة الرعايا باختيار الأفراد الذين سيبقون. ويلزم سادة الرعايا بإخبارنا بأسماء الأشخاص الذين تم اختيارهم. أما الأشخاص الذين سيبقون في القرى التابعة لصاحب الجلالة فستقوم نحن باختيارهم، وننبه على أنه يفضل أن يكون الأشخاص الذين سيبقون من كبار السن، وأن تكون حرفتهم الوحيدة هي الزراعة، وأن يكونوا قد أبدوا ميلاً إلى اتباع المسيحية.

- لا يقوم أحد المسيحيين القدامى أو الجنود بإساءة معاملة الموريسكيين أو إيذائهم باللفظ، أو الإضرار


لوحة توضح الموريسكيين وهم يقومون بالأعمال الشاقة

بممتلكاتهم أو بزوجاتهم وأبنائهم.

- يجب ألاّ يخفي أحد في بيته موريسكيًا، ولا يساعده على الاختفاء، وإلا عُوقب من يفعل ذلك بالسجن ست سنوات، وبعقوبات أخرى نراها.

- لكي يفهم الموريسكيون أن رغبة جلالة الملك هي طردهم من البلاد، وأنه لن يقع عليهم إيذاء في أثناء السفر، وأنهم سيُنقلون إلى بلاد البربر: فإننا نسمح بعودة عشرة أشخاص من الذين سافروا مع الفوج الأول لكي يخبروا الآخرين بذلك. ونسمح بأن يتم ذلك مع كل فوج. ونأمر بأن يبلغ ذلك إلى قباطنة السفن لكي يأمروا به. ولكي يحولوا دون أن يقوم الجنود والبحارة بإيذاء الموريسكيين باللفظ أو بالفعل.

- الصبية دون الرابعة عشرة الذين يفضلون البقاء، ويوافق أولياء أمورهم على ذلك، لا يُطردون.

- الأطفال دون السادسة من أبناء المسيحيين القدامى يبقون في إسبانيا، وتبقى أمهاتهم معهم حتى لو كن موريسكيات: أما إذا كان الأب موريسكيًا والأم مسيحية قديمة فسيُطرد الأب، ويبقى الأطفال دون السادسة مع أمهم.

- يبقى أيضًا من تلقوا القربان المقدس، وهؤلاء يتم التعرف إليهم من خلال مسؤولي القرى التي يعيشون فيها.

- يبقى أيضًا الأشخاص الذين عاشوا عامين بين مسيحيين قدامى، ولم يحضروا اجتماعات موريسكية.

- يوافق صاحب الجلالة على طلب الموريسكي الذي يفضل الرحيل إلى بلاد أخرى «عدا إسبانيا».

رسائل

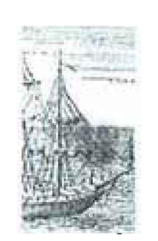
بعث ماركيز كاراثينا من بلنسية رسالة إلى صاحب الجلالة في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٦٠٩م اشتكى فيها من كثرة الجرائم التي يرتكبها قدامى المسيحيين ضد الموريسكيين في مملكة بلنسية، ويبدي استغرابه لماذا لا يثور الموريسكيون على الرغم من أن هذه الجرائم تدعو إلى الثورة.

كان قرار طرد الموريسكيين قد وجد معارضة من سادة الموريسكيين في بعض الولايات، من بينها بلدية مرسية التي وجهت رسالة إلى جلالة الملك بتاريخ ١٧ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٦٠٩م تتوسل فيها لاستثناء موريسكييها من الطرد، معللة ذلك بأنهم أصبحوا مسيحيين متدينين، وأن عددهم قليل، ولا يشكل خطرًا، كما أن وجودهم مهم لأداء أعمال معينة.

وهناك رسالة من السيد مولينا: وهو موريسكي غرناطي، كتبها من الجزائر إلى السيد خيرونيمو دي لواسيا، فارس من تروخيو، مؤرخة في يوليو/حزيران عام ١٦١١م، يحكي فيها تنقلات الموريسكيين المطرودين ومشكلاتهم إلى أن وصلوا إلى المدينة التي استقروا فيها بشكل نهائي.

وأوردت المؤلفة نص رسالة بعث بها الكونت سالاثار الذي عيّنه الملك للإشراف على عمليات طرد موريسكيي قشتالة، وقد قام الكونت بهذه المهمة خير قيام، وبعد خمسة أعوام من قرارات طرد موريسكيي قشتالة - وبعد أن انتهت مهمته - وجه سالاثار عدة نداءات إلى الملك، وإلى دوق ليرما، يحذر فيها من كثرة عدد الموريسكيين الذين يعودون إلى مواطنهم الأصلية، ويتهم المواطنين بأنهم يقابلونهم بحفاوة ويخفونهم، ويتهم الشرطة كذلك بالتستر عليهم.



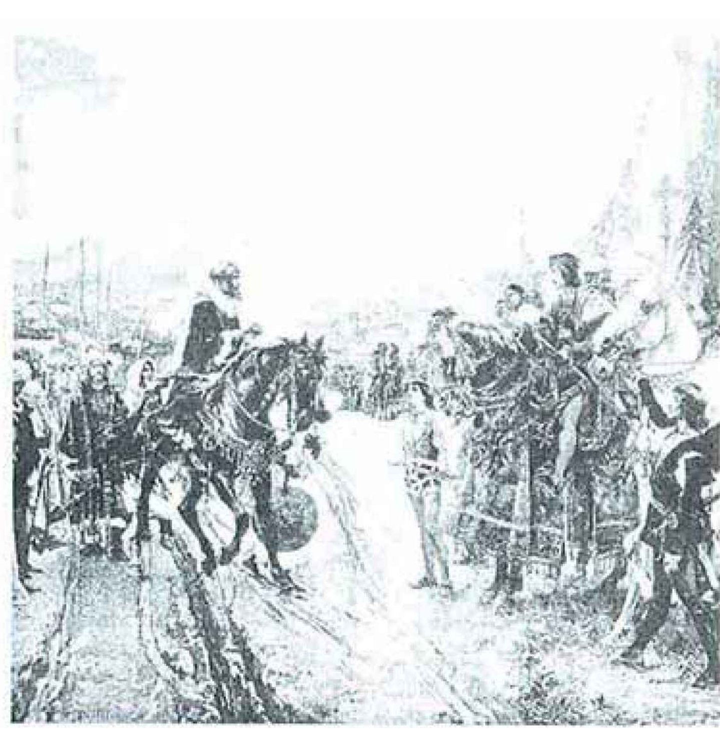


وتقدم المؤلفة نموذجًا لمحاكمة الموريسكيين بعرضها موجزًا ومقتطفات من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش ضد دييغو دياث. وهو موريسكي من قشتالة حوكم في كوينكا عام ١٦٣٠م، لأنه عاد مرتين إلى إسبانيا بعد أن طرد منها. وقد مثل دييغو دياث أمام المحكمة بعد أن اتهمه أنطونيو مالو، وزوجته، وخادمته، وشاهد آخر بما يأتي:

- عدم وضع لحم أو دهن الخنزير في الحلة، بل كان يستعمل الزيت.
- تناول اللحم في أيام صيام المسيحيين، وأيام الجمع، دون أن يكون مريضًا: لأنه يتناول السمك والتونة والسردين والجبن، وهي أشياء لا يتناولها المرضى.
- الاغتسال، وارتداء ملابس نظيفة يوم الجمعة، والنوم وهو عريان.
- استضافة موريسكيين من بايي دي ريكوتي في بيته.

وقد أنكر دييغو دياث الاتهامات التي وجهت إليه، وروى تاريخ حياته من خلال إجاباته عن أسئلة المحققين، وكان عمر دييغو دياث عند الطرد نحو ١٧ عامًا، وقد تعذب كثيرًا وهو يهاجر من بلد إلى بلد آخر، وظل فترة طويلة يبحث عن أهله الذين أخفق في العثور عليهم.

وجاءت أقوال الشهود في صالح دييغو دياث، ولكن على الرغم من ذلك، ظل ممثل النيابة يقول: إن المتهم محل شكوك لعدم وجود سوى شاهد واحد، ويجب تعريضه لتعذيب شديد. وأجريت عملية تصويت، ورأى القاضي أن دييغو دياث بريء، ويجب إطلاق سراحه، ولكن بعد تعنيف شديد.



لوحة تجسد الحرب على العرب والمسلمين

الهوامش

(١) الموريسكيون: مصطلح يعني أولئك المسلمين الذين عاشوا في إسبانيا بعد هزيمة المسلمين في شبه الجزيرة بالكامل «عام ١٤٩٢م» الذين أجبروا على اعتناق المسيحية.

(٢) الملكان الكاثوليكيان هما: فرناندو ملك أراغون وزوجته أيسابيلا ملكة قشتالة.

(٣) أبو عبدالله الصغير: هو السلطان أبو عبدالله محمد بن السلطان علي أبي الحسن بن سعد النصري، آخر ملوك الإسلام في الأندلس، ويعرف أيضًا بالملك الصغير، وبالإسبانية Rey chico تمييزًا له من عمه أبي عبدالله الزغل، أو عاثر الحظ، تنويهًا بما أصاب الإسلام على يده من الخطوب والمحن.

(٤) النص الإسباني لا يتضمن سوى القصيدة، ولكن المترجم أورد المقدمة، كما جاءت في كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» للمقري.

(٥) نقلت المؤلفة هذه الوثيقة عن كتاب بدرو لونغاس «حياة الموريسكيين الدينية»، وكانت ترجمة لونغاس مختصرة، وفضل المترجم نقل هذه الوثيقة كاملة عن كتاب محمد عبدالله عنان «دولة الإسلام في الأندلس»، وقد ذكر محمد عبدالله تاريخ هذه الفتوى بعام ١٥٠٤م، أما كتاب لونغاس الذي نقلت عنه المؤلفة فيذكر أن تاريخها عام ١٥٦٣.

(٦) لم تنقل هذه المذكرة كاملة، بل حذفت منها عبارات تتضمن انتقادات حادة للسلطات السياسية وللكنيسة، كما يقول المترجم.

(٧) الأدب الألخميادو: هو الأدب المكتوب باللغة الإسبانية أو البرتغالية أو القطالونية وبحروف عربية، كتبه موريسكيون على مدى القرون من الرابع عشر إلى السادس عشر.



عراق المستقبل

نعمان السامرائي

الرياض – السعودية

عراق المستقبل أم مستقبل العراق؟

العنوان هو الأول والمحتوى هو الثاني ... والكتاب يطرح أسئلة كبيرة، ويحاول أن يجيب عنها بشجاعة، وبلا تخوف. وأول هذه الأسئلة وأكبرها: ما مضاعفات احتلال العراق؟

ما مردود هذا الاحتلال على دول المنطقة ككل؟

الولايات المتحدة توجهت إلى العراق. فماذا تريد حقًا؟؟

دول المنطقة معنية بهذا الاحتلال. شاءت أم أبت. فكيف يمكن أن تردّ على ذلك؟

ما مستقبل العراق وجيرانه بعد سقوط صدام؟

آفاق الدراسة

خطط الكاتب لتشمل دراسته العراق وما حوله. فدرس الوضع في تركيا، وإيران، وسورية، وإسرائيل، وفلسطين، ومنطقة الخليج، لأن احتلال العراق سيؤثر في هذه المنطقة كلها، ومن ثم فهو يدرس مصير هذه الدول في البرنامج الأمريكي، الذي يعمل بجد وقوة لإعادة رسم الشرق الأوسط وتشكيله، بحيث يكون مواليًا لأمريكا وإسرائيل. وفي أضعف الأوضاع، غير معاد لإسرائيل ..

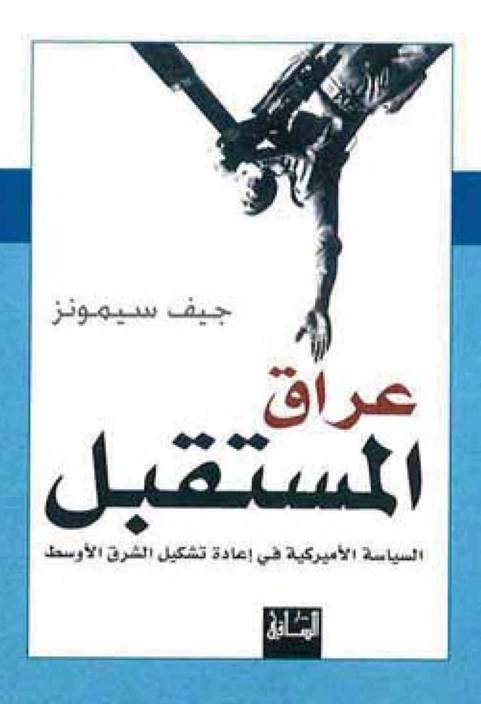
يعمل الباحث للوصول إلى جواب واضح حول: كيفية استجابة هذه الدول لما تريده أمريكا، بل تنوي فرضه بقوة.

من الأسئلة الكبرى: كيف ستكون ردود الفعل على الاحتلال الأمريكي لدى الإسلاميين عمومًا، والإسلام السياسي على وجه أخص؟

يتحول بعد ذلك للبحث في قضية القضايا: ما الدور الذي يقوم به النفط في العملية كلها؟

قديمًا كان يقال: فتش عن المرأة، أما اليوم، وفي السياسة والاقتصاد، فيقال: فتش عن النفط، خصوصًا في حكومة أمريكية فيها الكثير من السياسيين - المنفوطيين، ..

أحفظ معلومة، أحسبها للرئيس الأمريكي آيزنهاور يقول فيها: لا يمكن خوض انتخابات من دون شركات النفط، ولا الحكم بعيدًا عن تدخل شركات النفط.



عراق المستقبل
جيف سيمونز
ترجمة: سعيد العظم
بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤م، عدد الصفحات ٤٨٧ (قطع كبير).

هذه الشركات العملاقة، التي تملك الواحدة من المال ما يوازي ويعادل العشرات من ميزانيات دول في العالم الثالث، وكذلك شركات الصناعات الحربية وأمثالها.

الأمم المتحدة: الحاضر الغائب

أمريكا تحاول بكل قوة أن تجعل (الأمم المتحدة) منظمة تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، وقريب من ذلك محاولة بعض العرب أن تكون الجامعة العربية جزءًا من خارجية بلد عربي كبير. هذا ليس سرًا.

لكن أمريكا مرة تزعل على الأمم ومرة ترضى، حين تكون الحاجة لها تتذكرها أمريكا، وقد تدفع ملايين الدولارات المؤجلة، وحين تجدها ..«تحرد» تطالب بإصلاحها وتتحدث عن فساد ينتشر فيها، وهكذا بين شد وجذب، ترغيب بدفع مستحقات، أو منع هذه المستحقات، وقد تعلن أمريكا يومًا أن هيئة الأمم ـ غير المتحدة ـ أصيبت بسكتة دماغية فماتت، كما ماتت أخت لها سابقة اسمها .. عصبة الأمم، وتقبل التعازي بوزارة الخارجية الأمريكية ـ حسب الأصول ـ

الكاتب يتساءل ومثله ملايين في العالم عن سبب استبعاد وتغييب هيئة الأمم من العراق، ومثل ذلك من قضية فلسطين الكبرى؟

ثم يعقب ذلك بسؤال منطقي: ماذا يمكن لهيئة الأمم أن تفعل بالنسبة إلى العراق؟

والجواب معروف: إذا استطاعت أمريكا أن تتصرف كأي لاعب قوي، لا يحتاج إلى مشارك ستفعل، وقد فعلت ذلك في قرار الحرب على بغداد، فإن وجدت مصاعب ومتاعب تذكرت هيئة الأمم وغيرها، طالبة المعاونة ـ على استحياء ـ مع معرفة، بالحدود المسموح بها للتدخل، أو فرض وجهة نظر معين.

والذي يبدو أن المتاعب الأمريكية دفعت باتجاه الاستعانة بهيئة الأمم، وبشرط أن تعرف جيدًا ما يطلب منها، ومن حدود اللعبة، فلا تتعداها ..

مشكلة أمريكا أن بعض الدول الكبرى، مثل: الصين،



علاقة فرضتها الحرب

وروسيا، وفرنسا، وألمانيا تستمتع بالتخبط الأمريكي، وتريد أن تجعل من الأمم المتحدة وسيلة لتعليم أمريكا قواعد اللعب هنا أو هناك، والأهم أن تتجاهل الآخرين ولا تقيم لهم وزنًا كأنهم من جنس البعوض أو الذباب أو الجرذان.

ويطرح الكاتب بشجاعة تساؤلاً عن الدلالات التي يجب أن تستخلص من رغبة أمريكا في فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية على العالم .. هذه بعض الأسئلة التي يحاول الكاتب بشجاعة وإخلاص أن يجيب عنها، والقارئ إن وافقه في الإجابة أو خالفه لا يمكن أن يشك في شجاعته أولاً، وفي حسن نيته ثانيًا، فالرجل جاد، ويعرف موضوعه معرفة جيدة، فإذا كان خالي الغرض ولا يخاف، فلا يسع أحدًا إلا احترمه، وافقه في

اجتهاداته أم خالفه. إنه نوع جاد وجيد من باحثين يتصدون لسياسة بلدهم فينقدونها بقوة وعمق، بينما نجد باحثين تفرض عليهم توجهاتهم السياسية وايديولوجيتهم أن يتنكروا للحقائق الكبرى، ويعطوها تفسيرًا بعيدًا، وقديمًا قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

قرأت الكتاب فور صدور ترجمته، ونسخت بعض ما جاء فيه، مما يستحق التعليق، ولذا سأعرض بعض نماذج، وأترك للقارئ أن يحكم للكاتب أو عليه.

قنبلة جهنم في العراق



الباحث «جين» مثل أي باحث آخر، يقرأ نصًا لباحث أو سياسي يستحسنه. فينقله، ويوثقه، ومعلوم أن من يفعل ذلك دون تعليق فهو معجب بالنص. قابل له. هكذا نعلّم طلبة الدراسات العليا أيضًا. وأول نص جيد نسخة هو لجون كيزلنغ. وهو دوبلوماسي محترف استقال احتجاجًا على السياسة في أمريكا. فهو يقول: هل أصبحنا من العميان، مثلما أصبحت روسيا عمياء في الشيشان، وإسرائيل في فلسطين والأراضي المحتلة؟ هل أصبحنا عميانًا عن النصيحة التي أطلقناها نحن: بأن القوة العسكرية الساحقة ليست الرد على الإرهاب؟! (١).

أما أنا ففي رأيي المتواضع: أن القوة العسكرية الطاغية الساحقة قد تصنع الإرهاب، كرد فعل ممن يقع الذل والعذاب والظلم عليهم.

حرب بوش ليست قانونية

أستاذ القانون الأمريكي المعروف «أدفيرماج» يقول . بكل صراحة .: إن الرئيس بوش يقود هذه البلاد إلى حرب هي في أن واحد غير دستورية، وانتهاك صارخ للقانون الدولي، وهي تعتدي على حقوقنا المدنية الخاصة، وتهدد أمننا القومي، بانتهاكها معايير المنطق السليم؛ وذلك للأسباب الآتية:

- تنتهك هذه الحرب دستورنا.
- تنتهك القانون الدولي، بما فيه الكثير من المعاهدات، التي صارت جزءًا من القانون الدولي، بحكم الدستور، وكل ذلك يمنعنا من شن حرب عدوانية، إذ نحن لم نهاجم من جانب عراق «صدام» إن حرب السيد بوش تنتهك القانون الدولي، وتشكل جريمة حرب (٢).

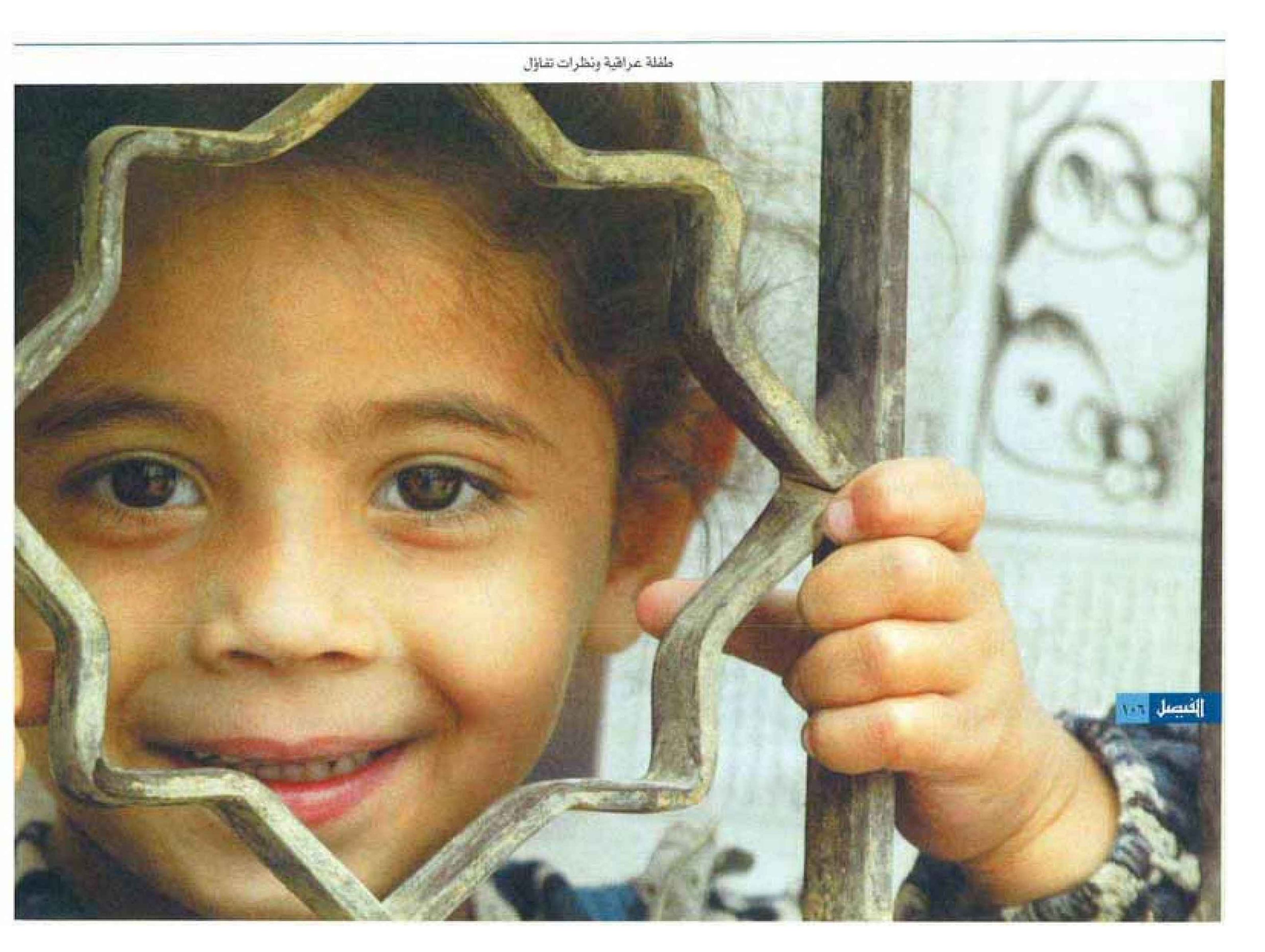
امريكا تعذب

بعد نشر (١٨٠٠) صورة لمعذبين في العراق، صارت

القضية معروفة. لكن «جيف» سبق كل ذلك ونشر عن تعذيب في أفغانستان حتى الموت. فقد نقل «جيف» عن صحفيين أن آلافًا من المعتقلين الأفغان وغيرهم، أسرهم الأمريكان في (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢م) في قلعة «زيني» قرب مدينة «مزار الشريف» الأفغانية. وهؤلاء جميعًا وضعوا داخل حاويات حديدية مغلقة. على شاحنات لنقلهم إلى الجنوب. وتحت الشمس، ولعدة أيام. وعندما راح الكثير يموت من العطش والاختناق. وراحوا يضربون بأيديهم. قام جنود الجنرال . الشيوعي . دستم بفتح نيران أسلحتهم على من في الحاويات. وحين وصلت القافلة «شبرغان» كانت الأكثرية قد فارقت الحياة. ووقف جنود أمريكان يتفرجون على إنزال الجثث. وطلبوا من جنود «دستم» سرعة التخلص منها، مخافة أن تلتقط أقمار صناعية صورًا لذلك المشهد.

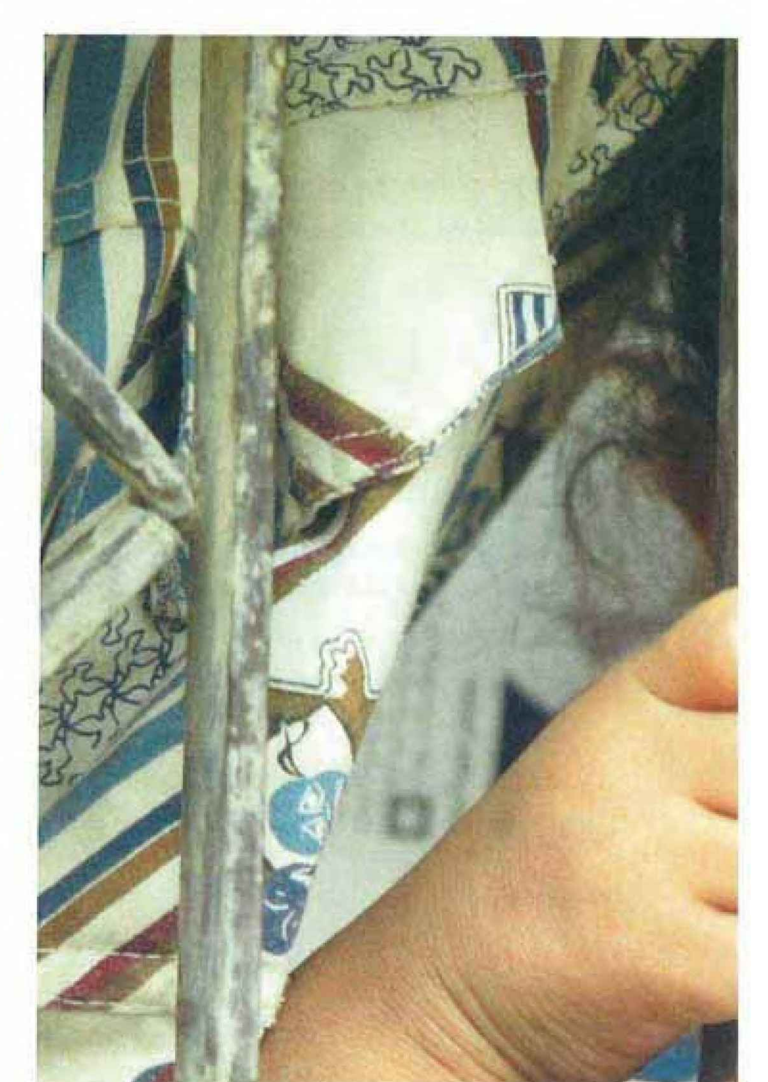
وقد أدلى شاهد من جنود التحالف لصحيفة (ذي غارديان) في ٢٥/٥/ ٢٠٠٣م بأنه رأى كيف حُمل من ظلوا أحياء من نقلوا بالحاويات. وقد شاهد نحو ٤٠ جنديًا من القوات الخاصة يلقون الأحياء في حفر ويطلقون النار عليهم (٦). يكثر «جيف» من ذكر أنواع التعذيب يلاحظ ص (٢٦٨)، و(٢٦٩)، و(٢٧٠).

طفلة عراقية ونظرات تفاؤل



قنبلة جهنم في بغداد

الحرب اليوم تشكل «تحفة» من تحف جهنم، كانت بالسيف والرمح، وتقع على المحارب الويلات، ولكنها اليوم حرب «الجبناء» جندي في طائرة أو حاملة طائرات يرسل الصواريخ، وعلى بعد آلاف الأميال، بعضها ذكي وبعضها أغبى من أصحابها، ترمى على بغداد فتسقط على إيران، ترمى على مقاتلين فتهلك قومًا في عرس، وقد كشف طيب الذكر (رامسفلد) أنهم استعملوا في حرب بغداد قنابل .. جهنم» تحرق الأوكسجين فيموت الأحياء من حيوان وإنسان ونبات في دائرة قطرها معلوم.



.. جيف يتحدث عن دبابات دخلت بغداد بعد إطلاق نحو (٨٠٠) صاروخ توماهوك مع ٢٠ ألف طلعة جوية، ألقت أكثر من (٥٠) قنبلة عنقودية، مع (١٢) ألف قذيفة ذات توجيه دقيق، واستخدمت قنابل بمزيج من الوقود والهواء تعادل قوة انفجار كل منها قوة قنبلة نووية تكتيكية (ربما كانت هذه قنبلة جهنم، وبلغت الخسائر العراقية عشرات الآلاف، مقابل (٨٨) قتيلاً للحلفاء، منهم (٢٤) قتلوا بنيران صديقة(٤).

هذا بعض ما حواه كتاب «عراق المستقبل»، وهو وثيقة عالية الجودة، لحرب أمريكية هدفها إعادة رسم المنطقة مجددًا، بالطة جديدة، بحيث تكون الكلمة الأولى فيها لأمريكا وإسرائيل، مع الاعتقاد الجازم بأن سكان المنطقة هم هنود حمر أو صفر جدد، وأن ولي أمرهم والمتحدث الأول باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، لا يريد لهم سوءًا ، هو محتاج فقط لنفطهم، وأن يتعلموا قول: نعم نعم، وينسوا المشاكسة والمعاكسة، ومن يواكح ويشاكس فمصيره من مصير صدام ـ صديق الأمس وعدو اليوم ـ .

من حق «جيف» على أمثالي أن يشكره أولاً، وأثمن جهده وشجاعته، وأدعو قومي لقراءة كتابه، عساه يسمع من في أذنه صمم، والله الموفق.



١. عراق المستقبل، ص ٢٩.

٢. المرجع السابق، ص ٢١.

٣. المرجع السابق، ص ٣٧٢.

٤. عراق المستقبل، ص ٨١.

❖ المؤلف: خبير بقضايا الشرق الأوسط، وله عدة مؤلفات مثل:

- استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية.
- ليبيا: صراع البقاء.
- جلد العراق: العقوبات القانونية والعدالة الطبيعية ... إلخ.

ترجمت هذه الكتب وغيرها إلى أكثر من عشر لغات.



وانغاري ماتاي: قنديل في الظلام

الحسن سعيد بن صالح جالو

مساكن ـ تونس

شهد العالم ومعه القارة الإفريقية أنواعًا من النضالات، وأصنافًا من المناضلين، منهم مناضلو التحرير الوطني والقوميون واليساريون والإسلاميون والقائمة تطول ... منهم من كرم بجوائز عالمية، ومنهم من ينتظر، منهم من أقصي عن الحلبة ورمي به في سلة المهملات، وهم جميعًا إن كانوا يتساوون في الحقوق والواجبات، إلا أن بعضهم ألح من بعض؛ وهذا يفسر بعض الفوارق والامتيازات التي تميز بعضهم من بعض، وتجعل بعضهم خالدين في الذاكرة الإنسانية، والآخرين على هامشها.

تسعى هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على واحدة من مناضلات القارة السمراء، ألا وهي المناضلة الكينية في شؤون البيئة والحريات، الأستاذة وانغاري ماتاي Wangari Mathai.

من هي هذه الشخصية؟ وماذا فعلت حتى تستحق جائزة نوبل للسلام(1)؟ وما هي نظرية الثالوث المقدس التي تتبناها ماتاي؟ وما هي فلسفتها على ضوء هذه النظرية؟.

كان الريف منذ البدء مخزون الأبطال والعظماء (2)

هذه المقولة لا يشذ عنها الريف الكيني الجميل، حيث تتنوع الطبيعة والإنسان والحيوان. من يزر سهل مساي مارا، ير الأسود والغزلان فرادى وأسرابا. حيث تتعانق الزرافات، والحمر الوحشية، وغيرها من الحيوانات. أما جداول الماء الرقراقة والصافية، فتسحر الزوار والنظار، وتجعلهم يمدّدون إقامتهم في هذا البلد الجميل. أما البدو من قبائل مساي مع طولهم الفارع، فيزرعون السهل أنسًا وبهاء دون أن يعكروا صفوه، أو يدنسوا بيئته، وهم أبطال تضرب بهم الأمثال في الشجاعة والرجولة، يكفي أن يافعًا منهم، لا يعترف به في صفوف الأبطال والمحاربين، إلا



عندما يواجه ليث غابات شرساً وحيداً فيصرعه، وهو مع ذلك قط أليف مع أقرانه لا يضر ولا يغدر.

في هذا الريف الجميل، وفي قرية نياري Neyeri ولدت الأستاذة وانغاري ماتاي عام ١٩٤٠م، من أبوين مزارعين من شعب كيكيو أو غيكيو البانتوي المزارع، على خلاف الشعوب الحامية الرعوية، مثل مساي، وسامبورو. كيكيو من المكونات الرئيسة للشعب الكيني، وإليه ينتمي أول رئيس لكينيا جوموكينياتا Jomo Kenyatta (٢). أنهت ماتاي دراستها الابتدائية في المنطقة كأي فتاة كينية، ووفقت بين الدراسة والأعمال المنزلية والفلاحة، وكانت تدرس في الصباح، وتجلب الماء والحطب إلى البيت في المساء. انتقلت إلى نيروبي حيث حصلت على الثانوية العامة، ومن نيروبي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فحصلت على الإجازة في علوم الأحياء من معهد آتشيسون Atchison عام ١٩٦٤م، ثم الماجستير في العلوم البيولوجية من جامعة ستراسبورغ عام ١٩٦٦م. ثم عادت إلى كينيا من جديد فسجلت رسالة الدكتوراه في العلوم البيطرية، وفي الوقت نفسه سافرت إلى ألمانيا للغرض

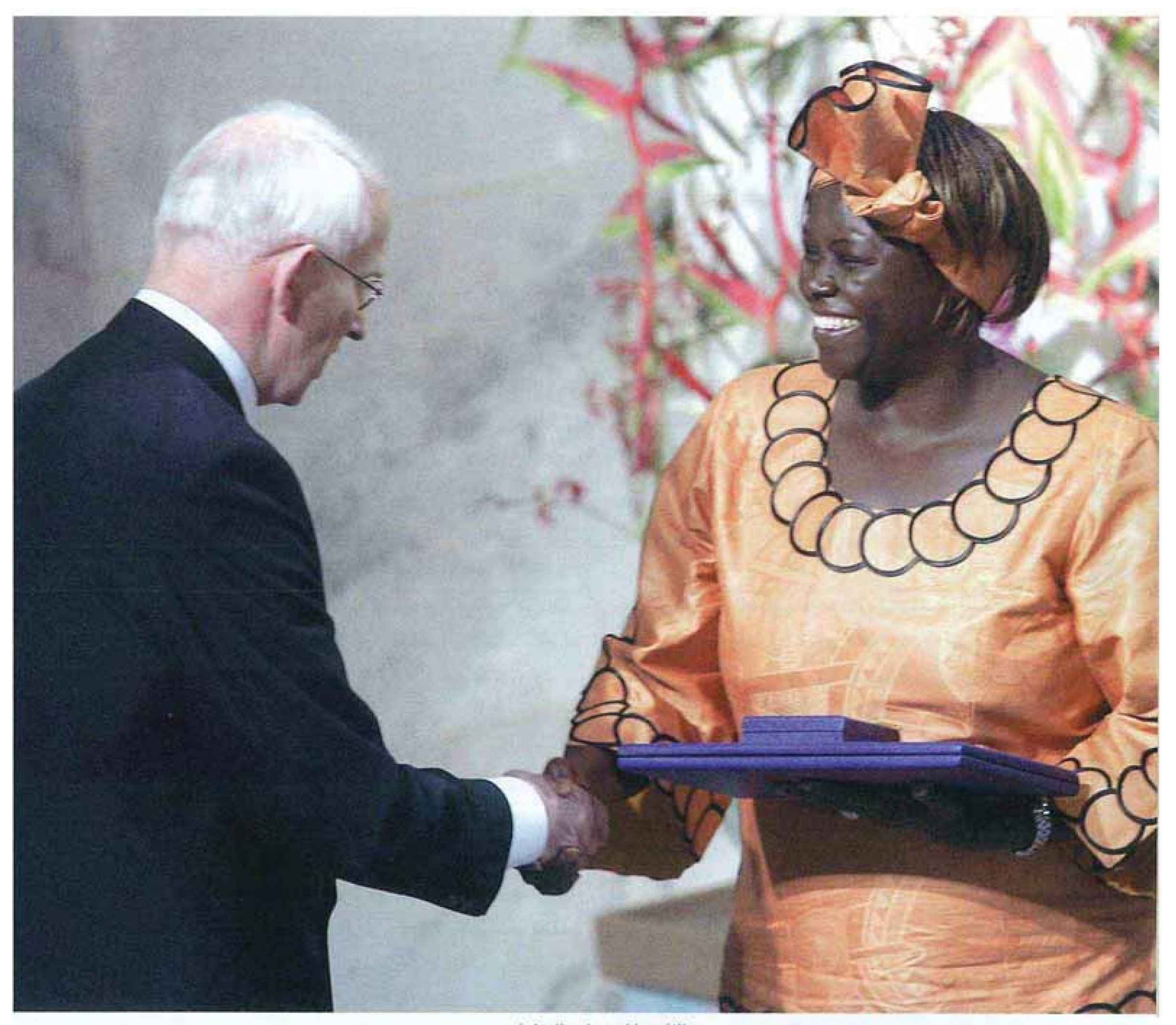
نفسه. فحصلت على الدكتوراه Ph. D عام ١٩٧١م، ودرّست في جامعة نيروبي منذ عام ١٩٧٦م (٤).

لم تكن الأستاذة وانغاري ماتاي من اللواتي أو من الذين يكتفون بالإشعاع العلمي في الجامعة، بل شمل نشاطها النضال الطلابي والنسائي، فترأست جمعية النساء الكينيات منذ عام ١٩٧٦م، واستطاعت أن توفق بين التدريس في الجامعة والعمل الاجتماعي في القرى والأرياف، واكتسبت من هذا العمل خبرة هائلة، أغنت شخصيتها السياسية والاجتماعية، إلا أنها، كما يقول المثال: «من يعرف أكثر، يشق أكثر» (سفر الجامعة:١ :١٧، ١٨) فقد وجدت وانغاري أن الفلاح الإفريقي مستغل دائمًا لا من قبل مستعمريه السابقين من الإنجليز والفرنسيين فحسب، وإنما من قبل بني جلدته من الحكام الجدد الذين يملؤون الدنيا صراخًا وعويلاً، ويعلمون الناس الوطنية في النهار، وهم أول من يكفر بها في الليل، فقد صيروا الأوطان حظائر خاصة يتقاسمون ما فيها من الخيرات هم وأولادهم ومن والاهم. القارة الإفريقية في هذه الحالة، لن تخرج من مآسيها، بل ستزداد غرقًا فيها، ليس لأنها تكره الحياة السعيدة، أو أن أولادها لا يعملون، ولكن لأن الأشرار من أبنائها اتفقوا مع الأجانب على إذلالها واستغلالها، كان هذا اليقين بمنزلة ولادة جديدة لها، ستحدث نقلة نوعية في حياة هذه الناشطة (٥).

"قل: لا، أو تموت"

بهذه العبارة لخصت الأستاذة وانغاري ماتاي فلسفتها القادمة، وذلك بعد أن رأت الفقر والأمراض المعدية تنتشر في بلادها يومًا بعد يوم، والصحراء تلتهم مزيدًا من الأرض نحو الجنوب حتى شملت قريتها التي كانت في الستينيات من القرن الماضي جنة الأرض، حتى إن كلمة الصحراء، لم تكن موجودة في لغتها الأم كيكيو، ماذا جرى في هذه المنطقة؟ إنها كارثة، فقد تحالفت شركات استغلال الغابات الغربية مع الوكلاء المحليين الذين تغلغل فيهم الفساد، كما يتغلغل السوس في الأخشاب، فتراها من الخارج لامعة وجميلة، وهي في الداخل نخرة وخاوية، وأن الأوضاع تزداد سوءًا يومًا بعد يوم؛ لأن الأطراف المتحالفة لاستغلال هذه الشعوب، لا تملك من ضميرها ما يجعلها تتراجع عن الاستغلال والتدمير، بل أمعنت في ممارساتها السيئة، فأصبحت تشعل حروبًا في المناطق الزاخرة بالثروات المعدنية؛ ليهرب منها السكان، فيسهل استغلالها بدرجة عالية، وأن الحلول المقترحة، كالاقتراض من البنوك الدولية والخوصصة والهيكلة الاقتصادية، لا تفيد السكان المحليين الذين تراهم وانغاري محكًا لأي عمل تنموي، القروض التي تعطى للدول الفقيرة (٦)، يقع تقسيمها بين الوكلاء المحليين والدوليين؛ وذلك قبل وصولها إلى البلد المستفيد، أما الخوصصة أو الخصخصة، فهي لا تعني إلا الإمعان في حرمان السكان المحليين، وإزاحتهم عن أراضيهم الخصبة؛ بدعوى الاستثمار الوهمي، ما الحل إذن؟ الجواب بالنسبة إلى وانغاري، لن يكون من الخارج

> وجدت وانغاري أن الفلاح الإفريقي مستغل دائمًا لا من قبل مستعمريه السابقين من الإنجليز والفرنسيين فحسب، وإنما من قبل بني جلدته من الحكام الجدد الذين يملؤون الدنيا صراخًا وعويلاً، ويعلمون الناس الوطنية في النهار، وهم أول من يكفر بها في الليل



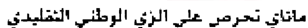
وانغاري ماثاي تتسلم جائزة نوبل

أيضًا، وهذا لا يمنع الخيرين من الأجانب أن يسهموا في البحث عن الحلول. أما المواطنون فكلهم معنيون في هذه الأزمة، ولا يعذر فيها أحد: من الأستاذ الجامعي إلى الفلاح البسيط. كلمة السر أن يقولوا كلهم: «لا» أو ما عبرت عنه: «بقل: لا أو تموت» Say No, or Die. لكن هل تعني «لا» اللجوء إلى العنف، أو حرب عصابات؟ الجواب مرة أخرى بـ «لا»؛ لأن القوى المتحالفة، لا تخاف العنف، بل أكبر هدية لها هي أن يمارس عليها العنف، لتجد مبررًا أخلاقيًا ودوليًا فترد عليك بعنف أشد! وهي لا تفقد الوسيلة إلى ذلك: السلاح والمال والتدريب والرجال متوافرون عند الشركاء المحليين والدوليين، فأنت لا تملك إلا جماهير هزيلة وبطونًا خاوية، وأدمغة فارغة من المهارات الحربية. ثم إن العدو في هذه المعركة خبيث وخطير، وماهر في

الميدان، فهو يعمل في الليل كالخفاش، ويرجع إلى قواعده في النهار بعد أن دمر كل شيء(٧) والعنف كوسيلة يسهّل له المهمة. فيقوم بذبح آلاف من القرويين الآمنين لكي ينزحوا عن أرضهم الغنية بالمعادن فيقع استغلالها. والعمل إذن لا يكون إلا عملاً سلميًا في وضح النهار بجماهير كثيفة ومصممة ومستعدة لتلقي الضرب وإطلاق النار عليها دون أن تتراجع. فيا حبذا لو اصطحبت معها الكاميرات والمراسلين الأجانب. إذا لم تنجح العملية في اليوم الأول، فلتكن في اليوم الثاني، والثالث، وهكذا دواليك، حتى تتراجع الحكومة عن المشروع غير المرغوب فيه (٨).

طبقت الأستاذة وانغاري خطتها على الواقع، فكانت تُخرج الطلبة من أقسامهم في جامعة نيروبي إلى الغابات المطرة، حيث تعمل الشركات في استغلال الغاب، فتقع عرقلتها بجيش من الطلبة والعمال والفلاحين. وهذه العملية لم تكن خالية من الأخطار، بل كانت خطيرة جدًا، فقد تعرضت وانغاري وزملاؤها لعمليات الضرب والإهانة والسجن، وفي أغلب الأحيان كانت تنقل إلى المستشفى وهي مغمى عليها نتيجة العنف البوليسي، مثلما وقع لها عام ١٩٩٩م، حين قضت شهرين في المستشفى نتيجة كسور تعرضت لها، لكنها ما إن خرجت من المستشفى حتى رجعت إلى المكان نفسه، فاضطرت الحكومة إلى سجنها في مركز الأمراض العصبية، واصفة إياها بأنها امرأة مجنونة A Mad Woman، وبعد خروجها من المركز، جيشت وانغاري جيشًا من الأعوان الذين يتقصون الحقائق في كامل البلاد بغية معرفة ما يحدث فيها، وفي عام ١٩٩٥م، أرادت الحكومة الكينية أن تبني برجًا تجاريًا عاليًا في وسط العاصمة نيروبي، وكان ذلك يستوجب قلع مساحة واسعة من الأشجار، فعارضت وانغاري هذا المشروع بشدة، لأنه قبل كل شيء ليس ذا جدوى اقتصادية، وفي المقابل سيدمر البيئة في العاصمة ومحيطها تدميرًا كاملاً. فكانت السلطة تسيج المكان في الليل وفي الصباح، يزيل أعوان البيئة كل ما وقع عمله في الليل، وكان الجو يتسم بالتوتر بين الشرطة والمواطنين قرابة عام

> وانغاي: القوى المتحالفة، لا تخاف العنف، بل أكبر هدية لها هي أن يمارس عليها العنف، لتجد مبررًا أخلاقيًا ودوليًا فترد عليك بعنف أشد! وهي لا تفقد الوسيلة إلى ذلك: السلاح والمال والتدريب والرجال



ماثاي تحرص على الزي الوطني التقليدي





وانغاري ماتاي وانحياز إلى الفقراء

كـامل: مما اضطر السلطة إلى العـدول عن هذا المشروع نهائيًا (٩).

لم تكن وانغاري امرأة مثالية بالمعنى السلبي، فهي لا تكتفي بالاحتجاجات، بل كانت تقيم مشروعات التشجير في الريف مقابل مردود مالي للفلاحين يمول من قبل المنظمات البيئية، وهكذا زرعت وانغاري ثلاثين مليون شجرة. فقد أقنعت الأطراف الدولية بأن الفلاحين، يعرفون مصالحهم وهم سيقومون بحماية البيئة، إذا حصلوا على المقابل، وإلا فلا ينجح أي مشروع في مناطقهم، هكذا تكوّن جيش من الأتباع في كامل البلاد خاصة في الريف الكيني حتى أصبح الناس يقومون بأعمال التشجير وحدهم، كما يقومون بزراعة المحصولات المعيشية عوضًا عن المحصولات التجارية Cash Crop. وهكذا استطاعت أن تبعد شبح المجاعة عن هذا البلد الإفريقي (١٠).

على الرغم من هذا الجهد العظيم، فقد بقيت الأوضاع على حالها؛ لأن السبب في شيء آخر، فما هو؟

الثالوث المقدس

بعد نضال اجتماعي طويل يمتد إلى السبعينيات من القرن الماضي، اكتشفت الأستاذة وانغاري ماتاي

كلمة السر في المآسي الإفريقية وغيرها من المناطق النامية وهي: الديمقراطية والتنمية والسلام، فهذا الثالوث مرتبط بعضه ببعض، فلا يمكن تفكيكه، بل إن أي محاولة لتفكيكه فهي إما نابعة من جهل مركب وإما من مؤامرة مبيتة، الغرض منها إبقاء هذه الشعوب في حالتها المتخلفة. إذ لا أحد يمكنه القيام بأي عمل تنموي حقيقي إذا لم يقصد به الأغلبية العظمى من الشعب. فعمل كهذا يستوجب التوعية والحكمة والأيادي النظيفة: وهذا لا يتم إلا في ظل حكومة شرعية ورشيدة، وليس في ظل دولة القمع والفساد التي تبذّر موارد الأمة، وتذل مواطنيها، هذه الأوضاع تجعل من السلام والرخاء بعيدي المنال (١١).

كما بينت وانغاري أن أسباب الصراع عبر التاريخ كانت دائمًا من أجل الموارد في نهاية المطاف، وإن وقعت تغطيتها. لوضع حد لهذه المآسي نهائيًا أو مؤقتًا، فلا بد من إقامة حكومة منتخبة انتخابًا صحيحًا من قبل الشعب الذي يقوم بمراقبتها ومحاسبتها، في حين تقوم الحكومة بإدارة موارد الدولة، بحكمة وكفاءة ولا تعرض البيئة إلى الدمار، وهكذا يعيش المواطن في أوضاع معقولة ولا تتعطل رسالته ولا يلتجئ إلى العنف والتخريب.

بناءً على كل ما ذكر، لم تعد السياسة بالنسبة إلى وانغاري فرض كفاية، وإنما فرض عين، بحيث إن أي عزوف عنها من قبل المواطن، فهو خطأ فادح، قد يقود إلى الخيانة العظمى. رسخت هذه القناعة في عقل وانغاري، فدخلت في عالم السياسة بغية تغيير الأوضاع المتردية في البلاد. وشاركت في الانتخابات البرلمانية الكينية عام ١٩٩٨م، فخسرت فيها، ليس لأنها جديرة بالخيبة، ولكن لأن الانتخابات زورت، كما كانت تزور منذ الاستقلال.

بدأت الأصوات الشامتة تعلو في الساحة، منها أن

> لم تكن وانغاري امرأة مثالية بالمعنى السلبي، فهي لا تكتفي بالاحتجاجات، بل كانت تقيم مشروعات التشجير في الريف مقابل مردود مالي للفلاحين يمول من قبل المنظمات البيئية، وهكذا زرعت وانغاري ثلاثين مليون شجرة

> كانت تُخرج الطلبة من أقسامهم في جامعة نيروبي إلى الغابات المطرة، حيث تعمل الشركات في استغلال الغاب، فتقع عرقلتها بجيش من الطلبة والعمال والفلاحين، وهذه العملية لم تكن خالية من الأخطار



سوينكا





ماتاي واهتمام بقضية تطوير قدرات المرأة

المرأة المجنونة، ليست لها الجماهير، وقد انكشفت حقيقتها أخيرًا ... كل هذا لم يزدها إلا إصرارًا وتصميمًا. استعملت خبرتها النضالية والاجتماعية في المجال السياسي، وأعلنت أنها ستترشح في الانتخابات الرئاسية القادمة في عام ٢٠٠٢م، وعلى الرئيس الحالي دانيال آراب موي أن يحترم الدستور، ولا يترشح مرة ثالثة. وهذا بالفعل ما حدث، فقد تنازل الرئيس موي لأحد أعوانه حديث السن، ظنًا منه أنه سيفوز، ويحكم وراء الكواليس، خاصة أن المعارضة ضعيفة ومشتتة. إلا أن الأستاذة وانغاري كانت لهم بالمرصاد: إذ تنازلت عن ترشحها لأحد زعماء المعارضة، وجمعت كل الأحزاب المعارضة في كتلة واحدة، وبرنامج موحد؛ لمواجهة حزب السلطة، فكان لهم الفوز عام ٢٠٠٢م، فعينت في وزارة البيئة، إضافة إلى كونها نائبة في البرلمان حصلت على ٩٨٪ من الأصوات في دائرتها. وهي اليوم تشارك في رسم سياسات حكيمة في الدولة، فلم تخن جماهيرها حتى الآن، ومن هذه السياسات - مثلاً - محاربة الفساد والمفسدين بلا هوادة، وجعل التعليم حقًا للجميع، حتى أولئك الأطفال الذين انقطعوا عن الدراسة لظروف خارجة عن إرادتهم، لهم الحق أن يرجعوا إلى مقاعد

الدراسة، إضافة إلى البرامج الاجتماعية والثقافية، مثل: محو الأمية، وغيرها من البرامج. هذا النضال المشرف، والإصرار العنيد، وراءهما فلسفة عظيمة، وثقافة متينة سنتعرض لهما فيما بقي من هذا الموضوع (١٢).

فلسفة وانغاري ماتاي

من يراقب هذه المرأة الكينيــــة، التي لا تفـــارق الابتسامة اللطيفة محياها، كما لا يفارقها اللباس الإفريقي التقليدي البسيط، يجدها شخصية غنية، جمعت بين البساطة والعمق، اللذين قلما يجمعهما شخص واحد في جيل مـا، فـهي - بالإضـافـة إلى جذورها الإفريقية العميقة - مسيحية مؤمنة، وظفت معـرفتهـا الدينية والأسـاطير الإفـريقيـة في بناء فلسفتها البيئية.

سألتْ في إحدى المقابلات التلفازية عن الحكمة في خلق الإنسان يوم الجمعة، اليوم الأخير في الخلق حسب التوراة، (التكوين ١:١-٣١)؟ فأجـابهـا المحـاور: «هذه مشيئته تعالى يخلق ما يريد وقتما يريد». فقالت له: «بل دورنا كبشر أن نبحث عن الحكمة في خلق الله».

إن عدم خلق الإنسان في اليوم الأول أو الثاني، هو أنه كان سيموت في اليوم الموالي لعدم وجود مقومات أرضية يعتمد عليها، لذلك انتظر الله تعالى حتى فرغ من خلق البيئة، فخلق الإنسان في بيئة مناسبة: من ماء وهواء وحيوان ونبات ... خلقه فاستخلفه على كل ما خلق من قبله. وهنا دلالة واضحة على أن الإنسان قمين باحترام البيئة؛ لأنها الرحم التي حضنته أول ما خلق (١٣). وما زالت تحتضنه، فيوم دمرها، دمر نفسه معها.

هذا مـا تقـوله الأسطورة الإفـريقـيـة عن الخلق، فـعند شعب يروبا Yoruba في غـرب إفـريقـيـة تقـول أسطورتهم: «في البـداية كـان كل شيء متـوافـرًا لدى الإنسـان؛ لأن السمـاء كـانت قـريبـة من الأرض، كـان يكفي للإنسان هو وأولاده أن يمدوا أيديهم، فيأخذوا ما يريدون من فاكهة وثمار، إلا أنهم على مرّ الأيام، استولى عليهم الجشع، فأصبحوا يأخذون أكثر مما يحتـاجـون، فكدسـوا الثمـار على الأرض فـتـعـفنت، وغضبت عليهم السماء، وذهبت بعيدة وهي تبكي، فلم

ماتاي تغرس شجرة



يجدوا ما يأكلون. حتى اهتدى أحد حكمائهم إلى معالجة دموع السماء (المطر) فكانت الزراعة»[11].

نلاحظ من هذه الأسطورة فهمًا بيئيًا عميقًا، وهو عكس ما تقوله بعض الأوساط، من أن على الإنسان أن يسيطر على بيئته، فهذه الأسطورة ترى أن على الإنسان أن يفهم بيئته، ويتكامل معها في حالة تكافلية مستمرة.

الأستاذة وانغاري ماتاي من الشخصيات القلائل التي فهمت هذه العلاقة التي تربط البيئة بكل من الديمقراطية والتنمية والسلام، ثم إن قولها: «الصراعات مهما تنوعت واختلفت فهي تدور حول الموارد، وأنها عامل تدمير لها، وليس عامل بناء، أو محافظة عليها، وأن فهما بيئيًا صحيحًا، قد يعين الناس على التفاهم والمحافظة على مواردهم، قول جدير بالدراسة والتأمل.

تلك هي وانغاري ماتاي المرأة التي قصرت حياتها، منذ عام ١٩٧٦م، على النضال من أجل الحرية والديمقراطية والحياة الكريمة التي لا تتناقض مع البيئة، وإنما تتكافل معها.

ألا يغني هذا الزخم النضالي العظيم عن التساؤل حول جدارتها لنيل جائزة نوبل؟ الجواب في رأيي بنعم. إذ من ينظر إلى هذه الجائزة وسياساتها نحو الأمن والسلم الدوليين، يلاحظ أنها تقترب أكثر فأكثر إلى الأوساط البيئية والنسائية والديمقراطية، فجوائز السلام الثلاث الماضية، أسندت إلى الأوساط المذكورة: جيمي كارتر Jimmy Carter ، رئيس أمريكا الأسبق، وسيرين عبادي ، الداعية لحقوق الإنسان الإيرانية، ووانغاري ماتاي هذا العام. كما أننا يمكن أن نذكر أن الأستاذة ماتاي كرمت بجوائز عالمية كثيرة قبل جائزة نوبل. منها: جائزة سوفي Sophy عام ٢٠٠٤م، وجائزة بيتراكيلي للبيئة عام ٢٠٠٤م، وجائزة إسترلينغ مورلون عام ٢٠٠٤م، وجائزة وانغو Wango عام ٢٠٠٣م، وغيرها من الجوائز، إضافة إلى ترشيحها لنادي مئة شخصية القرن من حيث الشهرة.

السؤال هو: إلى أي مدى يمكن للأستاذة وانغاري أن تؤثر في القارة السمراء التي يذهب أغلب المراقبين اليوم إلى أن حالة بعض دولها ميؤوس منها؟

المراجع

١- لم يكن حظ القارة الإفريقية من جائزة نوبل حظًا وافرًا، إذ لم يحصل عليها من أبنائها سوى اثني عشر رجلاً وامرأة، وهم على النحو التالي: في العلوم واحد وهو: ماكس تيلر Max Theiler من جنوب إفريقية عام ١٩٥١م، وفي الآداب أربعة وهم: وولي سوينكا Wole Soyinka من نيجيريا عام ١٩٨٦م، ونجيب محفوظ من مصر عام ١٩٨٨م، ونادين غورديمر Nadine Gordimer من جنوب إفريقية عام ١٩٩١م، وج.م. كوتزي J. M. Coetzy من جنوب إفريقية عام ٢٠٠٣م، أما السلام فسبعة وهم: ألبرت ج. لو تولي Albert J. Lutuli من جنوب افريقية عام ١٩٦٠م، ومحمد أنور السادات رئيس مصر الأسبق عام ١٩٧٨م، والقس الأنجلكاني ديسموند توتو Desmond Tutu من جنوب افريقية عام ١٩٨٤م، ونلسون منديلا Nelson Mandela ومواطنه فريديريك ديكلارك F. de Klark عام ١٩٩٣م، وكوفي عنان Kofi Annan عام ٢٠٠١م، من غانا، وأخيرًا وانغاري ماتاي Wangari Mathai . Ogiek. Org: Nobel Prize.

2- New African Year Book. London: IC. Magazines, 1979. pp. 173-187

3- Jomo Kenyatta. Aupied Du Mont Kenya. Paris. Maspero. 1960. pp.25-29

4- Ogiek. Org/Nobel Prize.

5- C N N: Nobel Laureate .08/12/2004

6- B B C World: Panorama. 13/12 2004

7- Ernest Waituli. A Nasty Day, a Magazine of African Student Union, Ohio University, 14/12/2004. pp.7-11

8- Ibid. pp.910

9- B B C World: Opcit.

10- C N N. Opcit

11- Ibid.

12- B B c News.com. Africa: Environment.

13- B B C World: Opcit.

14- Geoffrey Parrinder. African Mythology. Hong Kong: Chancellor Press. 1996. pp.19-56

الرد على ادعاءات «قيس ظبيان» وافتراءاته

قرأت في مجلة الفيصل الغراء العدد (٣٤٦) باب «رسائلكم» تعليقًا منشورًا لشخص يدعى قيس محمد تيسير ظبيان على موضوعنا المعنون: «كهف منطقة سحاب في الأردن هل هو الكهف المذكور في القرآن الكريم» والمنشور في العدد رقم (٣٤٤) من المجلة.

ولقد اندهشت من كم الادعاءات والافتراءات التي وردت في التعليق، والتي لم تستند إلى أي دليل، سوى القول بأن الموضوع مقتبس في معظمه من كتاب والده الصادر عن دار الاعتصام في مصر عام ١٩٧٨م، ولم يذكر لنا تحديدًا ما هي الفقرات أو الجمل المقتبسة وموقعها بصورة محددة من الكتاب المذكور، في أي صفحة أو فقرة أو سطر، وخاصة أنه لم يرسل إلى المجلة نسخة من هذا الكتاب ليدلل على صدق كلامه، مع العلم بأنني لم أر أو أسمع عن هذا الكتاب من قبل.

ثم يتمادى الأخ بجراءة غريبة مدعيًا أنني لم أذكر أي مرجع أو مصدر لمعلوماتي سوى بعض التفاسير، متجاهلاً عن عمد أنني ذكرت سبع مراجع ومصادر في نهاية مقالي، فلا أعرف من أين أتته الشجاعة والجرأة ليقول ذلك الرأي الغريب في حين أنه بالرجوع إلى المقال المنشور يمكن بسهولة كشف عدم صدق كلامه.

ثم تأتي الطامة الكبرى بادعائه بأن والده «محمد تيسير ظبيان» هو مكتشف الكهف عام ١٩٥٠م، دون أن يقدم أي دليل رسمي يؤكد ادعاءه، سوى الكتاب الذي قام والده بتأليفه عام ١٩٨٧م أي بعد ٣٧ عامًا من اكتشافه الكهف على حد قوله، وأنا لا أعرف ما الذي جعل والده ينتظر أكثر من ربع قرن ليعلن للعالم أجمع هذا الاكتشاف المهم؟.

والرد على السؤال بسيط جدًا وهو ما أوردته في مقالي بأن المكتشف الحقيقي للكهف المذكور هو الأستاذ/ رفيق وفا الدجاني - رحمه الله - وتحديدًا في عام ١٩٦٣م، وذلك وفقًا للمصادر والمراجع التالية، بل ووفقًا لدائرة الآثار العامة بالأردن، وسوف أوضح ذلك فيما يلي موثقًا بالأدلة والمستندات:

أولاً: قامت جريدة اللواء الإسلامي بمصر في عام ١٩٨٣م (عددا ٥٦و٥٧) بإجراء استطلاع وتحقيق ميداني تحت عنوان «الكهف وأهل الكهف وجبل الرقيم» للأستاذ الصحفي محمود بيومي، وقد أورد هذا التحقيق فيما أورد آراء بعض أهم المؤرخين والأثريين الأردنيين حول اكتشاف كهف أهل الكهف، وقد كان بالطبع من بينهم مكتشف الكهف الأستاذ/ رفيق وفا الدجاني (مرفق صورة ضوئية تحت عنوان مستند رقم ١٠)

ثانيًا: قام الأستاذ مظهر سليمان بنشر استطلاع وتحقيق ميداني بمجلة «العربي» الكويتية عدد (٣٦٧) الموافق يونيو / حزيران من عام ١٩٨٩م تحت عنوان «آخر أيام البادية الأردنية»، وقد ورد في الصفحة ١٤٧ العمود الأيمن بدءًا من السطر الحادي عشر للنص التالي: «قال لنا عالم الآثار الذي صحبنا آن اكتشاف الكهف وتحقيق المكان قام به الأثري رفيق وفا الدجاني المساعد الفني لمدير الآثار، حيث ابتدأ الحفر في ١٠ يونيو عام ١٩٦٣م،

وانتهى منه في ٣١ أغسطس في العام نفسه، وقد سجل ذلك التاريخ على لوحة ثبتت عند الجدار الأيمن».. (مرفق صورة ضوئية تحت عنوان مستند رقم «٢»).

ثالثاً: قام الأستاذ حيدر مؤمن (وهو أردني الجنسية) بنشر دراسة قيمة في مجلة «منار الإسلام» بدولة الإمارات، العدد (٦) سبتمبر ١٩٩٩م، تحت عنوان: «كهف الرجيب في عمان هل هو لأصحاب الكهف؟» (ص ٣٨ - ٤٣). وقد ورد في الصفحة رقم ٤٢ العمود الثاني بدءاً من السطر التاسع عشر النص التالي: «يذكر الباحثون، ولا سيما مكتشفو كهف الرجيب في عمان العديد من الأدلة على كون «الرجيب» هو كهف أهل الكهف، وفي مقدمة هؤلاء المرحوم/رفيق وفا الدجاني الذي اكتشف الكهف عام ١٩٦٣م، والذي ألف كتاباً تحت عنوان: «اكتشاف كهف أهل الكهف»، (مرفق صورة ضوئية تحت عنوان مستند «٣»).

رابعاً: وأخيراً فإن الدليل الرسمي والدامغ الذي يكشف عدم صدق ادعاءات «قيس ظبيان»، أنه عند زيارتي لموقع الكهف عام ٢٠٠٣م لإجراء دراسة ميدانية وشمسية على الكهف لإثبات الآية القرآنية التي وردت في سورة الكهف، حصلت من الموظف التابع لدائرة الآثار العامة الأردنية والمنوط به استقبال الزوار على ورقة عليها الشعار الخاص بدائرة الآثار العامة، وبها نبذة باللغتين العربية والإنجليزية ورسم المسقط الأفقي للكهف، وبها توضيح موجز لتاريخ الكهف، ووصف مختصر له، وفي آخر سطرين ما يلي: «.. هذا وقد قامت دائرة الآثار العامة بحفريات أثرية في الموقع عام ١٩٦٣م بإشراف المرحوم رفيق وفا الدجاني»، (مرفق صورة ضوئية تحت عنوان مستند رقم «٤»).

إن الأدلة والمستندات العلمية والرسمية السابقة تفضح كذب الافتراءات والادعاءات التي أوردها المدعو «قيس ظبيان» في تعليقه على مقالنا هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنها تعرضه للمساءلة القانونية سواء من جهتي أو من جهة دائرة الآثار العامة بالأردن؛ لأنها كلها محض كذب وافتراء، وفيها محاولة واضحة منه لتزوير الحقائق وتغييرها، ونسب جهد العلماء والباحثين إلى والده دون وجه حق.

وأخيراً فإنني أهيب بهيئة تحرير مجلة الفيصل التي نعتز بها جميعاً ألا تقوم بنشر مثل هذه النوعية من رسائل بعض ضعاف النفوس، الذين لا هم لهم إلا تشويه سمعة الباحثين الجادين، والكتّاب المتميزين الذين ينشرون خلاصة علمهم وجهدهم في مجلة الفيصل، وغيرها من المجلات الأخرى المعروفة، خاصة أن هؤلاء المدعين لا يقدمون أي دليل علمي أو مستند رسمي يدلل على صدق أقوالهم، وذلك مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» صدق الله العظيم، ونحن على ذلك من الشاهدين.

نرجو من سيادتكم نشر رسالتي كاملة إعمالاً لرد الحق، مع احتفاظي باتخاذ الإجراءات القانونية كافة تجاه المدعو «قيس محمد تيسير ظبيان» نتيجة لما أصابني من أضرار معنوية وأدبية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

دكتور مهندس

يحيى حسن وزيري

خبير العمارة الإسلامية

محاضر بكلية الآثار - جامعة القاهرة

* أورد الكاتب صوراً للمستندات التي اعتمد عليها، ولم نتمكن من نشرها لعدم وضوحها

اختر رفاهيتك المنزلية

من وجبات مميزة إلى وسائل ترفيهية سمعية ومرئية في كنف ضيافة عربية أصيلة
نقدمها لك على مقاعد وثيرة ... لن تشعر بالفرق بين خدمتنا على أسطولنا الحديث وبين رفاهيتك المنزلية.

عالم جديد من الاختيارات

SAUDI ARABIAN AIRLINES  الخطوط الجوية العربية السعودية

www.saudiairlines.com



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤٦) ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو - يونيو ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: مبارك عبدالحميد مبارك. القاهرة. مصر.
الفائز الثاني: أمجد غازي الكحلوني. دمشق. سورية.
الفائز الثالث: مريم علي محمد. تريم. اليمن.
الفائز الرابع: سناء ناصر سليمان. الجهراء. الكويت.
الفائز الخامس: محمد رضا الأسكافي. المنامة. البحرين.
الفائز السادس: أحمد حبيب سلطان. الدوحة. قطر.
الفائز السابع: منال خيري عمر. إربد. الأردن.
الفائز الثامن: اليعقوبي عائشة. تمارة. المغرب.

حل مسابقة العدد (٣٤٦)

١- عالم فلكي عربي من آثاره كتاب «جداول السَّمت» هو ابن يونس علي بن عبدالرحمن (توفي عام ١٠٠٩م).
٢- «الشاهنامه» ملحمة فارسية شهيرة مؤلفها هو الفردوسي.
٣- مؤلف رواية «طبل الصفيح» هو الروائي الألماني غونتر غراس.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٩)
أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) مستشرق بريطاني، ترجم كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى الإنجليزية؟ اذكر اسم هذا المستشرق؟
(٢) طبيب ورياضي وعالم فلك عربي، من آثاره كتاب «الذخيرة في علم الطب» اذكر اسم هذا الطبيب؟
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس أوسع معجم لغوي عربي، ما اسم مؤلف هذا المعجم؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الراي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوما من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- ان يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملا داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الاجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الاول. وقرعة اخرى للفائز الثاني. ثم قرعة للفائز الثالث. وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة. وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



الملف الثقافي

- رحيل البيطار و مستجاب والعروسي
- وعد بلفور في المزاد
- حلب عاصمة للثقافة الإسلامية
- أعمال ترانسترومر في أمسية شعرية

•• خاتمة المطاف: عاصم البيطار: وداع عالم



سويسرا تحتفي بباول

شهدت العاصمة السويسرية في الشهر الماضي افتتاح أول مركز يضم جميع أعمال الفنان التشكيلي الألماني السويسري الراحل باول كلي (١٨٧٩-١٩٤٠م). ويضم المركز، الذي جاء تحت اسم «مركز باول كلي»، أكثر من ٤٠٠٠ عمل من أعمال هذا الفنان المتنازع عليه بين سويسرا وألمانيا.

وكان كلي قد اكتسب شهرته من خلال مرحلتين مهمتين في حياته: المرحلة الأولى هي التي تمكن فيها من تقديم أسلوب جديد في التعامل مع المناظر الطبيعية المحيطة به من خلال تشكيلات مختلفة الألوان، على مواد متنوعة، مثل الزجاج ومزيج من الورق والنسيج في أثناء فترة شبابه في سويسرا. وقد تمكن خلال هذه المرحلة من صقل موهبته بالدراسة في ميونخ، وإيطاليا، وباريس، قبل أن يعمل أستاذًا للفنون في ألمانيا، التي بقي فيها حتى عام ١٩٣٢م، ثم فرّ من النازية إلى سويسرا حيث عاش فيها حتى وفاته.

أما النقلة الفنية الثانية في حياة هذا الفنان، فجاءت بعد رحلته إلى تونس عام (١٩١٣-١٩١٤م) التي فتحت أمامه أفقًا جديدًا للتعامل مع الأضواء والألوان، كما قال عنها في يومياته. ومن أشهر لوحاته التي رسمها في تلك الرحلة: «سان غيرمان- تونس»، و«على أبواب القيروان»، و«حديقة تونسية». ثم رحلة القاهرة عام ١٩٢٨م التي عايش فيها مزيجًا من الفنون الفرعونية، والقبطية، والإسلامية.

ولد كيلي في سويسرا لأب ألماني وأم سويسرية، لكنه على الرغم من ذلك لم يحصل على الجنسية السويسرية إلا بعد وفاته، بينما عدّه الألمان ألمانيًا، مستشهدين بأن تعليمه الفني في ميونخ، ونجاحه الأكاديمي سطع وانتشر في ألمانيا، ولولا قدوم النازية إلى الحكم في ألمانيا لبقي فيها حتى وفاته.

تكريم عفيفي مطر

شهد أتيليه القاهرة الشهر الماضي احتفال المثقفين في مصر والعالم العربي بسبعينية الشاعر المصري محمد عفيفي مطر الذي يعدّ واحدًا من البارزين المؤثرين في مسيرة الشعر العربي الحديث منذ خمسينيات القرن الماضي. وتحدث في الاحتفال الناقد المغربي محمد برادة الذي أشار إلى قدرة مطر الخاصة التي تنطلق من الأرض التي تملأ الشعر بأسئلة الوجود، وعدّ الناقد محمد عبدالمطلب أن شعر عفيفي هو منزل الشاعر الذي بناه من ١٤ غرفة في إشارة إلى دواوينه الأربعة عشر، وتناول حلمي سالم موقف جيل السبعينيات، من الشاعر الذي تعلموا منه في البداية، ولما قوي عودهم رموه، ولكنه الآن عدّ ذلك طيش الأبناء، وربما من حقهم هذا الطيش تجاه الآباء.

كذلك شهد الاحتفالية الشاعران العراقيان أمجد سعيد، وسامي مهدي، بالإضافة إلى النقاد والشعراء المصريين الذين أسهموا بنصيب وافر في الاحتفال، منهم: سعيد الكفراوي، والناقدة فريال غزول التي لم تتمكن من قراءة الورقة التي أعدتها لهذه المناسبة، لضيق الوقت، وكثرة المتحدثين.

واستغرق بناء المركز، الذي أبدع المعماري الإيطالي الشهير رينزو بيانو في تصميمه، ثلاث سنوات كاملة، وجرت مفاوضات مضنية بين ورثة الفنان الراحل وإدارة مقاطعة برن ومدينتها بخصوص ملكية اللوحات الفنية، انتهت بالاتفاق على بقاء اللوحات ملكًا للورثة، ولكن في حالة استعارة دائمة للمركز.

والجدير بالذكر أن الحكومة السويسرية لم تساهم بالمال اللازم في تدشين هذا الصرح، الذي تبرع الجراح السويسري المشهور موريس مولر بأكثر من نصف تكاليفه، التي فاقت مئة مليون دولار.

انتحار مثقف

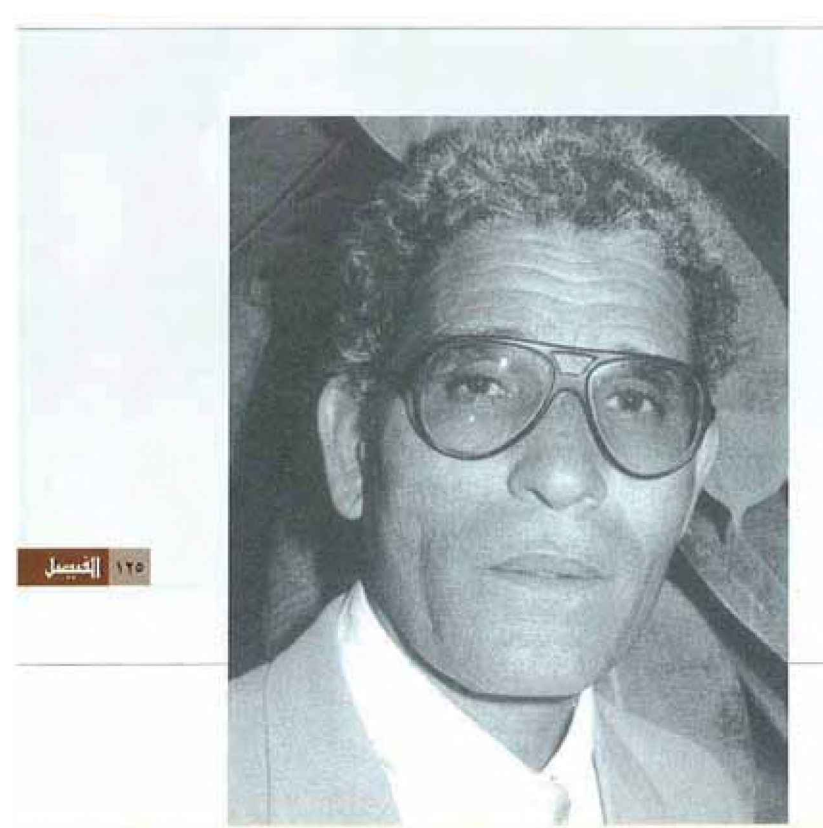
أعلنت شرطة لانكاستر أن الكاتب الأمريكي تريستان إيغولف توفي في الشهر الماضي منتحرًا بإطلاق النار على نفسه.

وإيغولف هو ناشط سياسي لم يتجاوز عمره ٣٣عامًا، وكان قد نشر أول رواية له بعنوان «لورد بارنيبارد» عندما كان عمره ٢٧ عامًا، وذاع صيته بعد أن قارنه النقاد بكل من ويليام فولكنر، وجون ستاينبك، وتدور أحداث هذه الرواية حول قصة صبي مزارع في كنتاكي، وكانت ٧٠ دارًا للنشر في أمريكا قد رفضت نشر هذه الرواية، ثم أصدر إيغولف بعد ذلك رواية أخرى بعنوان «قصة حب» عام ٢٠٠٢م، ورواية ثالثة قرر لها أن تصدر العام القادم.

وقال الطبيب النفسي للعائلة: إنه كان قد بدأت على إيغولف في فترة الـ ١٨ شهرًا الماضية بوادر انهيار عصبي، وكانت الشرطة أوقفت الكاتب، ورفاقًا له، بعدما عبّروا عن احتجاجهم على فضيحة سجن أبي غريب العراقي، مستغلين زيارة الرئيس الأمريكي جورج بوش لبنسلفانيا، فخلعوا ملابسهم، وشكّلوا بأجسادهم هرمًا بشريًا مماثلا للصورة التي نشرت عن تعذيب السجناء في ذاك السجن.

وقد ألقى مطر عددًا من قصائده في الاحتفالية.

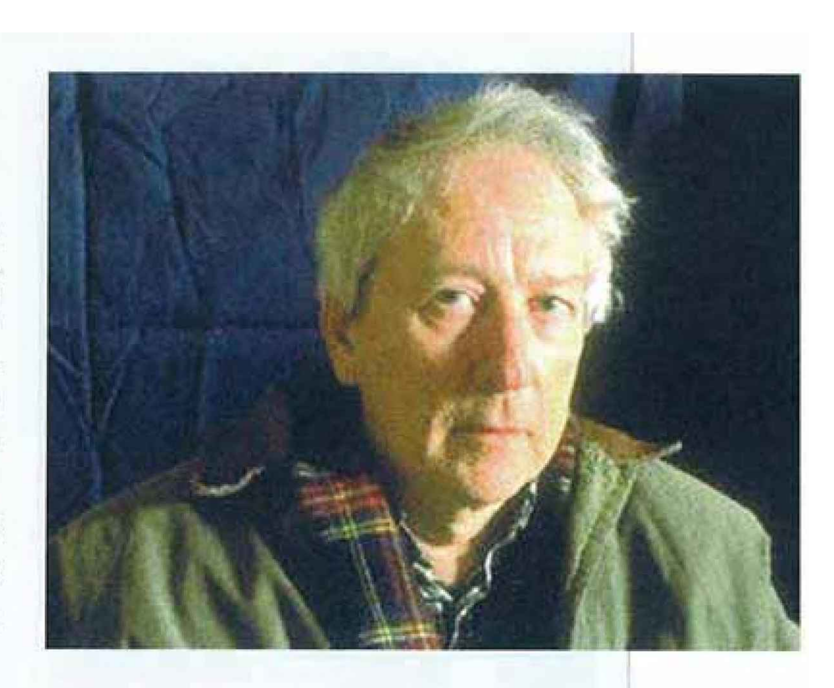
الجدير بالذكر أن الشاعر مطر، المولود عام ١٩٣٥م، له عدد كبير من الآثار الشعرية والنثرية، فله من الدواوين: «يتحدث الطمي»، و«رباعية الفرح»، و«احتفالية المومياء المتوحشة»، و«إيقاعات فاصلة النمل»، وغيرها، وله عدد من كتب الأطفال بعنوان «مسامرات للأطفال كي لا يناموا»، بالإضافة إلى كتاب عن الشاعر المصري محمود سامي البارودي «الشاعر الفارس»، وكتاب آخر عن «قصيدة الحرب في الشعر العربي»، وعدد آخر من الكتب المترجمة.



رحيل عاصم البيطار

توفي في دمشق في ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ (الموافق ٢٠٠٥/٦/٢٣م) زميلنا الأستاذ عاصم بن محمد بهجة البيطار عن عمر يناهز ٧٨ عامًا قضاها في رحاب اللغة العربية، معلمًا، ومؤلفًا، ومصححًا ومدققًا، في داخل سورية وخارجها، فقد تنقل - رحمه الله - في أكثر من عاصمة عربية، منها دولة قطر عام ١٩٥٩م التي عمل فيها مفتشًا للغة العربية، كما عمل أستاذًا للنحو والصرف في كلية اللغة العربية في الرياض في الأعوام من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٨م، ودرّس النحو والصرف في قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الأعوام من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٤م، ثم انتقل بعدها للعمل في مجلة (الفيصل) عام ١٩٩٤م، وبقي فيها ما يقارب عشر سنوات، إلى أن غادرها عائدًا إلى سورية عام ٢٠٠٣م بسبب تقدمه في العمر، وبسبب بعض الكتب التي كان ينوي أن ينتهي من تحقيقها، وقد سعت المعاهد الشرعية في سورية للتعاقد معه لتدريس مادة النحو والصرف لطلابها فور وصوله إلى سورية، وكذلك أصدر رئيس الجمهورية السورية بشار الأسد مرسومًا بتعيينه عضوًا في مجمع اللغة العربية، وأقيم احتفال خاص بهذه المناسبة أشاد فيه الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بالأستاذ عاصم، ونوّه بمكانته العلمية، وعدّد الكتب التي قام بتأليفها.

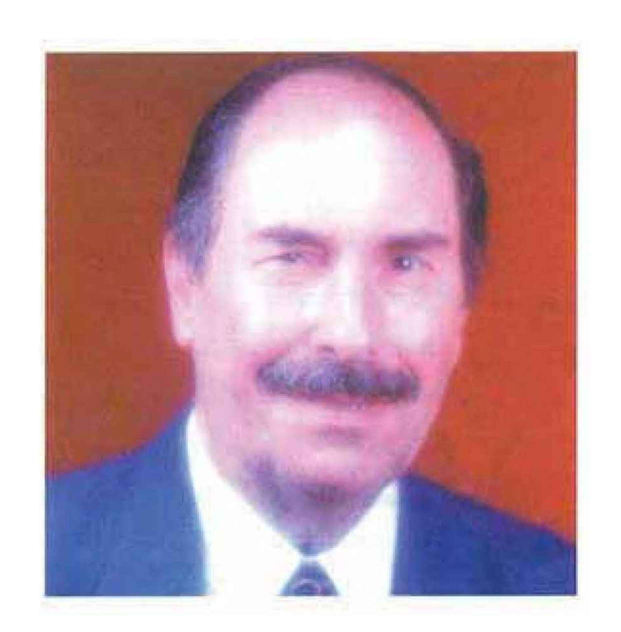
ولد الأستاذ عاصم البيطار في دمشق عام ١٩٢٧م في أسرة عُرفت بالعلم، واشتهرت به، ودرس في مدارس دمشق الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ولحق بوالده في المملكة العربية السعودية، حيث درس عامين في دار التوحيد في الطائف من الفترة من (١٩٤٤ - ١٩٤٦م)، ورجع إلى دمشق، وأكمل دراسته الجامعية، وحصل على الإجازة في اللغة



أعمال ترانسترومر في أمسية شعرية

صدرت عن دار «بدايات» السورية الترجمة الكاملة لأعمال الشاعر السويدي المشهور توماس ترانسترومر بتوقيع قاسم حمادي، وتحت إشراف الشاعر العربي أدونيس، وقد شهدت مدينة دمشق بهذه المناسبة أمسية شعرية أمّها جمع غفير، جاء ليستمع إلى قصائد الشاعر السويدي توماس ترانسترومر المترجمة إلى العربية بصوت الشاعر أدونيس.

وألقى أدونيس كلمة مؤثرة قبل إلقاء القصائد، عبّر فيها عن سعادته بأن تترجم قصائد الشاعر السويدي توماس ترانسترومر إلى العربية بعد أن ترجمت من قبل إلى أكثر من خمسين لغة.



العربية من جامعة دمشق عام ١٩٥٢م، ودبلوم التربية، وأهلية التعليم الثانوي في العام نفسه.

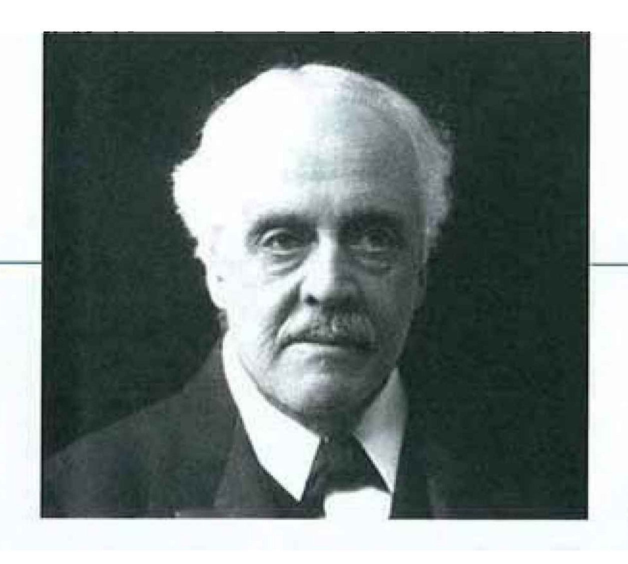
وترك الراحل عددًا من المؤلفات القيمة منها: «النحو والصرف»: كتاب جامعي يدرس في جامعتي دمشق وحمص، و«أضواء على شرح ابن عقيل» (٣ أجزاء)، و«التسهيل»، و«الدليل»، و«المنهج الجديد» كتب مدرسية للمرحلة الثانوية، و«فهارس شرح المفصل لابن يعيش»، و«موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي - تقديم وتحقيق»، و«الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في شرح الأربعين العجلونية في الحديث للقاسمي - تقديم وتحقيق»، وله دراسات مختلفة منشورة. وحضر بعض المؤتمرات العلمية، ومن بينها دورة النحو والصرف التي عقدت في دمشق في عام ١٩٩٤م، وتم تكريمه فيها مع الأستاذ سعيد الأفغاني، والدكتور مازن المبارك.

ولد توماس ترانسترومر في مدينة أستوكهولم، ودرس الأدب، وتاريخ الأديان، وقد تعرض لجلطة دماغية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي، تسببت في إقعاده وفقده القدرة على النطق، لتقوم زوجته مونيكا، منذ تلك اللحظة، بالعناية به، ولم يمنعه سجنه في كرسيه من التحليق عاليًا في فضاء الخيال.

وترجع بدايات تجربة توماس ترانسترومر مع الشعر إلى مطلع الخمسينيات، إذ أصدر أولى مجموعاته الشعرية «١٧ قصيدة»، وقد كانت هذه المجموعة البداية الحقيقية لانطلاق هذا الشاعر، إذ عدّها النقاد من أفضل المجموعات الشعرية التي صدرت في السويد خلال عقد الخمسينيات. وقد أصدر توماس ترانسترومر اثني عشر ديوانًا، منها: «ليلاً على سفر»، و«الأسرار في الطريق»، و«الجندول الحزين»، و«حاجز الحقيقة»، و«اللغز الكبير»، وسيرته الذاتية «الذكريات تراني».

وقد تميزت أشعار توماس ترانسترومر بنزعة إنسانية، لا تقف عند بلده السويد، بل تتطلع إلى معانقة الثقافات العالمية جميعها، فهو - كما ذكر أدونيس في كلمته - «لا يثقل قصيدته بأي منحى أيديولوجي أو سياسي، وينأى بنفسه عن الخطابة، وعن أي نشاط سياسي، ذلك أن هاجسه الأوحد هو الاهتمام بجمالية قصيدته، والاعتناء بالبلاغة الشعرية، دون أن يتجاهل ما يدور في العالم».

وقد منح توماس ترانسترومر عددًا من الجوائز الأدبية، ونال التكريم على كل المستويات الرسمية والشعبية.



وعد بلفور في المزاد

شهدت صالة مزادات «سوذبيز» في نيويورك الشهر الماضي بيع مسودة نادرة مكتوبة بخط اليد من وعد «بلفور» الذي دعا إلى قيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين، بمبلغ ٨٨٤ ألف دولار، واشترى الوثيقة رجل لم يكشف عن اسمه، لكنه عرف كهاوٍ لجمع القطع الأثرية.

وقال جوشوا ليبتون، مساعد نائب رئيس شركة سوذبيز هولدنغ: إن الأرشيف عرض للبيع على يد شخص لم يفصح عن هويته، وقد حصل عليه من ابنة ليون سيمون، وكان سيمون قد شارك في المناقشات التي انتهت إلى إصدار الحكومة البريطانية وعد «بلفور» في عام ١٩١٧م.

وهذه الوثيقة هي الوثيقة الوحيدة المكتوبة بخط اليد من وعد «بلفور» التي كشف وجودها حتى الآن. ووثيقة سيمون مؤرخة بتاريخ السابع عشر من يوليو/تموز عام ١٩١٧م.

وتنص الوثيقة على أن «حكومة جلالتها توافق على مبدأ إعادة إنشاء فلسطين وطنًا قوميًا للشعب اليهودي، وستبذل ما بوسعها لضمان تحقيق هذا الهدف، وستناقش الأساليب والوسائل اللازمة مع المنظمة الصهيونية».

ووثيقة سيمون مؤرخة بتاريخ السابع عشر من يوليو/تموز عام ١٩١٧م، وتختلف عن الوعد الرسمي الصادر عن الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر/تشرين الثاني من العام نفسه. وتم حفظ الوثيقة الرسمية التي حملت اسم وزير الخارجية البريطانية آنذاك آرثر بلفور ضمن سجلات الحكومة البريطانية.

وفاة الأديب المصري محمد مستجاب

توفي في القاهرة في ٢٦ يونيو/حزيران الماضي الأديب المصري الساخر محمد مستجاب عن عمر يناهز ٦٧ عامًا، بعد عشرة أيام قضاها في العناية المركزة بالمستشفى المركزي في القاهرة لعلاجه من فشل في الكبد.

ولد محمد مستجاب في محافظة أسيوط في الثالث والعشرين من يوليو/تموز عام ١٩٣٨م، وتلقى تعليمًا محدودًا، وعمل في عدد من المهن كان آخرها عاملاً في السد العالي في نهاية الستينيات من القرن الماضي.

وبدأ الأديب الراحل نشر أولى قصصه عام ١٩٦٩م، وكانت بعنوان «الوصية الحادية عشرة»، قبل أن ينتقل إلى مجمع اللغة العربية الذي عمل فيه موظفًا، حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٩٨م.

ولمستجاب رواية شهيرة بعنوان «من التاريخ السري لنعمان عبدالحافظ» التي حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٤م، وترجمت إلى أكثر من لغة. كما صدرت له رواية «إنه الرابع من آل مستجاب» التي صدرت عام ٢٠٠٢م، وصدرت آخرة رواياته قبل شهرين

وفاة محمد العروسي

توفي في تونس في التاسع عشر من يوليو/تموز الماضي الأديب التونسي محمد العروسي المطوي أحد رموز الأدب الحديث في تونس عن عمر يناهز ٨٥ عامًا، قضاها في خدمة الأدب، وذلك بعد صراع طويل مع المرض.

ولد العروسي عام ١٩٢٠م في مدينة المطوية بالجنوب التونسي، والتحق بجامعة الزيتونة حيث حصل على شهادة العالمية في الآداب، كما نال شهادة الحقوق التونسية، والإجازة العليا للبحوث الإسلامية من المعهد الخلدوني.

وكان المطوي أديبًا متعدد المواهب، كتب في مختلف مجالات الأدب: القصة والشعر والرواية، ونشر عددًا من الكتب أشهرها: «حليمة»، و«التوت مر»، و«رجع الصدى». وكان من رواد القصيدة الحرة منذ ثلاثينيات القرن الماضي. وله أيضًا عدد من البحوث العلمية والفكرية.

وهو من مؤسسي اتحاد كتّاب المغرب العربي، واتحاد الكتّاب التونسيين الذي تولى رئاسته مدة طويلة، وكان عضوًا في نادي القلم، ونادي القصة، والنادي الثقافي، والمجلس العلمي لبيت الحكمة، كما أدار وترأس مجلة «قصص» منذ أن أنشأها عام ١٩٦٦م

وإلى جانب مواهبه الأدبية المتعددة، فهو سياسي تولى كثيرًا من المناصب الدبلوماسية، إذ مثّل تونس في القاهرة والعراق والسعودية ملحقًا ثقافيًا، أو سفيرًا للقصة والشعر والرواية، كما تولى أمانة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام ١٩٦٣م، وانتخب في مجلس النواب من عام ١٩٦٤م إلى عام ١٩٨٦م.

وقد كرمته الدولة في عدة مناسبات؛ فنال جائزة بلدية تونس في الرواية مرتين، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب، والوشاح الأكبر للوسام الثقافي، كما نال عددًا كبيرًا من الميداليات والأوسمة الوطنية والعربية، كان آخرها درع اتحاد الكتّاب العرب الذي احتفى به في شهر مايو/أيار الماضي.



فقط عن دار ميريت بعنوان «اللهو الخفي».

وله كذلك أكثر من مجموعة قصصية منها «ديروط الشريف»، و«قيام وانهيار آل مستجاب»، و«الحزن يميل للممازحة»، بالإضافة إلى عدد من الكتب في الثقافة العامة منها: «حرقة دم»، و«بوابة جبر الخاطر»، و«نبش الغراب»، وهي مجموعة مقالات في مجلة العربي الكويتية.

وفي عام ١٩٩٢م حولت إحدى قصصه إلى فلم سينمائي بعنوان «الفأس في الرأس» أدّى دور البطولة فيه ليلى علوي، وعزت العلايلي.

إهداء مكتبة خليل إبراهيم

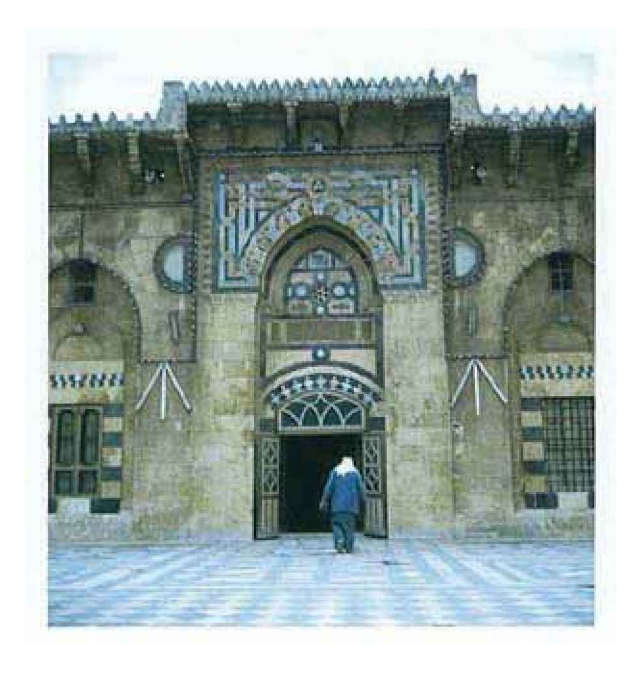
أهديت مؤخرًا إلى جامعة البصرة مكتبة الدكتور خليل إبراهيم العطية المتوفى في بغداد سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، وقررت المكتبة المركزية للجامعة إفرادها في جناح خاص يحمل اسمه، ويجري موظفو المكتبة حاليًا العمل على تبويبها وتنظيمها وفهرستها.. إلخ.

وتتكون المكتبة من عدة آلاف من الكتب، وفيها عدد محدود من المخطوطات الأصلية وعشرات المخطوطات المصورة النادرة.

وكان الراحل قد أسس مكتبته عام ١٩٦١م في مسقط رأسه (الكوت/واسط) حيث ولد هناك عام ١٩٣٦م، واستطاع إغناءها بنوادر المطبوعات في مختلف العلوم والفنون والآداب، إذ شملت مجموعة من النصوص المحققة، والدراسات اللغوية والدواوين الشعرية، وغير ذلك.

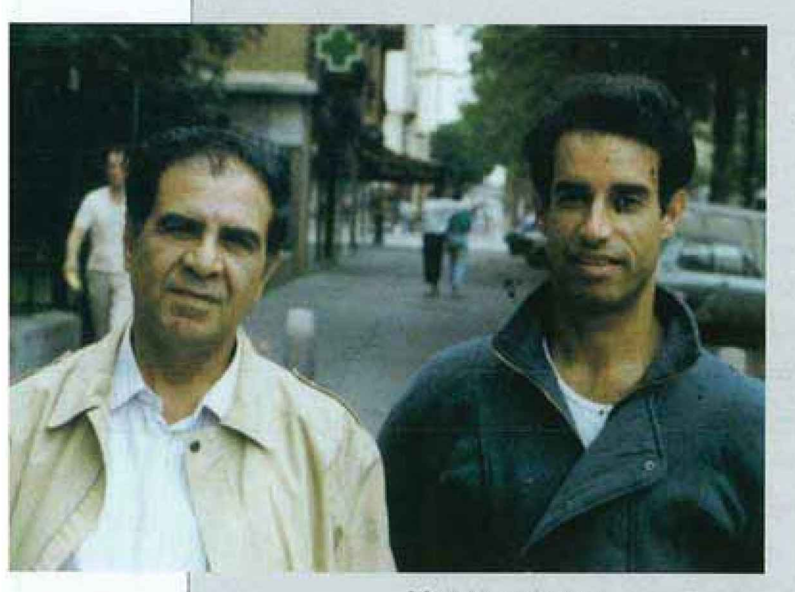
وعلى أثر وفاته نشر شقيقه نبيل (من مواليد عام ١٩٤٩م) ببيلوجرافيا تضمنت أنشطته وآثاره مرتبة وفق التسلسل الزمني، نشرتها مجلة كلية التربية في الجامعة المستنصرية ببغداد (العدد الأول لعام ١٩٩٩م)، جاء فيها أن للعطية ٢٠ كتابًا (ما بين مطبوع ومخطوط) وتبلغ الكتب غير المطبوعة عشرة، كما تضمنت قائمة بأسماء مقالاته المنشورة في الدوريات المتخصصة، وغير ذلك.

ومن أعمال الفقيد تحقيق دواوين المزرّد بن ضرار الغطفاني، وليلى الأخيلية (بمشاركة أخيه جليل)، وتوبة بن الحميِّر الخفاجي، ولقيط بن يعمر الإيادي، ومسكين الدارمي (بمشاركة عبدالله الجبوري)، وعمرو بن قميئة.



حلب عاصمة للثقافة الإسلامية

قرر المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة اختيار مدينة حلب السورية عاصمة للثقافة الإسلامية للعام القادم ٢٠٠٦م. وحدد القرار عددًا من الخطوات التي يتوجب القيام بها قبل عام من بدء الاحتفالات. منها: تشكيل لجنة يتم من خلالها اختيار الأنشطة المقررة. ووضع الميزانية اللازمة لها، ومخاطبة جهات التعاون والمؤسسات والأفراد المقترح دعوتهم للمساهمة في تنفيذ بعض الأنشطة أو تمويلها أو إحيائها، والعمل


من اليسار د. خليل العطية

ونهار بن توسعة.

ومن أعماله اللغوية المحققة: التقفية للبندنيجي، وفعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني، وبقية التنبيهات على أغاليط الرواة، للبصري، والفرق لقطرب، وخلق الإنسان لمحمد بن حبيب البغدادي، وغير ذلك.

ومن أعماله المخطوطة: معجم المساعد للكرملي مج٣، وما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه لابن الشجري (بمشاركة أخيه جليل)، وغير ذلك.

ومن مؤلفاته المطبوعة: في البحث الصوتي عند العرب، والتركيب اللغوي لشعر السياب، وأبو زيد الانصاري وكتابه الهمز.

ومن مؤلفاته المخطوطة: شعر نازك الملائكة: دراسة لغوية، وفصيحة العصر، ولغويون بصريون، وملامح الدرس اللغوي في القرن الثالث الهجري، وغير ذلك.

على توزيع الفعاليات على مدار العام، وإعداد الكتب والكتيبات التعريفية، وإعداد برامج للمؤتمرات والندوات والمحاضرات، والتهيئة لإقامة معرض للكتاب والمخطوطات والوثائق، إلى جانب تظاهرات ثقافية في مختلف الأنشطة الثقافية والتراثية والعلمية، وتنظيم مسابقات للمبدعين الشباب.

وكلف المؤتمر المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم متابعة تنفيذ هذا القرار بالتنسيق مع وزارة الثقافة السورية.

وتعدّ مدينة حلب، التي تبعد عن مدينة دمشق بنحو ٣٥٠ كيلومترًا شمالاً، العاصمة التجارية لسورية، وتضم عددًا من المعالم التاريخية الإسلامية، مثل: قلعة حلب، والحمامات الأثرية، والمسجد الأموي الذي بناه الخليفة سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦هـ، كما ارتبط اسم هذه المدينة بالقائد العربي المشهور سيف الدولة الحمداني الذي مدحه الشاعران أبوالطيب المتنبي، وأبوفراس الحمداني، وقد حكم الحمدانيون حلب في الفترة من عام ٩٠٥ حتى عام ١٠٠٣م، وهي أيضًا مسقط رأس عدد من المشاهير مثل الشاعر البحتري، والشاعر الدبلوماسي عمر أبوريشة.

التازي، عبدالهادي/ رحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة: عباس صالح طاشكندي، (جزءان)ـ مكة المكرمة: فرع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ٨٢٢ص.

يضم هذا الكتاب مئة رحلة مغربية ورحلة لأداء الحج والعمرة وزيارة البيت الحرام، وكل تحدث من الرحالين بما كان يعتقد أنه مقصده، وربما كان يهتم به هو في خاصة نفسه، هذا مهتم بلقائه الرجال، وذاك مهتم بالمنشآت المعمارية، وهذا مهتم بالطبيعة وألوانها، وآخرون أهتموا بالمخالفات والمنكرات التي شاهدوها، وهؤلاء بأحوال الحكم في البلاد، وتعاقب الحكام على الكراسي، بما يصحب ذلك من مماحكات ومواريات، وهؤلاء بأحوال الأوبئة والمناخ والجو، وبعضهم برصد خسوف القمر على سماء مكة المكرمة.

وهناك القصص المطرف، بل المغرق في الطرافة مما يحكيه الحجاج، وكان موضع تعليق ممن يستمعون أو يعلقون، وموضع أمثال شعبية وتعابير دارجة. لقد كان كراتشكوفسكي على حق عندما لاحظ أن المغاربة أحرزوا درجة السبق في أدب الرحلات، وهي الحقيقة التي أبرزها الشيخ حمد الجاسر عندما كان، وفي كل مناسبة يشيد بالتفوق المغربي بهذا الصدد. ويقول المؤلف: «الحديث عن عطاءات المغرب إلى بقاع البلد الحرام مسجل في كل حجج الوقف قديمها وحديثها، ومعروف في كل المراسلات التي تتصل بركب الحجاج، والمهم في هذا حقًا أن نقف على جميع الأسماء التي كانت تتوصل كل موسم بالمبالغ المرسلة إليها مما يعطينا فكرة دقيقة عن أسماء المقيمين في الحرمين الشريفين اسمًا اسمًا، ولوائح الخطباء والائمة، وعبيد الحرم (الأغوات)، وخدمة عين زبيدة، وخدمة الحرم ومصالح الحرم، وشيخ زمزم وجماعته من المؤقتين والمؤذنين بالمنائر والمكبرين، والمرحمين ووقّادي الحرم، وسرّاجي الأروقة الأربعة، وسرّاجي منائر الحرم وشيالة القمائم، وكنّاسي الحرم، وفرّاشي مقامات الحرم، والجبادين ببئر زمزم، والبوّابين بأبواب الحرم، وحاملي مبخرة باب الكعبة (حامل شمع باب الكعبة)، وحاملي أعلام الخطيب، وكنّاسي ما بين الصفا والمروة، ومؤذني جبال مكة المكرمة، وخدمة مشاهد مكة المكرمة، ومعلمي الصبيان من الرجال والنساء. عالم كبير من الموظفين والأطر نجد تفصيل الحديث عنهم في الرحلات المغربية».

بريغز، آسا وبيتر بورك/ التاريخ الاجتماعي للوسائط من غتنبرغ إلى الإنترنت: ترجمة: مصطفى محمد قاسم ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٤٤٦ص، (سلسلة عالم المعرفة:٣١٥).

يعرض هذا الكتاب لقصة الوسائط ووسائل الاتصال على طولها منذ اختراع غتنبرغ الطباعة، وما قبلها، إلى آخر ابتكارات عصر تكنولوجيا المعلومات

والاتصالات وعلم الوسائط، مرورًا حتى بوسائل النقل المادي، وهي قصة تتخللها السياسة والدين والاقتصاد، والاجتماع، والفلسفة، والتعليم، وعلم النفس، إلى جانب التكنولوجيا والتاريخ.

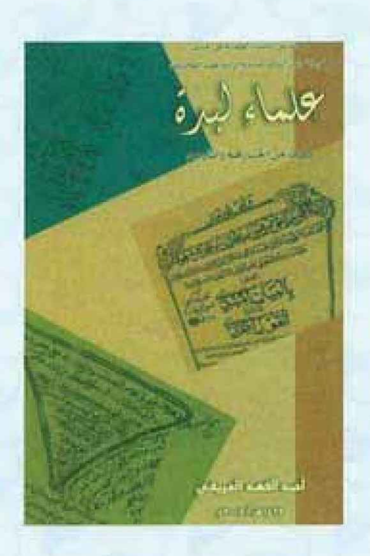
يفند الكتاب كل المفاهيم والنظريات التي راجت عالميًا، وعربيًا، ومن أهمها «مجتمع المعلومات»، و«عصر التكنولوجيا»، و«الانفجار المعلوماتي»، و«ثورة الاتصالات» بردها إلى السياقات التي نشأت فيها، ويستبعد الكتاب فكرة «الثورة» من عالم الوسائط وتكنولوجيا الاتصال، من قبيل الثورة التكنولوجية، أو ثورة الاتصالات، ويؤكد بدلاً من ذلك التطور التدريجي والتراكمي، وتداخل التأثيرات بين الوسائط بأنواعها المختلفة وغيرها من العوامل الاجتماعية في صناعة ما آل إليه العالم المعاصر، وإن التناول التاريخي والاجتماعي للوسائط وتكنولوجيا الاتصالات، ففضلا عن ذلك، يمثل أهمية كبيرة ليس للمشتغلين بهذه الفروع، وطالبي المعرفة فحسب، بل لرؤى المجتمعات ككل وفلسفتها ونظرتها إلى التقدم والتكنولوجيا وهو ما يعول عليه دائمًا في دراسة التاريخ.

الحيدري، عبدالله بن عبدالرحمن/ آثار حسين سرحان النثرية: جمعًا وتصنيفًا ودراسة، جزءان ـ الرياض: النادي الأدبي بالرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ١٦٢٣ص.



تتكون هذه الدراسة من مجلدين، جاء المجلد عن آثار حسين سرحان النثرية، مقالة وقصة، ومقابلات صحفية، وترجمة منذ طفولته المبكرة وحتى وفاته، ويتضمن هذا المجلد أربعة فصول رئيسة: يتناول الأول العوامل المؤثرة في نثر سرحان، وهي العوامل الاجتماعية، والاستقرار السياسي، والمناخ الثقافي، ويعرض الفصل الثاني لفن المقالة عند سرحان وأنواعها، وهي: الاجتماعية، والذاتية، والأدبية، والقصصية، التأملية، وقدم الفصل الثالث تحليل الخصائص الفنية لمقالات سرحان، ومن أبرزها: السخرية، والنزعة القصصية، والاستطراد، وتضمن الفصل الرابع موازنة بينه وبين إبراهيم المازني، وتطرق المؤلف إلى رصد آراء النقاد والباحثين في نثره، ومنزلته بين الكتاب.

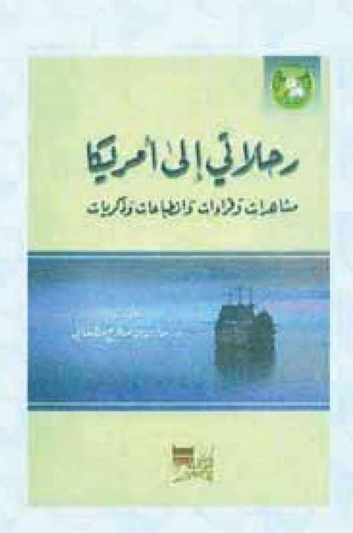
أما المجلد الثاني فخصص لجمع وإنتاج حسين سرحان المقالي من سنة ١٣٤٦ ـ ١٤١٣هـ، وجاءت المقالات مصنفة ومرتبة حسب الكثرة، في حين رتبت المقالات التي يجمعها موضوع واحد بالاعتماد على الأقدمية في تاريخ النشر، وجاءت تصنيف المقالات على النحو الآتي: المقالة الاجتماعية، المقالة الذاتية، المقالة الأدبية، المقالة القصصية، المقالة السياسية، مقالات في الشعر العامي، وقد حظيت تلك المقالات بالتوثيق الكامل، بعزوها إلى مصادرها: جريدة، أو مجلة، أو كتاب، وبالتخريج للنصوص الواردة فيها آيات، وأحاديث، وأبيات شعرية مع التعليق.



العريفي، أحمد الفهد/ علماء لبدة، لمحات من الحياة العلمية في حائل في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ، ١٦٤ص.

قدم هذا الكتاب الأستاذ فهد العريفي، رحمه الله، وجاء في تقديمه «لم يسبق أن طلب مني الابن أحمد كتابة مقدمات لمؤلفاته التي بلغت حوالي عشرة كتب .. ولم يسبق أن أطلعني على فكرة مؤلف ينوي إصداره، بل كنت أطالعه بعد صدوره مع الناس؛ ولذا فأنا مسرور باعتماده دائمًا على نفسه وجهده ومراجعه التي يلجأ إليها، بل يشد إليها الرحال حتى وإن كانت في لندن أو القاهرة أو سواهما، وهذا - بلاشك - يسرني ويعطيني الثقة بفهم ابن من أبنائي بقدراته الطيبة.

لكنه لجأ إليّ هذه المرة لسبب واحد، وهو أنني كنت من الملازمين لمشايخ (لبدة)، لا طالبًا للعلم في أكتافهم - للأسف - ولكن لسبب آخر في أحياء لبدة كان المشايخ وطلبة العلم وتلامذتهم وحواريوهم يلتقون، زيادة على لقاءات مسجد لبدة ومسجد الشيخ صالح السالم، في بيوت بعضهم، ففي الصباح الباكر يتجمعون في منزل الشيخ علي الصالح السالم، وفي المساء بعد المغرب كانوا يلتقون في منزل الشيخ محمد العساف، وعندما توفي الشيخ العساف؛ طلب والدي - علي العبدالعزيز العريفي - من الشيخ حمود بن حسين الشفدلي، والشيخ عبدالرحمن سليمان آل ملق، وعموم الإخوان أن يتشرف باستقبالهم بعد مغرب كل يوم بعد الصلاة مباشرة للقراءة، وكان الشيخ علي الصالح يقرأ على المشايخ والحضور في كتب ابن كثير وابن تيمية، وكتب الإمام مالك، وفي التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وبعد تناول القهوة وأذان العشاء تنتهي الجلسة، ويذهبون إلى صلاة العشاء، وكان يتخللها بعض الأحاديث.



مطبقاني، مازن صلاح/ رحلاتي إلى أمريكا: مشاهدات وقراءات وانطباعات وذكريات ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١١٦ص.

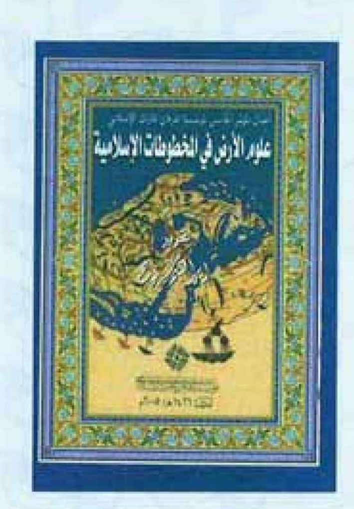
يتضمن هذا الكتاب وصفًا لرحلات متعددة قام بها المؤلف للولايات المتحدة الأمريكية: الرحلة الأولى قام بها وهو طالب في المرحلة الجامعية، ثم باحث في مرحلة الدكتوراه، وكانت الرحلة الثالثة بعد الحصول على الدكتوراه، وكانت الرحلة الرابعة للمشاركة في ندوة فكرية عن حوار الحضارات بين العالم الإسلامي والغرب في مبنى الكونجرس الأمريكي عام ٢٠٠٣م، وقد رتب لها معهد الشرق الأوسط، ومؤسسة متخصصة في العلاقات الدولية هي ميد آمر.

واحتوى الكتاب على لقاء مع برنارد لويس عام ١٤٠٨هـ - المستشرق المشهور. كما يلقي الكتاب الضوء على المشكلات الاجتماعية في أمريكا، والعنصرية، وحقوق الإنسان في أمريكا، وتأثير التلفاز في المجتمع الأمريكي، ويتطرق المؤلف إلى اهتمام الجامعات الأمريكية بالإسلام والمسلمين مثل جامعة كاليفورنيا بير كلي،

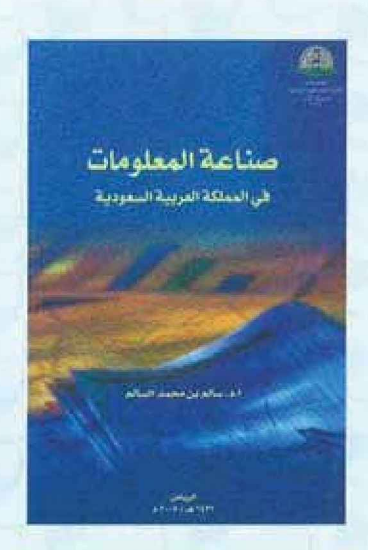
وجامعة كالفورنيا لوس أنجلوس، ومعهد بروكنجز، وجامعة جورج تاون، وجامعة إنديانا، وجامعة فيلانوفا، ومعهد الشرق الأوسط.
كما يضم الكتاب لقاءات مع روسكو سودارت مدير معهد الشرق الأوسط وزيارة مكتبة الكونجرس، وجامعة هوبكنز، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومعهد الولايات المتحدة للسلام، ومؤسسة راند، وجامعة برنستون، ومجلس الشؤون الخارجية في نيويورك.

علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، تحرير: إبراهيم شبوح ـ لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م،٣٨٦ص.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه أعمال المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بعنوان «علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية» في الفترة من ٢٤، ١٥نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٩م/ شعبان ١٤٢٠هـ، الذي ضم ست جلسات: جاءت الأولى عن الجغرافيا في التراث الإسلامي، وأدارها الشيخ أحمد زكي يماني، وشارك فيها الدكتور رشدي راشد ببحث بعنوان «العلوم الرياضية المتعلقة بكوكب الأرض»، والدكتور عبدالله يوسف الغنيم ببحث بعنوان «نظرات في تحقيق النص الجغرافي».
وكانت الجلسة الثانية برئاسة الأستاذ الدكتور يوسف إيبش، وشارك فيها: إبراهيم شبوح «أنظار في بعض مشكلات النص الجغرافي التراثي»، وشارك الدكتور رجيس موريلون ببحث «الجغرافيا والفلك».
أدار الجلسة الثالثة إبراهيم شبوح. وشارك فيها كل من: الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي ببحث عن تاريخ الأدبيات الجغرافية في العهد العثماني، والدكتور يان بوست ويتكام ببحث بعنوان: «م. ج. دي خويه وتحقيق النصوص الجغرافية العربية»، والدكتور أيمن فؤاد سعيد ببحث عن النصوص الجغرافية العربية غير المنشورة، وجاءت الجلسة الرابعة عن الكيمياء، وترأسها الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، وشارك فيها الدكتور: سيد نعمان الحق ببحث بعنوان «مخطوطات الخيمياء: أنموذج المدونة الجابرية».



وكانت الجلسة الخامسة عن علم المعادن وموضوعات أخرى، وترأسها الدكتور رشدي راشد، وشارك فيها الدكتور إيراج أفشار ببحث بعنوان «جواهر نامه نظامي: أقدم نص فارسي عن الأحجار الكريمة»، والدكتور إحسان عباس ببحث بعنوان «تجربة صغيرة في نص جغرافي»
وجاءت الجلسة الأخيرة عن علم النبات، وترأسها الدكتور إيراج افشار، وشارك فيها الدكتور ماورو زونتا ببحث بعنوان «مقالة ابن رشد حول الطعوم أهي جزء من كتابه المفقود (كتاب النبات)»، وشارك الدكتور إبراهيم بن مراد ببحث بعنوان « قراءة المصطلح العربي وتحقيقه النباتي» وختمت الجلسات بعدد من التوصيات.

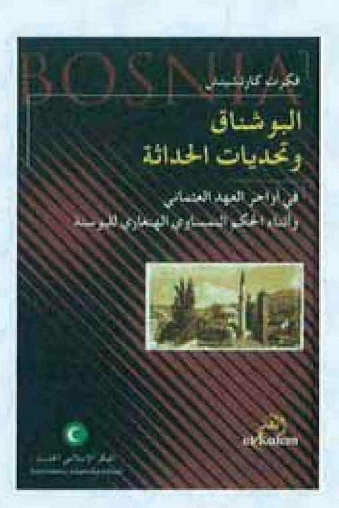


السالم، سالم بن محمد/ صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٢٥٢ص.

تعدّ صناعة المعلومات من أهم المؤشرات الحيوية على الوعي المعلوماتي في أي دولة من الدول، إذ يقاس تقدم الأمم بمدى قدرتها على جمع المعلومات وتنظيمها ومعالجتها وإخراجها في قالب يخدم الفئات المستهدفة على الأصعدة كافة، وتتأكد أهمية هذه الصناعة في هذا العصر الذي يطلق عليه «عصر المعلومات»، إذ تزداد الحاجة إلى التوظيف الأمثل للمعلومة من خلال إنتاجها، وتجهيزها، وتسويقها بشكل يلبي احتياجات المستفيدين.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى الوضع الراهن لصناعة المعلومات في المملكة العربية، من حيث تحديد حجم الدور الذي تقوم به كل مؤسسة من المؤسسات المشاركة في مجتمع الدراسة فيما يتعلق بإنتاج المعلومات، وتجهيزها، وبثها، كما تهدف الدراسة إلى تقصي ما إذا كان يوجد نوع من التعاون والتنسيق بين المؤسسات المعينة بصناعة المعلومات.

ويتضمن الكتاب أربعة فصول رئيسة، جاء الفصل الأول عن الإطار المنهجي للدراسة من حيث مشكلتها، وأهدافها، ومجالها، وتعريفات المصلحات، واستعرض الفصل الثاني الإطار النظري من حيث مفهوم، ظاهرة صناعة المعلومات ونشأتها وتطورها، وقدم الفصل الثالث دراسة تطبيقية لواقع مؤسسات المعلومات المعنية بهذه الصناعة، ولخص الفصل الرابع أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ومقترحات تسهم في تحسين الوضع الحالي لصناعة المعلوماتية.



كارتشيتش، فكرت/ البوشناق وتحديات الحداثة في أواخر العهد العثماني وأثناء الحكم النمساوي الهنغاري للبوسنة ـ البوسنة والهرسك: دار القلم، ٢٠٠٤م، ١٦٨ص.

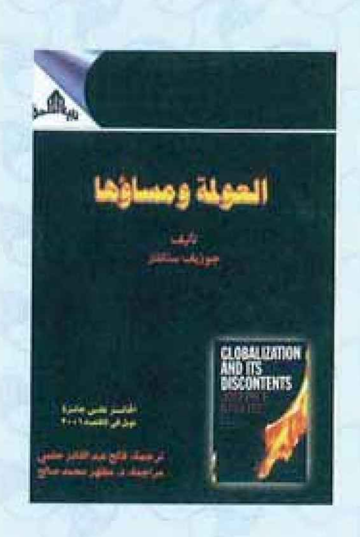
تتناول هذه الدراسة عملية التحديث في البوسنة والهرسك في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني وفي أثناء الحكم النمساوي الهنغاري، وتتطرق إلى الأجوبة التي قدمها المثقفون المسلمون عن تحديات هذا التحديث، وتقارب الدراسة بين التحديث في بيئة أغلبية مسلمة، وبيئة ذات أقلية مسلمة، وكذلك أجوبة علماء الدين والمثقفين في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

واستخدم الباحث أسلوبين، حاول في الأسلوب الأول تجميع الدراسات التي كتبها علماء، وباحثون بوسنيون وأجانب، وتمت إضافة المقارنة مع تجارب الشعوب المسلمة، ومع التفسير الإسلامي للتحديث.

وركز في الأسلوب الثاني في أجوبة المثقفين من خلال معرفة الفتاوى المعتمدة

والرسائل والمقالات أوالكتب التي وضعها، أو أعدها أو ترجمها على يد مؤلفون بوسنيون.
يذكر أن المؤلف أستاذ محاضر في كليتي الدراسات الإسلامية والحقوق في سرايفو.
وصدر له عدد من الكتب مثل «المحاكم الشرعية في يوغسلافيا عام١٩١٨ -١٩٤١م»، و«الجانب الاجتماعي القانوني للإصلاح الإسلامي»، «والدراسات في الشريعة الإسلامية»، و«مسلمو البلقان: المسألة الشرقية في القرن العشرين»، وشارك في كتاب «الفقه الإسلامي في المجتمعات المعاصرة»، وله كتاب «تاريخ الفقه الإسلامي في البوسنة والهرسك».

ستكلتز، جوزيف/ العولمة ومساؤها، ترجمة: فالح عبدالقادر حلمي، مراجعة: مظهر محمد صالح ـ بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣، ٢٩٦ص.
يبين هذا الكتاب كيفية صنع السياسة الاقتصادية العالمية، إذ قضى الاقتصادي الذائع الصيت الحائز على جائزة نوبل جوزيف ستكلتز سبع سنوات في واشنطن، عمل رئيسًا لمجلس المستشارين الاقتصاديين في عهد كلينتون، ورئيس اقتصاد في البنك الدولي، وهو يولي عناية خاصة لمحنة البلدان النامية، إذ استطاع أن يتحرر من ربقة الوهم على نحو متزايد عندما شاهد بأم عينيه كيف تقدم مؤسسات مصالح صندوق النقد الدولي وشارع المال في دول ستريت والمجمع المالي على مصالح البلدان الفقيرة.
وكان ستكلتز على إحاطة بمعظم الأحداث الاقتصادية البارزة في القرن المنصرم، بما فيها الأزمة الاقتصادية الآسيوية، وفترة التحول التي مرت بها اقتصاديات دول الاتحاد السوفييتي السابق، وكذلك إدامة البرنامج التنموية في أنحاء العالم، ورأى كيف افتتن صناع السياسة بنماذج اقتصادية عفا عليها الزمن، واستخدامهم لمبادئ إجماع واشنطن التي اتكأت عليه لتصميم سياسات لم يتمخض عنها سوى المآسي، كما اكتشف داخل المؤسسات الرئيسة للعولمة رغبة مدمرة في التكتم والسرية زادت من الأخطار تفاقمًا في الوقت نفسه مثلما أحدثت تغيرات إيجابية.
يعيد هذا الكتاب تجارب ستكلتز ويفتح نافذة لتسليط الضوء على النواحي غير المرئية من السياسة الاقتصادية العالمية.
يذكر أن المؤلف هو جوزيف ستكلتز الاقتصادي والأكاديمي الذي تناولت أعمال مسائل النمو والتنمية، وهو عضو في إدارة كلينتون، ورئيس مجلس المستشارين الاقتصاديين ونائب الرئيس الاقدم وكبير اقتصاديي البنك الدولي، وهو حائز على جائزة نوبل عام ٢٠٠١م، في علم الاقتصاد، ويعمل حاليًا أستاذًا للاقتصاد بجامعة كولومبيا.





مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٣١، ع١١٨، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يوليو ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية علمية محكّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وتعنى بنشر البحوث العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية.

حفل هذا العدد ببحوث ودراسات متنوعة، بدأت بكلمة العدد للدكتورة فاطمة حسين يوسف العبد الرزاق، وتناول الدكتور يوسف غلوم علي حقوق المرأة السياسية والرأي العام في الكويت، وقدم كل من: د. أمين عواد المشاقبة، ود. شملان يوسف العيسى، ود. مازن غرايبة دراسة ميدانية عن الاتجاهات السياسية لطلبة جامعة الكويت، وكتب الدكتور فهد بن نويصر الحريقي عن المساكن والبيئة العمرانية للمدن الرئيسة في المملكة العربية السعودية.

وجاء بحث الدكتورة ليلى بنت صالح البسام عن الملابس التقليدية الرجالية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وفي باب عروض الكتب ومراجعتها: تضمن العدد عرض ومراجعة كتاب «المجال الحيوي للخليج العربي: دراسة جيوستراتيجية» تأليف سيار كوكب الجميل، قام به مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

كما قدم المركز عرضًا ومراجعة لكتاب «اقتصاديات الخليج العربي: التحديات والفرص» تأليف د. إبراهيم عويس.

واحتوى العدد على ببليوجرافيا عربية من إعداد: سهيلة فهد المالك الصباح، وملخصات باللغة العربية للبحوث المنشورة باللغة الإنجليزية، كما حوى العدد بحوثًا باللغة الإنجليزية، بدأت ببحث للدكتور رمضان علي الشراح عن الاستثمار الأمثل لرأس المال الطبيعي الكويتي للتنمية المستدامة.

وقدم الدكتور باسم عبدالملك شبيب بحثًا عن قياس معدلات استغلال الطاقة الإنتاجية في الاقتصاد البحريني باستخدام دالة التكاليف المناظرة، وتناول الدكتور هشام محمود إبراهيم مصباح اتجاهات الكويتيين نحو الأخبار والفضائيات الإخبارية: كيف تتحدد الاتجاهات في مجتمع بدأ حديثًا في التعامل مع الدراسات المسحية.

العنوان:

ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١ - الكويت.

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥

ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥



الدارة (س٣١، ع٢، ١٤٢٦هـ)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، وتعنى بنشر البحوث العلمية

ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي عامة.

زخر هذا العدد بمجموعة من البحوث، بدأها الدكتور عبدالله بن إبراهيم التركي بدراسة تاريخية عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد (٢٧٨ ـ ١٣٥٩هـ / ٨٦١ ـ ١٩٤٠م) حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة.

وجاء بحث الدكتورة منيرة بنت عبدالرحمن الشرفي عن ولاية العهد في إمارة بني أمية في الأندلس وأثرها في تثبيت البيت الأموي (١٣٨ ـ ٢١٦هـ/ ٧٥٥ ـ ٩٢٨م).

وتطرق الدكتور عامر بن ناصر الطير إلى الأبعاد الجغرافية للمجمعات السكنية وأثرها في درجة الرضا السكني: مجمع المعذر السكني بمدينة الرياض.

وقدم الدكتور مسفر سعد الخثعمي دراسة توثيقية لنماذج مختارة من الرسوم الصخرية في مدينة أبها وضواحيها.

وفي باب الوثائق قدم الدكتور سهيل صابان مقالاً بعنوان «عبدالله المغيرة في وثائق الأرشيف العثماني».

وتضمن العدد بحثًا مترجمًا أعدّه الدكتور محمد بن منصور أبا حسين بعنوان «في مهمة إلى مكة: ملحق بقلم القبطان المتقاعد جون. س. كيتنج، البحرية الأمريكية».

وفي باب مراجعات الكتب قدمت الدكتورة خيرية قاسمي مراجعة لكتاب «الجيش السعودي في حرب فلسطين ١٩٤٨م» رؤية وتوثيق حمود بن ناصر الأسمري، وختم العدد بملخصات الكتب.

العنوان:

ص.ب: ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٠١١٩٩٩

ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧

البريد الإلكتروني: magazin@darah.org.sa



المنار الجديد (س٨، ع٣٠، ربيع الأول ١٤٢٦هـ ـ أبريل ٢٠٠٥م)

مقالات وأبحاث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران.

احتوى هذا العدد على دراسات ومقالات، بدأها جمال سلطان المشرف العام بمقال بعنوان «الإسلاميون.. وملفات الإصلاح السياسي في مصر».

وفي باب الدراسات كتب وسام فؤاد عن الأسرلة.. على الصعيد الثقافي، وقدم الدكتور محمود الذوادي مقالاً بعنوان «قراءة أبجدية الثقافة بمنظور مختلف»، وناقش سعد عبدالمجيد جدل الإسلام والعلمانية في مشروع حزب العدالة التركي.

وتناول فاروق حمدي الأعظمي الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق، وجاء مقال عاطف مظهر عن النخب العربية.. من استجداء التغيير إلى ممارسة العقل الإصلاحي، ومقال لعبد السلام البسيوني بعنوان «الحج بعد ثلاثين سنة.. أسئلة تحتاج إلى إجابات»، وناقش عبود الزمر تحديات الهوية في زمن العولمة.

وفي منتدى المنار جاء مقال هاني لبيب بعنوان «وطن واحد .. ولكن مجتمع متغير» تعقيبًا على جمال سلطان، وجاء رد جمال سلطان بعنوان «ملاحظة وليس تعقيبًا».

وتضمن العدد مقالاً للدكتور ماجد مخلوف عن وثيقة بيان السلطان محمد وحيد الدين آخر السلاطين العثمانيين: من السلطان العثماني إلى العالم الإسلامي.

وفي مراجعات الكتب: قدم غازي التوبة قراءة في كتاب د. الجابري «الدين والدولة وتطبيق الشريعة»، وأوضحت فاطمة حافظ مفهوم حوار الحضارات في فكر مراد هوفمان، وتناول الدكتور أحمد بن راشد بن سعيد أزمة الحرية في الإعلام الأمريكي، وختم العدد ببيان آخر الإصدارات في الحياة الثقافية من إعداد هاني الموافي.

العنوان:

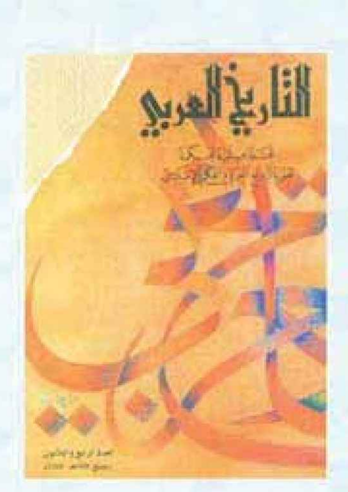
ص.ب: ٢٨ ـ الرمز البريدي: ١١٨١١ ـ القاهرة

هاتف: ٤٨٥٢٨٢١

ناسوخ: ٦٨٤٤١٨١

بريد إلكتروني: gsultan60@hotmail. com

الموقع على الإنترنت: http: www. almanar.net



التاريخ العربي (ع٣٤، ربيع ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)

مجلة علمية محكّمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي وتصدرها جمعية المؤرخين المغاربة.

تنوعت محتويات هذا العدد، إذ بدأها الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ببحث عن آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، وقدم الدكتور أحمد إبراهيم أبو شوك قراءة تحليلية في كتاب «أستاذ الأجيال عبدالرحمن علي طه (١٩٥١ ـ ١٩٦٩م) بين التعليم والسياسة وأربجي» للدكتورة فدوى عبدالرحمن علي طه.

وناقش الدكتور محمد رفعت زنجير العلاقة التاريخية والإستراتيجية بين الإسلام والمسيحية، وكتب الدكتور علي أبا حسين عن مكة المكرمة مركز

الدعوة العباسية ونبذة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها.
وتناول الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني ملامح التاريخ الاقتصادي للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود وأثره في النهضة الاقتصادية الحديثة، وكتب كل من: الدكتور مزاحم علاوي الشاهري، والدكتور سالم محمد عباس عن المؤرخ ابن أبي زرع ومنهجه في كتابه «الأنيس المطرب».
وجاء بحث الدكتور فواز سيوف عن مذنبات ونيازك الألفية الهجرية الأولى، وبيّن الأستاذ محمد نوح علي الحقوق السياسية للمرأة في الإسلام، وناقش الدكتور محمد محمود السروجي التفسير الحضاري للتاريخ بين ابن خلدون وأرنولد توينبي، وجاء بحث الدكتور عبدالقادر بوباية عن المستشرقين وكتابة التاريخ الإسلامي: إ . ليفي بروفنسال أنموذجًا.
وكتب الدكتور محمد المختار ولد السعد عن الأرستقراطية الدينية والسلطة السياسية الترورزية في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي في القرن التاسع عشر الميلادي.
وجاء مقال الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله بعنوان «التصوف المحمدي: لا تشدد ولا انحراف»، وقدم الدكتور محمد حامد الحاج خلف دراسة وتحقيقًا لكتاب «الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل» لأبي محمد قاسم بن ثابت السرقسطي (٢٥٥ . ٣٠٢هـ) وأثره في الدراسات اللغوية والحديثية، وناقش الدكتور محمد الأوزاعي نظرية اللسانيات الغربية: شروط التأسيس، وكتب أحمد شوقي بينين عن المخطوط العربي في الغرب الإسلامي، وناقش الدكتور فاروق حمادة موضوع العلاج وضروراته في الشريعة الإسلامية، وجاء بحث الدكتور محمد العمري عن الدلالة التاريخية للشعر: ظاهرتا الغزل والنقائض في القرن الأول الهجري نموذجًا.
وتضمن العدد قصائد بعنوان «طيبة» للشاعر المرحوم محمد الحلوي، وقصيدة «المولى إدريس.. والفتح الأكبر» للأستاذ الشاعر عبدالواحد أخريف.

العنوان:
جمعية المؤرخين المغاربة
حي الليمون، ٥ (أبو نواس)
الرباط ـ المملكة المغربية
البريد الإلكتروني:
attarikhalarabi@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت:
www. attanrikh - alarabi. ma





رحيل عاصم البيطار: وداع عالم

خليل محمود الصمادي

الرياض - السعودية

يكاد الناس يتفقون على أن الأطفال يعيشون في حاضرهم، وأن الشباب يرنون إلى مستقبلهم، ويشغلهم التفكير فيه. وأن الشيوخ مشدودون إلى الماضي، يسترجعون الذكريات الدافئة فيه، ويفرّون من الوهن الحاضر إلى الماضي المُونق الجميل: ولا أنكر أنني أصبحت أكثر ميلاً إلى عالم هؤلاء، وإن كنت لا أزال أعمل، وأؤدي الرسالة التي نذرت نفسي لها منذ أكثر من نصف قرن. هذا ما قاله شيخنا عاصم البيطار في رثاء شيخه سعيد الأفغاني - رحمهما الله - على صفحات مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد ٩٢ - كانون الأول /ديسمبر ٢٠٠٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

ودعت بدمشق يوم الخميس ١٤٢٦/٥/١٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٦/٢٣م الأستاذ عاصم بن محمد بهجة البيطار قائل الكلمات الدافئة بحق أستاذ طالما ذكره بالخير في مجالسه الخاصة، وفي الندوات، وعلى صفحات المجلات. لم يفرَّ الأستاذ عاصم البيطار إلى الماضي كما ذكر آنفًا، لكنه أولع بالماضي، فالماضي كان يعيش فيه دائمًا: فحبه للتراث والأدب جعل منه عالمًا فذًا. فقد كان - رحمه الله - صديقًا لعلماء الأمة الأفذاذ القدماء كسيبويه (ت: ١٨٠هـ) والكسائي (ت: ١٨٩هـ) وابن جني (ت: ٣٩٢هـ) والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) وابن الأنباري (ت: ٥٧٧هـ) وابن يعيش (٦٤٣هـ) وابن مالك (ت: ٦٧٢هـ) وابن هشام (ت: ٧٦١هـ) وغيرهم. فهو سليل مدرسة تراثية عريقة، فجده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب الكتاب الشهير -حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر- الذي يعدّ أهم مرجع للتراجم في ذلك القرن. ووالده الشيخ العلامة محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار خطيب جامع الدقاق بدمشق في حي الميدان. العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى جاء من الجزائر، وطاب له المقام في دمشق.

مجلس العلماء

ولد الأستاذ عاصم في دمشق عام ١٩٢٧م. ودرس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ولحق بوالده إلى المملكة العربية السعودية حيث درّس عامين في دار التوحيد (١٩٤٤، ١٩٤٦م) لم يكن حينئذ قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره!! وكان ذلك قبل دراسته الجامعية أيضًا، لكن همة الرجولة التي غرسها الشيخ في ابنه جعلته يجتاز الصعاب، ويشق العباب، ثم عاد إلى دمشق حيث أتم دراسته الجامعية في جامعتها فنال إجازة اللغة العربية وتخرج فيها عام (١٩٥٢م) ونال الدبلوم في التربية وأهلية التعليم الثانوي في العام نفسه.

ولما استقر الشيخ الوالد محمد بهجة في دمشق غدا منزله ملتقى للأدباء والشعراء والعلماء، يقول ولده عاصم عن ذلك المجلس، وعن ذكرياته أيام الصبا: كانت تُعقد في بيت سيدي

الوالد، رحمه الله (ت ١٩٧٦م) من بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع حتى صلاة العصر، وكان أركان هذه الجلسات الفتية الدائمون الأساتذة الأجلاء: عز الدين علم الدين التنوخي (ت: ١٩٦٦م) والشيخ علي الطنطاوي (ت: ١٩٩٩م) وشاعر الشام أنور العطار (ت: ١٩٧٢م) وأستاذنا سعيد الأفغاني (ت: ١٩٩٧م). رحمهم الله جميعاً. كانوا يؤدون صلاة الجمعة في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق، وكان والدي مدرّساً فيه وخطيب الجمعة على منبره مدةً تزيد على ستين عاماً، فإذا قُضيت الصلاة شرّفوا دارنا، وتناولوا طعام الغداء، ثم تبدأ الجلسة العملية التي كانت روضة من رياض المعرفة... وقد تجاوزت أخبار هذه الجلسات الأسبوعية الحدود، ووصلت إلى أسماع الكثير من أصدقاء الوالد في العالمين العربي والإسلامي، ولذا كان يحضرها علماء كبار ممن يُلمُّون بدمشق، وإنني لأذكر ممن حضر عدداً من هذه الجلسات أميرَ البيان شكيب أرسلان (ت: ١٩٤٦م)، وعيّن أعيان جدة الشيخ محمد نصيف (ت: ١٩٧١م)، والعلامة الجليل أبا الحسن الندوي (ت: ١٩٩٩م) ونائب رئيس جمعية العلماء الجزائريين، ثم رئيسها بعد وفاة الشيخ عبدالحميد بن باديس (ت: ١٩٤٠م) الشيخ البشير الإبراهيمي (ت: ١٩٦٥م) الذي أقام في دمشق فترة بعد أن نفاه الفرنسيون.

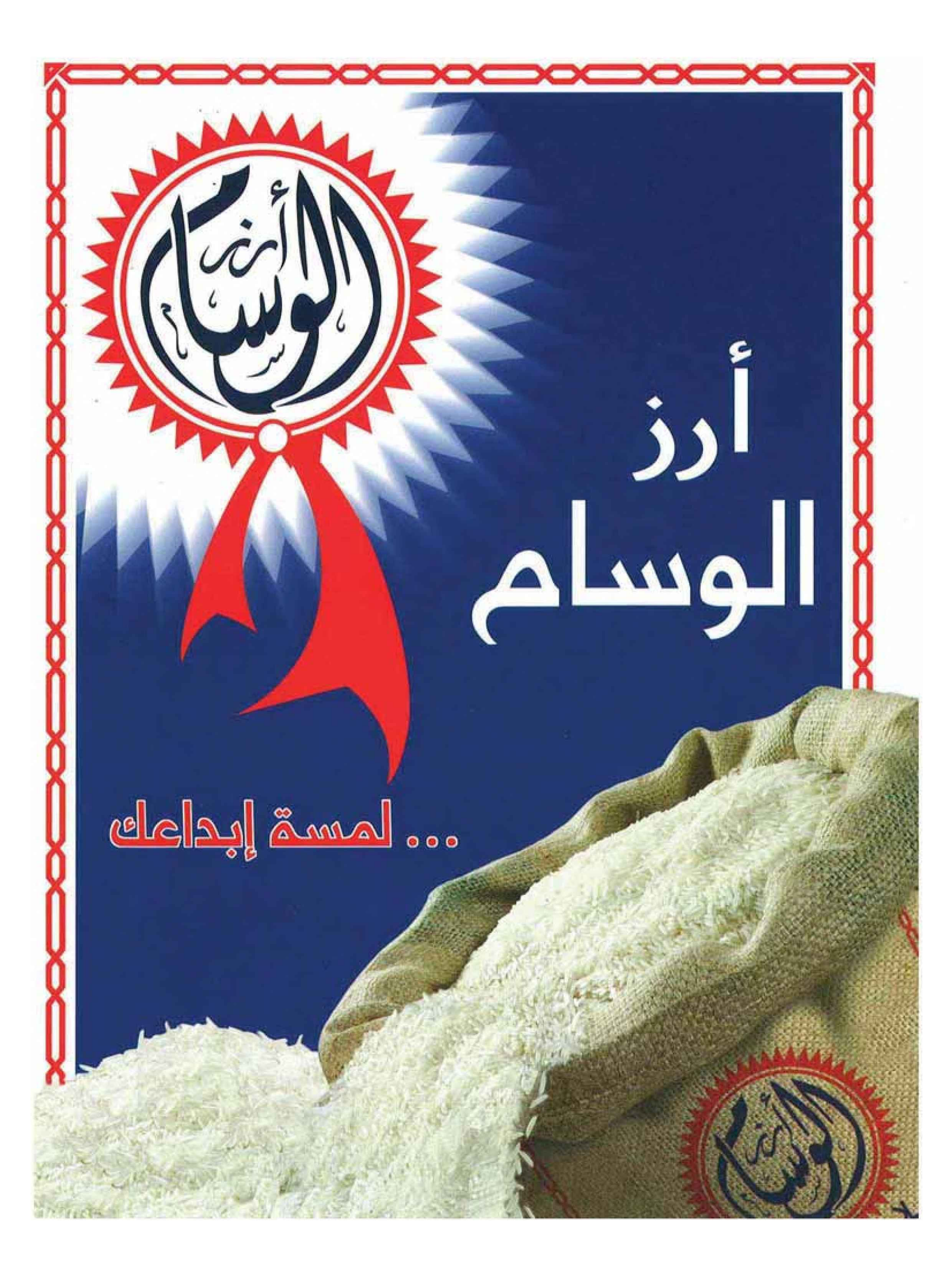
في هذا الجو العبق بالعلم والمعرفة نهل الأستاذ عاصم علومه الدينية والعربية والأدبية من خيرة علماء دمشق، وغيرهم، بالإضافة إلى ما كان يتلقاه في الجامعة ودار المعلمين، ولما تخرج في الجامعة عمل في التدريس في ثانويات دمشق، وما زال الرعيل الأول من خريجي ثانوية عبد الرحمن الكواكبي في حي الميدان يذكر أستاذه عاصمًا بالخير والسداد.

أقول: عرفت الأستاذ عاصمًا ـ رحمه الله ـ يوم كنت طالبًا في السنة الأولى في كلية اللغة العربية بجامعة دمشق؛ وذلك عام ١٩٧٩/ ١٩٨٠م فكنت أسمع عنه من قبل، فكما قيل: وما راء كمن سمعا. لقد وجدت فيه علمًا جمًا، ندر من يحمل مثله، ولا سيما في مادة النحو والصرف. وعلى الرغم من أنه لم يحصل على شهادة الدكتوراه أو الماجستير، كما هم أكثر أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق، إلا أنه كان أستاذ بعضهم يرجعون إليه في الملمات والصعاب بشهادة أكثرهم. ورأيت فيه أخلاقًا رفيعة وتواضعًا جمًا.

تخرجت في جامعة دمشق وساقتني الأقدار للعمل في الرياض، وكنت أعلم أنّ الأستاذ عاصمًا تعاقد مع جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٩٨٩ ولما بلغ السن القانونية عام١٩٩٤م خرج من الجامعة، وعمل في مجلة الفيصل ما يقارب عشر سنوات، وكنت ألتقيه كثيرًا، وفي كل مرة أخرج من عنده بفائدة ما، إما بمسألة لغوية وإما بشاهد شعري، وإما بطرفة يتندر بها، فقد كان ـ رحمه الله ـ يعيش بالماضي ليس بذكرياته فقط، بل كان يضفي عليه مرح الشباب، ولطافة المعشر. أذكر أنني زرته يوما فوجدته عكر المزاج، فسألته عن السبب فأباح لي: أن ورثة الشيخ محمد بهجة البيطار قد باعوا مكتبته القيمة لإحدى المؤسسات التراثية في الخليج العربي، وأخذ يعدد أمات الكتب التي كانت بها، وطبعاتها النادرة و.. و... كم تحسر يومها على هذه المكتبة التي عرف الدنيا من خلالها! ولكنّ أسفه أشد ما كان على رسائل الشيخ الوالد التي كان يراسل بها أعيان الأمة من ملوك وعلماء.

البيطار يتوسط زملاءه في مركز الملك فيصل في حفل وداعه




أرز
الوسام
... لمسة إبداعك